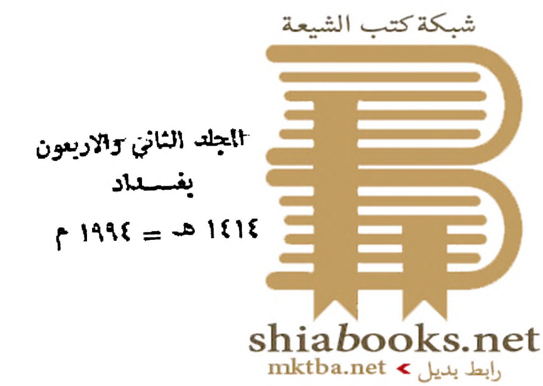
مجلة المجمع العلمي العراقي



المجلد الثاني والاربعون
بغـــداد
١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م







المجلد الثاني والاربعون

بغـــداد

١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م

مجلة المجمع العلمي العراقي

مجلـة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

★

توجـه الرســـائل والبحـــوث الى مديـر التحرير
البحوث المنشورة في المجـلة تعبر عن آراء اصحابها .
المقـالات لا تـرد الى اصحـــابها نشرت او لم تنشر .

★

العنوان : الوزيرية / بريد الاعظميـة / ص.ب ٤٠٢٢
بغـداد ـ العـراق

منهج دوزي
في المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع
كلية الآداب — جامعة بغداد

للمستشرقين المنصفين أثر لاينكر في النهضة العربية الحديثة ، اذ اهتموا بالتراث العربي الاسلامي ، ونشروا بعضه ، وكتبوا الدراسات المستفيضة عن حضارة العرب والمسلمين . وكانت اللغة العربية مما اهتموا به ، فأصدروا الكتب ، ونشروا البحوث ، وألفوا في قواعد اللغة العربية ، ووضعوا المعاجم (١) .

ومن هؤلاء المستشرق الهولندي (رينهارت بيتر آن دوزي) الذي ولد في ليدن عام ١٨٢٠ — ١٢٣٥هـ وتوفي عام ١٨٨٣م — ١٣٠٠هـ ، وكان قد أحب اللغة العربية وشغف بها حباً ، وألف كتباً ونشر بحوثاً ، ووضع معاجم ، منها « المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب » (٢) .

وكانت الشعبة الثالثة من المعهد الملكي للبلاد المنخفضة قد طلبت في جلستها المنعقدة في ١٦ كانون الاول ١٨٤١م « تأليف بحث مستكمل الشروط عن الالبسة سواء تلك التي يرتديها الجنسان من العرب في مختلف العهود

---

(١) تنظر كتب اللغة والمعاجم في كتاب « المستشرقون » وهي كثيرة جداً .
(٢) تنظر حياته وكتبه في « المستشرقون » ج ٢ ص ٥٨٦ وما بعدها ، ومقدمة تكملة المعاجم العربية ج ١ ص ٥ وما بعدها .

في مختلف الاقطار ، او تلك التي ما انفكوا يلبسونها حتى الان بحيث تبرز على هذه الصورة كل قطعة من قطع ملبوساتهم ، وذلك بعد توطئة عامة على أن تتبع الطريقة الهجائية في الحروف العربية ، وعلى أن تذكر معالم الشكل ونوع النسيج وخاصية الاستعمال (٣) ».

فشروط المعجم الذي طلبه المعهد الملكي هي :

١ ــ أن يحتوي ملابس الجنسين .
٢ ــ أن يشمل الملابس القديمة والتي لا تزال مستعملة حتى زمن الاعلان .
٣ ــ أن ترتب اسماء الملابس ترتيبا هجائيا .
٤ ــ أن تذكر معالم شكل الملابس .
٥ ــ أن يذكر نوع نسيج الملابس .
٦ ــ أن تذكر خاصية استعمال الملابس .

واطلع دوزي على هذه الشروط ووجد في نفسه قدرة على التأليف ، فانصرف الى العمل بجد واخلاص فأنجز «المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب» وتقدم به الى الشعبة الثالثة في المعهد الملكي وفاز بالجائزة في جلسة الشعبة المنعقدة في (٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٤٣ م) وهو في الثالثة والعشرين من عمره. وهذا المعجم ذخيرة حية للملابس العربية ، وقد احسن صنعا الدكتور أكرم فاضل حينما ترجمه من الفرنسية وأصدرته وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٧١ م. ولم تكن ترجمته سهلة لان فيه اشارات الى اكثر من عشرين لغة قديمة وحديثة ، شرقية وغربية ، وفيه استطرادات عجيبة ، وتفسير خاطىء للنصوص يبني عليه المؤلف حكما خاطئا ، ودحرجة للحوادث التأريخية ، وأهمال لبعض المصادر أو مؤلفيها مما يتعب المترجم ، ويضع القارىء في حيرة(٤) ولكن المترجم استطاع أن يخرج هذا المعجم الذي ضم (٢٧٧) لونا من الملابس غير ما أضافه دوزي من كلمات لم يستطع كتابتها باللغة العربية (٥).

---

(٣) المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ص ٣ .
(٤) تنظر كلمة المترجم في المعجم المفصل ص ٧ ــ ٨ .
(٥) تنظر ص ٣٤٩ من المعجم المفصل .

إنّ « المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب » أول عمل علمي يقوم به رينهارت دوزي وقد استغرق عمله فيه ثلاث سنوات (١٨٤١ – ١٨٤٣م) وطبع في امستردام سنة ١٨٤٥م . وكان للمؤلف تصور واضح للمعجم منذ ذلك الوقت وقبل أن يضع معجمه الكبير « التكملة » اذ نبه الى وضع معجم شامل يعنى بالالفاظ وتأريخها ، وتغير دلالاتها من مكان الى آخر ، ومن زمن الى آخر ، وبالمصطلحات العلمية والفنية ، وأن يكون مستندا الى نصوص المؤلفين فيخط تأريخ كل كلمة وقصة كل جملة ، ولكن مثل هذا المعجم كان بعيد المنال . ولعل مما يدفع علوم اللغة الى الامام ثلاث طرق ذكرها دوزي وهي :

الاولى : تدبيج تعليقات وملاحظات لغوية على هيئة كتاب ، أو اضافة ملحق بشرح الكلمات التي يوردها المؤلف في كتابه .

الثانية : جمع الكلمات التي تؤلف صنفا من الاصناف .

الثالثة : الاقتصار على لغة قرن واحد ، أو على لغة قطر واحد (٦) . واتبع دوزي الطريقة الثانية في معجم الملابس اذ جمع ما يتصل ، بالموضوع وصنفه وشرحه ، ثم رتبه بحسب الحروف العربية . ولم يكن هذا العمل سهلا ميسورا فقد رجع الى مئات المصادر المختلفة وهي مصادر مشرقية ، ومغربية ، وغربية ، يثير الوقوف عليها الاعجاب بمستشرق في العشرين من عمره ينهض لهذا العمل الصعب الجليل .

ومصادر دوزي في « المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب » متنوعة وان كان معظمها يخص الاندلس وأقطار المغرب العربي ومصر ، وهي عدة أنواع :

١ – المعاجم : مثل مجمل اللغة لاحمد بن فارس ، والصحاح للجوهري ، والقاموس المحيط للفيروزابادي ، ومثل مد القاموس ، وكنز اللغة القشتالية ، وكنز اللغات الثلاث .

---

(٦) تنظر ص ١٠ من المعجم .

٢ — كتب النحو : مثل اللغة المالطية ، والنحو التركي ، والنحو المغربي العربي ، والنحو العربي الاسباني ، وقواعد النحو العربي ، وقواعد ولغة المغاربة العرب .

٣ — كتب الحديث : مثل صحيح البخاري .

٤ — كتب الادب : مثل شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، ونفح الطيب ، وشرح أشعار جرير ، ويتيمة الدهر ، وشرح مقامات الحريري ، ووفيات الاعيان ، وكتاب الاغاني ، وشروح ديوان المتنبي كشرحي ابن جني والواحدي ، والذخيرة لابن بسام ، وشرح قصيدة ابن عبدون ، ومقدمة الادب للزمخشري .

٥ — كتب الامثال : مثل كتاب الامثال للميداني ، والامثال العربية .

٦ — كتب القصص : مثل ألف ليلة وليلة ، وقصة الارض المقدسة ، وقصة رحلة الى التمدن .

٧ — كتب الرحلات : مثل رحلة ابن جبير ، ورحلة إبن بطوطة ، وعشرات الرحلات التي قام بها الأجانب ، ووصفوا فيها لبنان ، ومصر ، والارض المقدسة ، واليمن ، والجزيرة العربية ، وتركية ، وسورية ، وخراسان ، ومكناس ، وبلاد ما بين النهرين ، وموسكو ، وجورجيا ، وارمينية ، وموريتانية ، وغيرها من الاقطار والأقاليم

٨ — كتب التأريخ : مثل تأريخ مصر ، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، وقلائد العقيان ، ومطمح الانفس ، ونهاية الارب ، وتأريخ السلاطين المماليك ، وتأريخ فارس ، وتأريخ مراكش ، وتأريخ الاندلس ، وتأريخ اليمن ، والاحاطة في أخبار غرناطة ، وتأريخ السلاجقة ، وتأريخ بني عباد ، وعيون الأثر ، وتأريخ أبي الفداء ، وكتاب السلوك .

٩ — كتب البلدان : مثل وصف الجزيرة العربية ، وخطط مدينة الجزائر ، ووصف مصر ، ووصف الشرق ، ووصف افريقية ، ومرآة جغرافية واحصائية للامبراطورية المراكشية ، وأوصاف جنوة :

١٠ـ كتب المذكرات : مثل مذكرات ذار فيو ، وذكريات عن سورية ، ويوميات جولة في الشرق ومذكرات حول رحلة من القاهرة الى مرزوق ، ويوميات اقامة عند عبد القادر الجزائري .

١١ـ الكتب الاخرى : مثل طرائف عربية ، وملاحظات باون ، والمتصوفة والشطحات الصوفية لدى الفرس ، ورسائل من مالطة ، والتحف العربية وملاحظات حول البدو ، وتقرير عن مراكش ، وحوليات عربية .

هذه المصادر وغيرها كانت مادة معجم الملابس وهي تدل على ان دوزي لم ينظر في المعاجم وكتب التراب العربية وحدها ، وانما اعتمد على مصادر متنوعة ولا سيما كتب الرحلات والبلدان ، ونتج عن ذلك اضافات كثيرة الى المعجم بعضها عربي ، وبعضها غير عربي ، وكان اعتماده الاول على القاموس المحيط للفيروزابادي ، وكان يشير الى وجود الكلمة فيه أو الى عدم وجودها وربما لا يشير كما في لفظة الطربوش التي استعملت في مطلع القرن السادس عشر وهي تحريف لكلمة « سربوش » الفارسية (٧) .

واتهم دوزي القاموس المحيط بالنقص ، لانه لم يذكر كل ما يتصل بالملابس من ألفاظ عربية (٨) ، وقد تكون هذه التهمة صحيحة لان المعجم العربي لا يضم جميع الالفاظ العربية ، ولان الكلمات التي أهملها صاحب القاموس غير عربية ، ولذلك فان المؤلف ينقل من غير المعاجم أي من الكتب المتنوعة التي اتخذها مادة لمعجمه ، ففي لفظة « الاخروق » قال : « لا وجود لهذه الكلمة في القاموس » ثم قال نقلا من كتاب ألف ليلة وليلة : « ان الكلمة (أخروق) تعني في المغرب نوعا من التيجان الصغيرة المعمولة من الذهب المرصعة بالاحجار الكريمة التي يستعملها النساء أغطية لرؤوسهن وتحلياً بها ، ولعلها نفس الزينات الرأسية التي تحمل في أقطار الشرق الاخرى اسم تاج » (٩) .

---

(٧) المعجم ص ٢١١ .
(٨) المعجم ص ٢٠٠ .
(٩) المعجم ص ٣٠ .

وبلغت الالفاظ التي لم يذكرها القاموس (١٢٦) أي نصف ألفاظ المعجم، وهي وان كان بعضها مذكوراً ولكن بغير معناها المراد ، ومن ذلك :

١ — الثوب : قال «ونحن نعلم أن كلمة ثوب تعني ملبوسا بصورة عامة ، ولكن له في هذا اليوم معنىً خاصا في مصر ، فكلمة «ثوب» حسب تقرير لين في كتابه (المصريون المحدثون ج ١ ص ٦١) تشير الى نفس الملبوس الذي نشير اليه كلمة سبلة ، ومعنى ذلك رداء واسع فضفاض ، عرض ردنيه يساوى على وجه التقريب طول الجلباب نفسه ، وهو مصنوع من الحرير واونه لون القرنفل في معظم الاحوال أواونه وردي أو بنفسجي ، وترتدي النساء هذا الرداء حين يردن مغادرة منازلهن » ثم قال : كلمة توب أو ثوب لم تكتسب هذه أو تلك هذا المعنى إلاحديثا » (١٠) .

وفي القاموس : « الثوب : اللباس ج أثوب وأثؤب ،وأثواب ،وثياب ،وبائعه وصاحبه ثوّاب » (١١) وهذا معنى عام .

٢ — الحريم والاحرام : قال : «نحن نعلم ان كلمتي حريم واحرام تشيران الى نوع من القماش يستعمله المسلمون أثناء تأدية فريضة الحج الى مكة المكرمة ، ومع ذلك فان كلمة إحرام لا وجود لها في القاموس بهذا المعنى » ثم قال : « وأخذاً بوجهة نظر احد شراح الحريري تشير كلمة احرام كذلك الى نوع من غطاء الرأس شبيه بالمئزر الذي يستعمله عرب اسبانية وافريقية » (١٢) .

ولم يرد هذا اللفظ في القاموس وانما جاء فيه : «ثوب المحرم وما كان المحرمون يلقونه من الثياب فلا يلبسونه» (١٣) .

٣ — الحزام : قال «تشير كلمة حزام في مصر الى الزنار الذي يشده الرجال فوق القفطان والذي تشده النساء فوق اليلك او فوق الانطاري » (١٤) .

---

(١٠) المعجم ص ٩٠ — ٩١ .
(١١) القاموس المحيط (ثاب) .
(١٢) المعجم ص ١١٣ .
(١٣) القاموس (حرم) .
(١٤) المعجم ص ١١٥ .

وفي القاموس : « حزمه يحزمه : شدّه ، والفرس شد حزامه ، وأحزمه جعل له حزاما ، وقد تحزم واحتزم . . . ج أحزمة وحزم » (١٥) . ولا يخرج هذا عن معنى الحزام عند دوزي : اذ المقصود به مايشد فوق الملابس لضبطها وشد الظهر .

٤ – الحياصة : وهي ما تسمى قديما « المنطقة » وهي مصنوعة من الفضة أو الذهب (١٦) .

وفي القاموس : « الحياصة والاصل الحواصة : سير يشد به حزام السرج » (١٧) وهذا قريب من معنى الحياصة التي اتخذت من فضة او ذهب لتشد للزينة على الملابس كالحزام .

٥ – الخفية : قال « ربما تعني كساء واسعا يغطي الجسم كله » (١٨) .

وفي القاموس : « الخفية كغنية : الركية والغيضة الملتفة » . (١٩) وليس هذا بعيدا عن الكساء الذي يلف الجسم ويغطيه كما هو في الغيضة الملتفة

٦ – الترجيل : قال : « والحقيقة ان كلمة ترجيل مستعملة للدلالة على نفس ما تعنيه كلمة مركوب » (٢٠) .

وفي القاموس : « ترجل : ركب رجليه » (٢١) . ولعل الترجيل من هذه المادة لانه يُحتذى .

٧ – الزنار : قال « ان كلمة زنار تدل على حزام ، ولكن هذا النوع من الحزام لم يكن يلبسه الا المسيحيون » ثم قال : « ولكن هذه الكلمة كانت تشير في اسبانية كذلك الى مئزر غليظ يلبسه الفلاحون » (٢٢) .

وجاء المعنى الأول في القاموس : « زنر الرجل : ألبسه الزنار وهو ما على

---

(١٥) القاموس (حزم) .
(١٦) المعجم ص ١٢٠ .
(١٧) القاموس (حوص) .
(١٨) المعجم ص ١٣٨ .
(١٩) القاموس (خفا) .
(٢٠) المعجم ص ١٥٤ .
(٢١) القاموس (رجل) .
(٢٢) المعجم ص ١٦٢ .

وسط النصارى والمجوس » (٢٣) وليس فيهما يدل على المتزر الغليظ .

٨ — الشامي : قال « ان النساء في مرزوق يرتدين قمصانا من الحرير الذي يطلق عليه اسم الشامي » (٢٤) . وجاءت هذه الكلمة من الشام التي كانت تصنع مثل هذا اللون من الملابس ، ثم شاع وانتشر .

٩ — الشد : قال : « تشير الى قطعة قماش من القطن الرقيق التي يلف بها الرأس ، والتي تستعمل لتأليف العمامة » (٢٥) .

ولا يخفى أن اللفظة مأخوذة من « شد » وأن لم ترد في القاموس بهذا المعنى .

١٠— الكساء : قال « لباس مغربي على هيئة معطف » (٢٦) ، ثم قال : « ان كلمة كساء بهذا المعنى لم تكن مستعملة الا في الاندلس والمغرب (٢٧) » وفي القاموس ان الكساء هو الثوب مطلقا (٢٨) .

١١— الكف : قال : « وكلمة كف تشير الى اليد ، ومن هذا نجم ان كفوفا تستعمل للتعبير عن القفافيز (٢٩) » .

١٢— اللباس : قال : « لهذه الكلمة معنى لا يوجد في الاقطار الاخرى فهو يشير الى سروال (٣٠) » . وفي القاموس : « اللباس : ما يلبس (٣١) » وهذا هو المعنى العام ، اما « اللباس » فهو ما يلبس تحت الملابس وهو السروال او التبان .

١٣— المقلة : قال : « إن العلماء كان من عادتهم ارتداء عمامة غاية في السعة ، وعلى هيئات مختلفة ، وتسمى مقلة ، وبعض الذين ينتمون الى هذه

---

(٢٣) القاموس (زنر) .
(٢٤) المعجم ص ١٧٧ .
(٢٥) المعجم ص ١٧٨ .
(٢٦) المعجم ص ٣٠٩ .
(٢٧) المعجم ص ٣١٢
(٢٨) القاموس (كسوة) .
(٢٩) المعجم ص ٣١٢ .
(٣٠) المعجم ص ٣١٩ .
(٣١) القاموس (لبس) .

الطبقة ما يبرحون يلبسونها حتى يومنا هذا (٣٢)

وفي القاموس : « المقلة : شحمة العين التي تجمع السواد والبياض او هي السواد والبياض او الحدقة (٣٣) » . ولا علاقة لهذا المعنى بما أورده دوزي .

١٤ــ المنديل : وهذه اللفظة تشير الى العمامة والى الحزام (٣٤) .

وفي القاموس : « المنديل ــ بالكسر والفتح وكمنبر ــ الذي يتمسح به وتندل به وتمندل : تمسح (٣٥) » ، وهذا هو المنديل المعروف اليوم وليس العمامة او الحزام . .

ومن سمات منهج دوزي في الكلام على الملابس انه يشير الى اشتقاق الكلمة ومن ذلك :

١ ــ البركان والبرنكان والبركاني والبرنكاني : قال : « تشير هذه الكلمات إما الى هذا النوع الغليظ من القماش ... أو انها تعني رداء مصنوعا من هذا القماش (٣٦) » . ورأى انها مشتقة من التسمية العربية « بركان » .

وفي القاموس : « يقال للكساء الاسود البركان والبركاني مشددتين والبرنكان كزعفران والبرنكاني (٣٧) » ولم يشر الى انها مشتقة من البركان .

٢ ــ البُوش : وهي نوع من العباء الذي يصنع في حماة ، قال « واعتقد أن هذه الكلمة مشتقة من اسم مدينة مصرية تدعى بوش .. وهذه المدينة كانت مشهورة بالثياب التي تصنع فيها . ولعل مدينة بوش ومصانعها قد عفى عليها النسيان في الازمنة الحديثة ، ولكن كلمة « بوش » ما تنفك

---

(٣٢) المعجم ص ٢٢٩ .
(٣٣) القاموس (مقل) .
(٣٤) المعجم ص ٣٣٥ ــ ٣٣٦ .
(٣٥) القاموس (ندل) .
(٣٦) المعجم ص ٦٢ .
(٣٧) القاموس (بركة) .

حية مشيرة الى نوع من القماش الصوفي — كما أظن — وهكذا فقد طبقت كلمة « بوش » خطأ على الاقمشة المعمولة في حماة ثم سميت بها العباء التي تصنع في هذه البلدة (٣٨) » .

وفي القاموس : « بوش — بالضم — بلدة بمصر ينسب اليها ثياب(٣٩)» ، ولم يحدد تلك الثياب ، ولم يشر الحموي الى شهرتها بهذا اللون من الملابس (٤٠)

٣ — الثبات : وجمعه الثبابيت قال : « واذ انها مشتقة من الفعل العربي (ثبت) فقد كانت تعني في الاندلس ما يعطي القوة والاعتدال للقدم ، ومعنى ذلك الخف أو النعال (٤١) » .

ولا وجود لهذه الكلمة في القاموس بهذا المعنى وانما فيه : « ثبت ثباتا وثبوتا فهو ثابت(٤٢) » ولا يبعد أن تنتقل دلالة اللفظة الى معنى جديد ، وهو قوة القدم واعتداله باحتذاء هذا اللون من الخف او النعال .

٤ — الحيك او الحائك : قال : « اعتقد انهما من أصل عربي وانهما مشتقان من الفعل « حاك (٤٣) » . والحيك او الحائك نوع من الازار ترتديه النساء ، ولا وجود لهما في القاموس بهذا المعنى (٤٤) .

٥ — الرسية : قال « اعتقد انها تشير الى نوع من عمرة الرأس المسمى رمبه ، ومعنى ذلك القلنسوة واني أزعم عدا ذلك أن الكلمات : رسة وأرسوسة وومسية مشتقة من كلمة « رأس (٤٥) » .

ومن سمات منهجه الاشارة الى أصل الكلمة ما وجد الى ذلك سبيلا ، ومن ذلك :

---

(٣٨) المعجم ص ٨٠ .
(٣٩) القاموس (بوش) .
(٤٠) معجم البلدان ج١ ص ٥٠٨ .
(٤١) المعجم ص ٨٩ .
(٤٢) القاموس (ثبت) .
(٤٣) المعجم ص ١٢١ .
(٤٤) القاموس (حاك) .
(٤٥) المعجم ص ١٥٥ .

٦ ـ الفارسـية :

البابوش او البابوج : وهو نوع من الاحذية ، قال : « تسللت هذه الكلمة التي هي كما نعلم من أصل فارسي (بابوش) الى اللغة العربية كما تغلغلت في اللغة الفرنسية ، وانلست في اللغة اليونانية الحديثة (٤٦) » .

البغلطاق أو البغاوطاق : قال « هو قميص بغير ردنين أو بردنين قصيرين للغاية ، وهو يلبس تحت الفرجية ، وكان يصنع من قطن بعلبك الابيض أو الاخضر (٤٧) » ، ثم قال : « أما كلمة بغلتاق الفارسية الاصل فيبدو أنها لم تكن مستعملة إلا في مصر (٤٨) » .

التُّبان : قال : « هذه الكلمة ليست سوى تحريف للكلمة الفارسية تنبان التي تعني سراويل من الجلد يستعملها المصارعون ، كما تعنى سراويل من الكتان يرتديها الملاحون (٤٩) » .

وفي القاموس : « التبان كرمان : سراويل صغير يستر العورة المغلظة واتَّبَنَ كافْتَعَلَ : لبسه » (٥٠) .

ولم يشر الى فارسية اللفظة الا ان السيد أدي شير قال « التبان : سراويل صغير معرب تنبان ، وهو تومان بالتركية والكردية (٥١) » .

الزرمانقة : وهي جبة صوفية ، وقد تكون الكلمة تحريفا للكلمة الفارسية « اشتربانه » و « أشتر » الجمل ، و « بان » الحارس (٥٢) .

السبجة والسبيج والسبيجة : وهي القميص ، وأصله في الفارسية شبي التي تدل على قميص النوم (٥٣) . والى ذلك أشار الجواليقي (٥٤) ، وفي

---

(٤٦) المعجم ص ٤٩ ، وينظر تكملة المعاجم العربية ج ١ ص ٢٢٦ .
(٤٧) المعجم ص ٧٢ .
(٤٨) المعجم ص ٧٣ ، وينظر تكملة المعاجم ج ١ ص ٢٨٧ .
(٤٩) المعجم ص ٨٠ .
(٥٠) القاموس (تبن) .
(٥١) معجم الالفاظ الفارسية المعربة ص ٣٣ .
(٥٢) المعجم ص ١٦٠ .
(٥٣) المعجم ص ١٦٤ .
(٥٤) المعرب ص ١٨٢ .

القاموس : « السبجة : بالضم والسبيجة كساء أسود وتسبج : لبسه ، والبقيرة كالسبيج ، وسبجة القميص – بالضم – لبنته ودخاريصه ، وكساء مسبج عريض (٥٥) » ولم يشر الى فارسيتها .

السرموز والسرموزة والسرموج والزرموزة والجرموق : قال « إن هذه الكلمات جميعاً ان هي الا تحريفات للكلمة الفارسية (سرموزه) وهي نوع من طماق ، أي غطاء من لباد للساق يلبس فوق الخف (٥٦) » .

وقال أدي شير : « الجرموق : ما يلبس فوق الخف لحفظه من الطين » معرب سرموزه وهو مركب من : « سر » أي فوق ومن « موزه » أي خف (٥٧) » . وقال : « السرموج : نوع من الاحذية تعريب سرموزة وهو مركب من « سر » أي فوق ومن « موزه » أي الخف والسرموجة ، والسرموزة ، والسرموز ، لغات فيه (٥٨) » .

الشوذر : وهو الملحفة وأصله الفارسية « جادر (٥٩) » .

قال الجواليقي : « الشوذر : الملحفة أحسبها فارسية معربة وقد تكلموا بها قديما (٦٠) » .

قال الفيروزابادي : « الشوذر : الملحفة معرب (٦١) » .

الشُربوش : وهو العمرة ، وهي تحريف الكلمة الفارسية (سربوش) قال دوزي : « ان الكلمة الفارسية « سربوش » حسب علمي لا تشير الى عمرة رأس الرجل وانما تدل فقط علي اكليل رأس امرأة (٦٢) » .

وقال أدي شير : « الشربوش : قلنسوة طويلة معربة عن (سربوش) أي غطاء الرأس (٦٣) » .

---

(٥٥) القاموس (سبجة) .
(٥٦) المعجم ص ١٦٧ .
(٥٧) معجم الالفاظ الفارسية المعربة ص ٤٠ .
(٥٨) المصدر نفسه ص ٩٠ .
(٥٩) المعجم ص ١٨٠ .
(٦٠) المعرب ص ٢٠٥ .
(٦١) القاموس (شذر) .
(٦٢) المعجم ص ١٨٦ .
(٦٣) معجم الالفاظ الفارسية المعربة ص ٩٩ .

الشال : قال : « الشال هو الكلمة الفارسية (شال) التي تسربت الى عدة لغات أوربية (٦٤) » . وهو اما قطعة طويلة من الشاش او النسيج الصوفي الذي يُطوى ويلف عدة لفات حول الطربوش ، او الطرحة التي تضعها النساء على رؤوسهن .

الطربوش : وهو غطاء للرأس يختلف من قطر الى آخر ، ولذلك فرّق دوزي بين الطربوش الذي يلبس في مصر ، والطربوش الشائع الاستعمال في سورية والاقطار الشرقية . ثم قال : « ولعل هذه الكلمة حين استعملت لم تصل الى العرب الا في مطلع القرن السادس عشر ، ولم تكن إلا تحريفا لكلمة (سربوش) الفارسية وهي في العربية (شربوش) حقيقة ان هذه الكلمات تشير الى نوع عمرة للرأس مختلف ، ولكن كلمة (سربوش) الفارسية في غاية الغموض أصلاً ما دامت لاتشير الا الى زينة رأس على وجه العموم اذن فمن الممكن كل الممكن — كما اعتقد — أن هذه الكلمة قد طقبت على أنواع من عمارات الرأس ، وتسمى هذه الطاقية في الجزيرة العربية بـ (فيس) وكذلك تدعى في القسطنطينية (٦٥) » .

القرطق : وهو سترة أو قميص قال : « وطالما تغنى الشعراء العرب بقراطق حبائبهم وحظياتهم وجواريهم (٦٦) » .

وفي القاموس : « القرطق كجندب : لبس ، معرب كرته ، وقرطقته ألبسته اياه فلبسه (٦٧) » .

الموزج : قال « وهي الكلمة الفارسية موزه التي تسللت الى اللغة البيزنطية (٦٨) » .

---

(٦٤) المعجم ص ٢٠٣ .
(٦٥) المعجم ص ٢١١ — ٢١٢ .
(٦٦) المعجم ص ٢٩٢ .
(٦٧) القاموس (قرطق) وينظر المعرب ص ٢٦٤ ، ومعجم الالفاظ الفارسية المعربة ص ١٢٤ .
(٦٨) المعجم ص ٣٣٤ .

وفي القاموس : « الموزج : الخف معرب ج موازجة وموازج » (٦٩) .

٢ – التركيـــــة :

الأنطماق : وهو نوع من الاحذية ، « وقد شوه عرب الاندلس الكلمة التركية « طوماق » على هذه الشاكلة (٧٠) » .

الانتاري : وهو كالسترة القصيرة يعلو قليلا وسط الجسم (٧١) .

الجقشير : قال « وهي من أصل تركي جقشير ، أو الوجه الاصح : جاقشر ، وتشير الى بنطلون من الجوخ (٧٢) » .

الجنبل : شبه عصابة تتزين به المرأة ، والكلمة من (جنبر) التركيـة قال : « ولا إرتاب مطلقا في ان نساء مدينة الجزائر العربيات صغن كلمتهن (جنبل) من الكلمة التركية « جنبر (٧٣) » التي هي الكلمة ذاتها باتمام مع استبدال الراء باللام ؛ وهما حرفان من نفس الطبقة والصنف والعرب والفرس والأتراك يلفظون النون أمام الباء مثل الميم وليس مثل النون » . (٧٤)

الجوخة : نوع من القماش ، قال « إن كلمة جوخ التي اشتقت منهـا كلمة جوخة هي الكلمة التركية (جوته) التي تشير الى الجوخ ، ولعـل الكلمة اليونانية الحديثة (روخن) مدينة بأصلها الى هذه الكلمة التركية (٧٥) .

الزبون : قال « لا وجود لهذه الكلمة التركية الاصل في القاموس والزبون : اسم نوع من الصديري او السترة القصيرة ، وكل منها له كمان واسعان مطرزان (٧٦) » .

---

(٦٩) القاموس (مزج) وينظر المعرب ص٧ ، ٣١١ .
(٧٠) المعجم ص٤٧ .
(٧١) المعجم ص ٤٨ .
(٧٢) المعجم ص١٠٢ ، وينظر تكملة المعاجم ج٢ ص٢٣٥
(٧٣) تكملة المعاجم ج٦ ص٣٥٩ : شنبر .
(٧٤) المعجم ص ١٠٦ .
(٧٥) المعجم ص١٠٨ ، وينظر تكملة المعاجم ج٢ ص٣٢٨
(٧٦) المعجم ص١٥٩ .

الكرك : وهو شبه الفرجية ، أي ثوب فضفاض مفهاف والكلمة التركية هي كرك او كورك (٧٧) .

المز أو المزد : نوع من الجوارب المعمولة من الجلد الذي يغطي القدم بتمامها . والكلمة تحريف (مست) التركية (٧٨)

اليلك : وهو مشد أو صدرية ، أو ثوب يلبس فوق القميص . قال : « لا وجود لهذه الكلمة التركية الاصل في القاموس (٧٩) » .

٣ — الاسبانيـــة :

الباروة : وهي نعل محبّل مصنوع من القنب او من الحلفاء ، يستعمله الموريسكيون كثيرا ، ويقال إن الكلمة الاسبانية (الباركيت) مأخوذة من كلمة (قرق) العربية ، قال دوزي : « إن عرب الاندلس — كما بوسعنا أنّ نتصور — لم يستطيعوا أن يتعرفوا على قرقهم في كلمة (الباركيت) فصنعوا باروة وجمعها بارورات (٨٠) » .

الشاية : وهي عباءة واسعة لا أزرار لها ، أو تنورة امرأة قال : « وقد استعار عرب الاندلس هذه الكلمة من جيرانهم المسيحيين ، استعاروها من الكلمة الاسبانية سايا وسايو (٨١) » .

الشربيل : وهي نوع من الاحذية ، قال : « وأعتقد أن كلمة شربيل مماثلة للتعبير الاسباني (سيرفلا) الذي يشير الى مداس مصنوع من الجلد المراكشي ليس له سوى نعل واحد (٨٢) » .

القاصة : وهي السروال ، قال « وهي الكلمة الاسبانية : (كالزاس) التي تسللت الى لغة عرب الاندلس (٨٣) » .

---

(٧٧) المعجم ص٢٠٩ وتنظر ص٢٦٥ .
(٧٨) المعجم ص٣٢٧ .
(٧٩) المعجم ص ٣٤٧ .
(٨٠) المعجم ص ٥١ .
(٨١) المعجم ص ١٧٧ .
(٨٢) المعجم ص ١٨٨ ، وينظر تكملة المعاجم ج٦ ص٢٨٥ .
(٨٣) المعجم ص ٢٩٥ .

الكبوت : وهو المعطف ، قال « وهي الكلمة الاسبانية (كبوت) التي تسللت الى لهجة عرب الاندلس ولهجة المغاربة (٨٤) » .

٤- الايطاليـــة :

الجزويرة : وهي التنورة المفتوحة من احدى الجهات التي ترتـديها للاطيات ، ورأى دوزي انها تحريف للكلمة الايطالية (جستا كور) (٨٥) .

الكوفية : هي منديل مربع يلبس فوق الرأس ، قال « لا اعتقد أن أحدا تسول له نفسه أن يخلع على كلمة كوفية أصلا عربيا . أما أنا فاعتقد ان كلمة (الكوفية) ليست الا كلمة (كوفية) الايطالية و الاسبانية والفرنسية والبرتغالية . وافترض كذلك ان الشرقيين قد استعاروا هذه الكلمة من الايطاليين الذين كانوا يمارسون التجارة في الموانىء المصرية والسورية في القرون الوسطى ، وهم الذين كانوا يتقلون الصليبيين ، ولعل الاتراك قد نحتوا أسقوفية (كوفيتهم) من نفس الكلمة الأوربية » (٨٦) .

٥ - البربريـــة :

الكرزية : وهي نوع من العمامة ، قال « اعتقد أنها بربرية (٨٧) » .

٦- الهنديـــة :

الفوطة : تطلق على أنواع مختلفة من اللباس والمآزر ، قال : « وكلمة فوطة الهندية الاصل كانت تستعمل على رأي الشراح و المعجميين العرب للاشـارة مبدئيا الى نوع من البز مجاوب من الهند (٨٨) » .

وفي القاموس : « الفوط كصرد : ثياب تجلب من السند أو مازر مخططة ، الواحدة فُوطة - بالضم - أو هي لغة سندية (٨٩) » .

---

(٨٤) المعجم ص ٣٠٦ .
(٨٥) المعجم ص ١٠١ ، وينظر تكملة المعاجم ج٢ ص٢٠٨ .
(٨٦) المعجم ص ٣١٨ .
(٨٧) المعجم ص ٣٠٨ .
(٨٨) المعجم ص ٢٧٥ .
(٨٩) القاموس (فوط) .

وكان دوزي يشير احيانا الى أن اللفظة أجنبية ، من غير أن يحدد اللغة التي اخذت منها الكلمة ، ومن ذلك :

١ ـ الخفتان او القفطان : وهـو رداء مفتوح من الامام ، قال : «إنني أجهل زمان تبني العرب لهذه الكلمة التي هي من أرومة أجنبية (٩٠)»

٢ـ الشنتيان : وهو سروال شتائي للمرأة ، قال : «لا وجود لهذه الكلمة التي لا ريب في أصلها الاجنبي في القاموس (٩١)» .

وكان يصحح أصل الكلمة ، قال في السربال : «انني لا أجرؤ علـى التأكيد كما صنع فريتاك بأن هذه الكلمة هي تحريف للكلمة الفارسية (شلوار) فهي على أقل تقدير لها معنى آخر مغاير كل المغايرة (٩٢)» .

وفي القاموس : «السربال ـ بالكسر ـ القميص أو الدرع أو كل ما لبس ، وقد تسربل به وسربلته (٩٣)» ولم يشر الى عجمتها .

وكان يشير الى تحريف الكلمة ومن ذلك :

١ ـ البلوط : وهو تنورة نسائية أو الجبة ، قال : «يخيل الى أن بلوطـة ليست سوى تحريف لملوطة ذلك لان العرب طالما أبدلوا حرف الميـم بحرف الباء (٩٤)» .

٢ ـ الزربول والزربون : قال أن هاتين الكلمتين ليستا سوى تحريف كلمة شربيل (٩٥) «والشربيل مداس من الجلد الملون (٩٦)» .

وكان يشير الى اختلاف نطق الكلمة في الامصار ، ومن ذلك :

---

(٩٠) المعجم ص١٣٣ .
(٩١) المعجم ص ١٩٥ .
(٩٢) المعجم ص ١٦٧ ، وقـد وردت «سرابيل» ثلاث مرات في القرآن الكريم . (النحل ٨١ ، ابراهيم ٥٠) .
(٩٣) القاموس (سربال) .
(٩٤) المعجم ص ٧٥ وتنظر ص ٣٣٢ .
(٩٥) المعجم ص ١٥٩ .
(٩٦) المعجم ص١٨٧ .

١ – الازار : تنطق في مصر « إيزار » (٩٧) .
٢ – الجبة : تنطق في مصر « الجيبة » بكسر الجيم (٩٨) .

وكان يتابع استعمال الملابس وتغير شكلها واسمها ويعطي تأريخا للكلمة (٩٩) ، ويوضح الفرق بين ملابس الرجال والنساء ، ومن ذلك تمييزه بين جبة الرجال وجبة النساء (١٠٠) .

وكان دقيقا في عمله فهو يعترف بالعجز عن وجود شرح لكلمة كما فعل في (الخمار) قال : « يبدو أن هذه الكلمة كانت معروفة وافية لدى الجوهري والفيروزابادي وانها لم تكن بحاجة الى الشرح والتفسير ، ولكن يجب أن أعترف لنحس طالعي أنني لم أقع على هذه الكلمة لدى مؤلف بمقدوره أن يشرحها لي شرحا صحيحا ، لذلك ليس في طاقتي أن أخوض في أي حديث عن نوع البرقع أو الستر او الحجاب او القناع الذي تدل عليه هذه الكلمة(١٠١)

وكما فعل في كلمة (أزرمانقة) إذ قال : « لعدم وقوعي البتة على هذه الكلمة فليس بطوقي أن أضيف شيئا الى التفصيلات المعطاة من قبل فريتاك . اذن تشير هذه الكلمة الى نوع جبة صوفية (١٠٢)» .

وكان يشير الى قلة المعلومات ، ولا يفصل حينما يعوزه الدليل (١٠٣) ، وهذه نزعة علمية محمودة ، لان الخوض في البحث بلا دليل يؤدي الى ارتكاب الخطأ وتضليل الدارسين .

وكان لا يكتفي بالنقل من المعاجم والكتب وانما كان يعلق ويبدي

---

(٩٧) المعجم ص٣٥ .
(٩٨) المعجم ص٩١ .
(٩٩) المعجم ص٣١ ، ٣٢ ، ٥٥ .
(١٠٠) المعجم ص٩١ وما بعدها .
(١٠١) المعجم ص ١٣٩ .
(١٠٢) المعجم ص ١٦٠ .
(١٠٣) المعجم ص ٣٥ ، ٨٥ .

الرأي (١٠٤) ، وفي ذلك صورة لشخصيته العلمية وهو لا يزال في مطلع شبابه حينما ألف معجم الملابس .

ولم يقف نشاطه المعجمي عند هذا الحد وانما وضع معجمه الكبير « تكملة المعاجم العربية» بالفرنسية في جزءين وقد طبع في ليدن سنة ١٨٧٧ وفي باريس سنة ١٩٢٧ ، وأعادت طبعه مكتبة لبنان في بيروت سنة ١٩٦٨م . ويعدّ من أجل الاعمال التي تركها دوزي ، لانه استدرك على المعاجم العربية القديمة كثيراً من الالفاظ التي وردت في كتب التراث ، وإن ضم العامي والدخيل . وكان هذا المعجم حلمه في شبابه وخلاصة أربعين عاما جمع فيها مواده من الكتب المختلفة ونسقها وحررها ، وقد وصف الدكتور سليم النعيمي هذا السفر فقال : « وكان من همه أن يجمع فيه ما لم يرد في المعاجم العربية القديمة التي وقفت باللغة في حدود من الزمان والمكان معينة ، فيثبت فيه الالفاظ الطارئة التي دعت اليها ضرورات التطور وفرضها تقدم الحضارة ورقي العلم واستعملها مؤلفو العصور الوسيطة ومن جاء بعدهم من مؤرخين وقصاص وجغرافيين ونباتيين وأطباء وفلكيين وغيرهم مما أهملته المعاجم القديمة » (١٠٥) وأخذ عليه انه أهمل ألفاظ المتصوفة ، ومصطلحات العلوم العربية وعلوم الاوائل ، وانه لم يرجع الى المعاجم العربية القديمة ليتأكد من أن ألفاظ معجمه ليست موجودة فيها ، وانه ذكر كثيراً من ألفاظ العامة ، وانه لم يجرِ على نسق واحد في شرح معاني الالفاظ وتفسيرها .

وكان دوزي قد نبه في خاتمة مقدمة التكملة الى أنه لم يقبل من الكلمات الاعجمية إلا التي عربها العرب وتكلموا بها ، وانه لم ينقل عبارات المعاجم القديمة ولا كلماتها التي وجدها في تعليقات المستشرقين ومعاجمهم (١٠٦) .

ويعد هذا المعجم من أجل أعمال دوزي ، وقد ترجمه الى اللغة العربية الدكتور محمد سليم النعيمي وصدرت منه سبعة أجزاء كبيرة حتى عام ١٩٩٢م .

---

(١٠٤) المعجم ص ٥٨ ، ١٥٨ وغيرهما

(١٠٥) تكملة المعاجم ج١ ص٩ .

(١٠٦) تكملة المعاجم ج١ ص٢٧ — ٢٨

ويضم هذا المعجم معظم مواد « المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب » لانه ألفه بعده بسنوات طويلة ، وقد انتفع به انتفاعا كبيرا . وبالمقارنة بين المعجمين اتضح أنه أدخل أكثر من مائة كلمة في الاجزاء المترجمة من مجموع مائتين وست كلمات تنتهي بحرف الضاد في معجم الملابس وهذا عدد كبير وربما ذكر بعضها الآخر في مواضع لم تقع الملاحظة عليها . ولم يكن انتفاع دوزي بمعجمه الاول نقلا وانما ظهرت اختلافات في الشرح والتفصيل والمعلومات .

ومن أوضح ما يبدو في التكملة :

١ ـ يحيل دوزي الى معجم الملابس أحيانا ولا يحيل في أحيان أخرى مثل : التترية ، والشربية ، والترجيل والرصافية (١٠٧) .

٢ ـ يختصر في الشرح ، لانه يحيل الى معجم الملابس أحيانا ، وقد يفصل كما في (الزربون) فقد قال في الزربول والزربون : « أحيل القارىء الى الكلمة الاخيرة اعتقادا مني بان هاتين الكلمتين ليستا سوى تحريف لكلمة شربيل (١٠٨) » .

وتحدث عنها في التكملة وذكر ان (الزربول) نوع من الاحذية ، واشار الى أصل الكلمة ، وخطّأ من ادعى انها صربية ، وأشار الى وجودها في « ألف ليلة وليلة » وان الارقاء كانوا يحتذونها (١٠٩) .

٣ ـ يفسر أحيانا بغير ما فسره في معجم الملابس مثل البدرية ، والبرطل ، والصديري (١١٠) .

٤ ـ يضيف الى المادة أحيانا كما في البريم (١١١) .

٥ ـ يضيف كلمات جديدة تتعلق بالملابس مثل البرنيطة والتبانده والزرماية (١١٢) .

---

(١٠٧) تكملة المعاجم ج٢ ص ٢٤ ، ٩٥ ، ج٥ ص ١٠٥ ، ١٥٤ .

(١٠٨) المعجم ص ١٥٩ .

(١٠٩) تكملة المعاجم ج٥ ص٢٩٦ .

(١١٠) تكملة المعاجم ج١ ص٢٤٥ ، ٢٩٤ .

(١١١) تكملة المعاجم ج١ ص ٣١٢ .

(١١٢) تكملة المعاجم ج١ ص ٣٢١ ، ج٢ ص١٨ ، ج٥ ص٣١٦ .

٦ — يغير أو يصحف بعض الكلمات مثل (التكلازات) التي ذكرها في معجم الملابس باسم (التكلاوات) و (الجنبل) باسم (الجنبر) و (الشنبر) (١١٣) .

٧ — يضرب أحيانا صفحا عن ذكر الملابس في المادة التي يذكرها في التكملة ويقف على المعنى اللغوي وحده مثل الجرز والدنية (١١٤) .

٨ — يصحح أحيانا مثل (السليفة) التي ذكر هوست في كتابه أخبار من مراكش « انها نوع زينة او إكليل للرأس يشبه العذبة ، وتستعمله النساء في مراكش (١١٥) » . وصحح ما ذهب اليه كرابردي همسو من أن الكلمة (سفيفة) وقال : « ولكن ربما كانت هذه الكلمة خطأ مطبعيا » وذكر السليفة في التكملة وقال : « سليفة : ذكرها هوست ويظهر انها خطأ وهي تصحيف سفيفة (١١٦) » .

وليس غريبا أن يبدو هذا الاختلاف بين كتابين لباحث ألف أولهما وهو بين العشرين والثالثة والعشرين ، وألف ثانيهما وهو في كهولته واكتمال عدته ، وكان الاول خاصا بالملابس العربية وهوما يحتاج الى وصف وتفصيل ، وكان الثاني تكملة للمعاجم العربية ، وطبيعة المعجم العام تختلف عن طبيعة المعجم الخاص الذي يبحث في لون من ألوان الالفاظ الحضارية ، وتغير دلالاتها من اقليم الى اقليم ، ومن عهد الى عهد ، واختلاف العرف والتقاليد وطبيعة الامصار . وقد وفق دوزي في عمله في عهد لا تزال فيه المخطوطات غير مطبوعة والمصادر غير معروفة ، وكان « المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب » بداية طريق لن يقف السير فيها ، ورسم منهج لوضع المعاجم الخاصة والمعجم العربي الكبير .

إن الجهد الذي بذله هذا المستشرق ليس بالقليل ، وأن المنهج الذي رسمه

---

(١١٣) تكملة المعاجم ج٢ ص٥٥ ، ٢٠٠ ، وينظر المعجم ص ٨٥ ، ١٠٥ .

(١١٤) تكملة المعاجم ج٢ ص١٨٤ ، ج٤ ص٤١٨ ، المعجم ص١٠١ ، ١٥٢ .

(١١٥) المعجم ص ١٧٥

(١١٦) تكملة المعاجم ج٦ ص١٢٦ .

ليس بالمضطرب، إذ اتضح فيه أهم ما ينبغي الأخذ به في وضع المعاجم الخاصة ومن ذلك :

١ ــ الاهتمام بلون واحد من ألوان الحضارة واستقراء الكلمات الخاصة به وتصنيفها وشرحها .

٢ ــ التنوع في المصادر وعدم الاعتماد على المعاجم اللغوية وحدها .

٣ ــ متابعة الكلمة في المعجم والاشارة الى وجودها وتحديد معناها، أو الاشارة الى عدم وجودها ، والى المصادر التي أخذت منها .

٤ ــ الاشارة الى اشتقاق الكلمة إن وجدت ، والى مادتها اللغوية إن لم توجد .

٥ ــ الاشارة الى أصل الكلمة وتحديد اللغة التي أخذت منها بدقة ، أو الاشارة الى أن أصلها أجنبي إن عز الوصول الى معرفته .

٦ ــ تصحيح ما أصابه التحريف والتصحيف في المعاجم والمصادر ، والدقة في تثبيت الكلمة .

٧ ــ الاشارة الى اختلاف نطق الكلمة في الامصار المختلفة .

٨ ــ متابعة استعمال مدلول الكلمة في الامصار ، وتغيره .

٩ ــ تحديد استعمال مدلول الكلمة ، والنص على الفروق في استعمالها

وطبق دوزي هذا المنهج في معجمه ، وكان دقيقا فيه على الرغم من صعوبة العمل في عهده ، وقد وضع أمامه قبل أن يشرع في العمل شروط الشعبة الثالثة من المعهد الملكي التي أعلنت عن مشروع وضع كتاب عن الملابس العربيـــــة .

ويبقى معجم دوزي بعد هذا معلماً واضحا لمن يريد وضع معجم يجمع فيه ما يخص لونا من ألوان الحضارة ، ويبقى مصدراً مهما لمن يريد أن يدرس الملابس العربية ، ويضع يده على ما مرت به في مختلف العهود والامصار .

❋

المصـــــادر :

١ ـ تكملة المعاجم العربية ـ رينهارت دوزي ـ ترجمة الدكتور محمد سليم النعيمي. أصدرت وزارة الثقافة والاعلام العراقية جزءه الاول سنة ١٩٧٨ ، وجزءه الثاني سنة ١٩٨٠ ، وجزءه الثالث سنة ١٩٨١ ، وجزءه الرابع سنة ١٩٨١ ، وجزءه الخامس ١٩٨٢ ، وجزءه السادس سنة ١٩٩٠ . جزءه السابع ١٩٩٢ م .

٢ ـ القاموس المحيط ـ مجد الدين الفيروزا بادي . القاهرة .

٣ ـ المستشرقون ـ نجيب العقيقي ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ م .

٤ ـ معجم الانفاظ الفارسية المعربة ـ السيد أدي شير . بيروت ١٩٨٠ م .

٥ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ دار صادر ـ بيروت ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م .

٦ ـ المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ـ رينهارت دوزي . ترجمة الدكتور أكرم فاضل وزارة الاعلام العراقية ـ ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م .

ـ المعرب ـ أبو منصور الجواليقي ـ تحقيق احمد محمد شاكر ـ أعيد طبعه بالتصوير في طهران سنة ١٩٦٦ م .

* * *

تراثنا الشعري في أدب الحرب

الدكتور نوري حمودي القيسي
عميد كلية الاداب / جامعة بغداد

لادب الحرب في التراث الشعري صور ملونة تجسدت فيها قدرة الرجال وترسخت من خلالها معاني الاداء القتالي المتميز حتى اصبحت تقاليد المعارك تراثا ادبيا يتوارثه الشعراء ويعتمدونه وهم يقفون عند الايام الحاسمة ويستذكرونه في حالات المواجهة التي يبدي فيها الرجال قدرات خارقة ويظهر المقاتلون حالات من الوفاء الكريم لشرف الدفاع عن الارض وكرم الحماية عن الشرف المصان . . فالشجاعة لها خصائصها وهي تتجلى في الجرأة والتضحية والاقدام والفروسية وتتضح في المروءة والشهامة والنجدة فالحرب رحى ثفالها الصبر ومدارها الاجتهاد وثقافتها الاناة وزمامها الحذر ولكل خصيصة من هذه الخصائص نتائجها ولكل خصلة من هذه الخصال ثمارها فثمرة الصبر التأييد وثمرة الاجتهاد التوفيق وثمرة الأناة اليمن وثمرة الحذر السلامة واذا كان ادب الحرب قد امتد الى مفاصل الحياة العربية بكل اجزائها ودخل مواضع الفخر عبر كل ابوابه وعبّر عن مواقف الرجال من خلال كل الاحاسيس الدافقة التي خالطت المشاعر وهي تتوقد حماسة وتكبر امجادا . . فقد حفل شعر الحرب بصور بقيت تدور على السنة الشعراء وهم يفيضون عطاء ويجودون ابداعا في اغنائها بما يضيفون اليها او يجددون معانيها لتتسع روعة الصورة وتتجلى جوانب البراعة في الوانها وابعادها . . فالكواسر من النسور تلازم الجيش المقاتل ثقتها بأنها ستشبع على قتلى الاعداء . . واصبحت هذه الصورة مألوفة عند الشعراء وهم يتحدثون عن الجيش ثقة بقوتهم وايمانا بنصره واوشكت ان تصبح هذه الالواح من مفاصل البناء الفني لقصيدة الحرب

لانها تحدد مجموعة من القيم وترسخ جانبا من الثوابت ويمكن اعتبار ابيات الافوه الأودي التي يقول فيها (١)

كلما سرنــا تركنــا منـزلا فيه شتى من سباع الارض غاروا
وترى الطيــر عــلى آثارنــا رأي عيــن ثقــة أن ستمــار

انها من اوائل الابيات التي اشارت الى ان الطير تتبع الجيش لتغتذي مما يقتل من الاعداء وقد تابعه النابغة الذي افاض في توسيع اطار الصورة ومد في حالات المصاحبة وجعل الفوز الذي يلازم الجيش فوزا ملازما لهذه الكواسر واكد المعنى بتعودها على ما الفته في كل مرة ترسيخا لفكرة النصر وتوثيقا لحالة القوة التي ادركتها هذه الكواسر وهي تتابع المقاتلين فكانت ابيات النابغة . . (٢)

اذا ما غزوا بالجيش حلــق فوقهم عصائب طيــر تهتدي بعصائب
يصانعهم حتــى يغــرن مغارهــم من الضاريات بالدماء الدوراب
تراهن خلف القــوم خزرا عيونها جلوس الشيوخ في ثياب المرانب
جوانح قــد ايقن ان قبيلـــة اذا ما التقى الجمعان اول غالب
لهن عليهــم عادة قـــد عرفتها اذا عرض الخطي فوق الكواثب

فالنابغة يذكر يوما من ايام العرب هو يوم (حليمة) ويصف جماعات الطير التي تتبع العساكر في زحفها لتنتظر القتلى وقد تواردت جماعات وازدحمت عصائب لتقع عليهم . وما تكاد هذه الجماعات تترك الاشلاء الالتهدي جماعات أخر وقد اتخذت مواقعها لترقب وقت الاغارة وتتهيأ لزمن التحرك وتنتظر الموعد الذي تجد فيه فرصتها للانقضاض فهي تعرف دورها وتعلم مواسم غزوهم . .

وجاء ابو نؤاس على المعنى ذاته حيث قال : (٣)

---

١ . الافوه الاودي . . الديوان / ١٣ المنجي . . واخبار ابي تمام / ١٦٦.
وينظر الموازنة / ٢٦ وهبة الايام / ١٨٨ ومعاهد التنصيص ٤ / ٩٥ .
٢ . النابغة الذبياني . . الديوان / ٤٦ بتحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.
٣ . ابو نواس . . الديوان / ٤٣١ .

واذا مجّ القنا علقـا وتراءى الموت في صوره
راح في ثنيي مفاضته أسد يدمي شبا ظفره
تتأيّا الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره

ولما سمع محمود الورّاق ابا نؤاس ينشد هذه الابيات قال : ما تركت للنابغة شيئا حيث يقول اذا ما غزوا . . وانشد الأبيات. فقال له ابو نواس اسكت فأن كان احسن الابتداع فما اسأت الاتباع . . (٤)

وقد تبع ابا نواس مسلم فقال : (٥)

قد عوّد الطير عادات وثقن بها فهنّ يتبعنه في كل مرتحل

ولما اراد ابو تمام ان يمدح المعتصم وجيشه الذي تصدى لبابك الخرّمي وحركته الهدمية وجد في هذه الصورة تعبيرا عن قوة القائد العربي لوحة يرى فيها النصر المؤزر الذي ينتهي بتمزيق خبر المتمردين الذين تناثرت جثثهم فأستعارها وقد شبّه البنود بالعقبان وجعل عقبان الطير آلفة لها لما اعتادت من اكل لحوم الاعداء وورود دمائهم حيث يقول : (٦)

وقد ظلّلت عقبان اعلامه ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل
اقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش الا انها لم تقاتل

فرايات الممدوح صارت كالعقبان (الرايات الضخمة) مظللة بالعقبان من الطيور النواهل في دماء القتلى لانه اذا خرج للغزو تسير العقبان فوق راياته لأكل لحوم القتلى فتلقى ظلالها عليها ، فأبو تمام الم بالصورة واحاط بتفاصيلها واستوعب قدرتها التعبيرية ولكنه منحها اداء مضافا وزاد عليها زيادات حسنة لبعض المعنى الذي اخله بقوله الا انها لم تقاتل وبذلك استطاع ان يلوّن الصورة بمعنى جليد وزيّن ابعادها بومضات فنية استقامت من خلال الاستثناء الذي رفع التوهم واعاد الى اللوحة زهوها الجديد بما اضاء المساحة التي احاطت

---

٤ . العباسي . . معاهد التنصيص ٤/٩٨
٥ . الصوالي . . اخبار ابي تمام / ١٦٤ والعباسي . . معاهد التنصيص ٤/٩٨
٦ . ابو تمام . . الديوان ٣/٨٢ تحقيق محمد عبده عزام .

بالصورة المألوفة ولم تنقطع اللوحة الحربية والادب العربي يجد فيها كل مرة ومضة تشرق قسماتها في مفاخر الشعراء وتعلو فكرتها في قصائدهم وهي تأخذ حجمها بما يقدمه كل شاعر ليظهر الجانب الذي يستطيع ان يبدع فيه لتكون اباته اكثر وقعا واشد تأثيرا وأجمل اداء وابداعا . .

فهذا مروان بن ابي الجنوب يمدح المعتصم فيقول : (٧)

لا تشبع الطير الا في وقائعه | فأينما سار سارت خلفه زمرا
هوارنا انه في كل معترك | لا يغمد السيف حتى يكثر الجزرا

ويتوارث الشعراء هذا المعنى وهم يقلبون ألفاظه بين تقديم وتأخير ويختارون من مفرداته ما يوافق هواهم ويستقيم على وفق ما يرغبون في اداته

فهذا بكر بن النطاح يأخذ من الافوه الأودي مفردات (السباع) و(ترى) و (ثقة) و (ستمار) ومن النابغة (فوق) و (ترى) و (الجوانح) ومن ابي نؤاس (ثقة) ويبقى اطار الصورة بكل ابعاده هو الاطار العام الذي لا يخرج عنه الشاعر حيث يقول : (٨)

وتـرى السـباع من الجـوا | رح فـوق عسكرنـا جوانـح
ثقـة بأنـا لا نـزا | ل نميـر ساغبهـا الذبائـح

واخذ هذا المعنى ابن جهور فقال وهو يقع في نفس الدائرة التي وقع فيها بكر بن النطاح حيث يقول : (٩)

ترى جوارح طير الجو فوقهم | بين الاسنة والرايات تخفق

ويجمع بعضهم من مفردات مروان بن ابي الجنوب (سار) و (سارته) و (الطير) و (عوارفا) ليصوغ منها بيتا فيقول : (١٠)

والطير ان سار سارت فوق موكبه | عوارفـا انـه يسطو فيقربها

---

٧ . العباسي .. معاهد التنصيص ٤/٩٨ .
٨ . بكر بن النطاح .. الديوان ، والعباسي معاهد التنصيص ٤/٩٩
٩ . العباسي .. معاهد التنصيص ٤/٩٩ وتنظر النماذج الاخرى
١٠ . العباسي معاهد التنصيص ٤ / ٩٩ .

وتنتقل الصورة الى الاندلس لنجد فيها ابن شهيد الاندلسي لوحة يطرز فيها قصيدة من قصائده ويقدمها صفحة يزهو فيها النصر حيث يقول :

ولله دري سباع الطير ان كماته ... اذا لقيت صيد الكماة سباع
تطير جياعا فوقه وتردها ... ظباه الى الاوكار وهي شباع

وتأخذ الصورة مساحتها في شعر القادسية والمعارك الحاسمة تشهد صولات الرجال الاماجد وقدرة المقاتل العراقي الذي الوى حقد البغاة وقد تناثرت جثث القتلى واصبحت طعما للكواسر والضواري حتى شبعت منها وهي تملأ الوهاد والوديان وتكبير المديات التي تحرك فيها الشعراء ليظهروا نزال المقاتلين الاشداء وهم يتركون كل ساحة يحوم عليها البوم والهام والصدى .. لتأتي ابيات الشعراء وهي حافلة بكل المعاني التي وردت في قصائد الشعراء .. ولكن التناول يبقى تناولا آخر ..

ونازلت اقواما على كل ساحة ... فكانوا بقايا يستهين بها الردى
وكانوا نثارا عند كل ثنية ... يحوم عليها البوم والهام والصدى
ويرقبها (الحوم) الذي الف الردى ... وقد علمت اسرابه ما تعودا
(لهن عليهم عادة) في مغارهم ... اذا لمع الخطي يوما وأوردا

وفي ابيات اخرى تدخل الوان جديدة ، وتضاف مفردات تكشف عن البعد الجديد للصورة وان كانت بعضها مقتبسة من الصور القديمة او معتمدة على جزء منها .. وهي تخاطب جند القائد الفذ صدام حسين « حفظه الله » :

عرفن لكم شم الكواسر عادة ... فأتبعنكم يطوين حمر الكواثب
اذا سرتم حلقن فوق جموعكم ... من (الحوم) أسراب ومن كل دارب
عرفن لكم طبعا فكن غوازيا ... يسقن المنايا اثرهم بالضوارب
لعودن ان النصر صنو ركابكم ... اذا سرتم والعز رهن المضارب
ويعرفن ان الموت حتف انوفهم ... وان الذي يرجونه غير آيب

وتصيح (يا حوم اتبع لو جرينا) نشيدا لاكبر المعارك واغنية تهزج بها

حناجر المقاتلين وهم يصولون ادهب الملاحم ويطار دون الغزاة في اشد الايـام . . ليذيقوهم من مرارة الهزيمة ما ظلوا يلعقون جراحة ومن غصص القهر ما عاشوا يذكرونه . .

انها رحلة الصورة التي عاشت في ذاكرة الاجيال وهي تتجدد وارتسمت في قصائد الشعراء وهي تمنح القصائد وفق التاريخ الذي تتواصل حلقاته وخلدة لا تنفصل وتتسلسل تراكيبه اللغوية والادبية اداء بلاغيـا تنسجه تارة الشعراء وتجود به قرائحهم وهي تستلهم النصر من ندرة الرجال وتوثق الظفر في نفوسهم .

من دواعي استثارة الشاعر في ادب الحرب قدرة المقاتلين ومبلـغ شجاعتهم وصلابة موقفهم ومدى ما يملكونه من اساليب قتالية اسهمت فـي تحديد خصائصهم ومنحتهم المكانة المرموقة بين ابناء قومهم لما عرفوا به من مواقف وقدموه من بلاء في المعارك التي شهدتها الايام الخالدة ولا بد ان تترك هذه القدرات اثارها في نفوس القوم وهم يشهدون الرجال الذين يحفظون كرامة القيم وعزة المبادئ وصدق المواجهة ليصبحوا ذخيرة يعتز بها وعدة يعتمد عليها وعونا يلوذون به عند الشدائد وسيفا يشهرونه عند احتدام المعارك ولم تقف خصائص هذا المقاتل عند الاداء القتالي والشجاعة المتميزة التي اهلته لهذه المنزلة وانما جانب المروءة الذي تميز به وهو يجمع الخصال السلوكية والاخلاقية والانسانية التي يتعامل بها ويعرف من خلالها البطل انها صورة اخرى تضفي عليه من الصفات ما يقوي بطولته ويعزز انسانيتـه ويحقق شهرته وهو جانب تتكامل فيه حكمـة العقـل وقـوة الجسـد وتتـوازن في اطاره قدر الشجاعـة وسلامة تقدير الموقف وتتعادل في حدود شرف الكرامة وجلال السمعـة .

لتستقر حصيلة العطاء الذي تبنى عليه قيم الوفاء بما اخذ نفسه به وسمة المنزلة التي تحققت عبر فترات كبيرة فالقوة وحدها لا تمنح الانسان ما ينتزع به تقدير الاخرين والشجاعة المجردة لا تترك له الانسياب الى القلوب التي تصبح عونا له في المواقف الصعبة اذا لم تمازج هذه العناصر مروءة حية

وقيم سامية تتواصل في نتائجها ما يحرص عليه الاخرون وتتمناه الاغلبية التي يتعامل معها البطل . .

وقد ظل الشعراء امناء على نقل هذه الصورة الكريمة التي تمادحوا بها وتفاخروا بريادتها وتضافرت جهودهم من اجل ترسيخ المبادىء التي عاشت في ذاكرتهم ممجدة دورها في التربية الفروسية التي حرصوا على بقائها جذوة متقدة وعززوا مبادئها صورا متواصلة حتى اصبحت قصائد الشعراء اناشيد فخر تلهج بذكرهم واهازيج نصر تشيد بحسن ادائها .

وقد وجدوا في انتمائهم عزا يثير حماستهم وفي انتسابهم قوة توثق صلتهم وفي ارتباطهم بقومهم تواصلا يرفع شأنهم ويشد ازرهم ويبعث في نفوسهم نخوة التضحية وشهامة الوفاء كما وجدوا في ثقتهم ما يضعف ارادة خصومهم ويخضد شوكتهم ويدخل الرعب في قلوب الاعداء لما تتميز به هذه الخصال من هيبة ترهب ، وعلو همة تفزع وشدة بأس تهاب . وهنا كانت مظاهر الشخصية تتسع بمدلولاتها لتجد في كل صفة من صفات الاكتمال وجها للفخر وصورة للتمادح ومأثرة من مآثر الاعتزاز لما تمنحه هذه الصفات من عناصر مضافة وتثيره من اسباب نفسية تكبر من خلالها صورة الانسان وتأخذ حجما يختلف عن حجم الاخرين في الاستثارة والاعجاب لان الاكتمال لايقتصر على القوة وحدها وانما هو حالة التناظر في اجتماع العناصر المتداخلة في تحديد مظاهرها . .

واذا كانت المعاني الحقيقية التي وقف عندها الشعراء قد امتدت لتضيف الى حالات التشبيه ما امتلأ بها الشعر العربي فأن الصور المجازية التي اضيفت الى الابطال كانت خصيصة اخرى بقيت نماذجها معينا ينهل منه الشعراء ومورد اعذبا تستقي منه غرر القصائد لتواصل دورها في العطاء حتى اصبحت بعض التراكيب لونا تزهو به نماذج الحماسة ومجازا اقرب من الحقيقة في الاذهان فاشمم في الانوف مظهر اباء واعتزاز ونصاعة الوجوه شرفا وكرامة وخوض المنايا جرأة واقتدارا والاضحاء للاعداء اذلالا للخصوم واستهانة بهم وركوب الموت رفعة وخلودا واقترنت الحرب بالرفعة والاخوة فكان (اخو الحرب) الدارع الذي يشمر ان شمرت الحرب ساقها . .

وبقي هذا الموروث الشعري في ادب الحرب وجها يشرق في قسماته ابداع الشعراء لما وجدوه في صوره من الوان تقرب الحقيقة وتسهم في ترسيخ قيم البطولة وتعطي المعركة دفقا من الحركة المتواصلة وتدفقاً من الصور المركبة التي احتفظت بقوتها في هذا الموروث واخذت حجمها في التأثير الشعري لقصائد الحماسة . . وهو باب يستغرق المعاني التي احتفظ بها المعجم اللفظي لادب الحرب والصور التي ظلت مدار حديث شعراء الحماسة وهم يستذكرون الرجال الأماجد والوقائع الحربية الخالدة والمواقف البطولية المتميزة . . وسأحاول الوقوف عند بعض هذه الصور التي عاشت حيّة في أدب الحرب على امتداد العصور . حيث يستمد منها الشعراء اخيلتهم وهم يقفون عند بعض المواقف . . ولعلّ صورة الحرب من الصور التي عاشت في الذهن الشعري بكل ما تثيره من مخاوف وتبعثه من صور وتقدمه من نماذج وقد ادرك الشعراء شرورها واهوالها وفواجعها وويلاتها وجناياتها وما تتركه في القلوب من لوعة وتطبعه من حسرات والام . . . . لاتعرف حدودا ولا تستقر عند حالة ولا تنتهي في اطار ولايقتصر ضررها على طرف وانما يصلى بها كارهوها ويفجع بها من اوقد نارها والهب شواظها سعيا من اجل تأجيج أوارها وتطاير شررها حتى اكتوى بها الامنون . ولم يكن موقف الشعراء امام ظاهرتها سلبيا يستسلمون له او يخضعون لارادته او يستجيبون لضغطه وانما كانت المجابهة هي الحالة المطلوبة التي تتمكن من صد تيارها وايقاف شرّها وردّ عواصفها ، ولا يقوى على مثل هذا المواقف الا الفتى الشجاع الذي يستجيب لصرخة قومه ويندفع لنداء اخوته ويفزع اذا سمع الصريخ ونادى المنادي :

اذا القوم قالوا من فتى خلت انني عنيت فلم أكسل ولم اتبلد

واذا كان طرفة بن العبد هو الاستجابة الكاملة لصوت القوم والصدى الحقيقي للنداء المتجاوب في اطراف الصحراء الواسعة . . فأن شموخ امرىء القيس كان حالة من حالات الانبراء والتصدي والوفاء بقيم الصبر ومبادىء

الجلد ومثل الحزم حيث تجلت صرخته وهو يرتفع همة وبلاء ويعلو شموخا واقتدارا .

عليها فتى لم تحمل الارض مثله ابرّ بميثاق واوفى واصبـــــرا

وتكبر دائرة الاستجابة عند عمرو بن كلثوم صاحب انشودة المجد ورائد الصوت البطولي وعازف اغرودة الوفاء والانتماء اذ نراها قاعدة كبيرة من الشباب يستطيبون الشهادة من اجل الخلود ويستعذبون الجهاد اكراما للذكر الحميد .

بفتيان يرون القتــــل مجــــدا وشيب في الحروب مجربينا

ان شدة هول الحرب لا يخففه الا قوة جلد المقاتل ولا يقوى على مصاولته الا الرزين الصابر والجالد المقاوم والمؤمن المقتدر لانه المؤهل للحديث عن المعالي والملتزم بالدفاع عن الحمى والمهيء للخوض في غمار المنايا ، وصولا الى الغاية التي كانت تنتهي اليها هذه المعاني وتصبح المعادلة في حدود نتائجها المنطقية الحكيمة والمقابلة في مجال فرضياتها المعقولة بعد ان تصبح صورة الشجاع مواجهة لصورة الشدة وحالة الاقتدار نظيرة لهول الفجيعة ولوحة التضحية مماثلة لبشاعة الويلات والكوارث التي تخلفها الحرب ذاتها . وهنا تتجلى آثار الرجال الذين يعرفون بقلوبهم الثابتة ومواقفهم الجريئة وحكمتهم المجربة وصلابتهم المعروفة ليحملوا نتائجها من اهاج نارها ويرموا بشرها من اوقد جزلها .

وان امثال هؤلاء الاماجد هم الذين يضعون حدا لها بما يهتدون اليه من اساليب وينهون شرورها بما يتخذونه من مواقف ويقررونه من قرارات . واذا كانت نواجع الحرب التي ادركها الشاعر قد هيأت المناخ الشعري لحالة المجابهة فأن صورتها التي باتت غير واضحة في الشعر هي صورة الرحى التي للمسوا ثقلها واحسوا قدرتها في الطحن وشدتها في السحق وقوتها في التفتيت ومن الطبيعي ان تأخذ مساحتها في الواقعة الشعرية التي التزم فيها الشاعر العربي قبل الاسلام وهو يرى فيها الصورة القريبة والحالة المعاشة والتاثير المباشر ، الذي لا يحتاج فيه الى استعارة مركبة او مجاز تبعد قرينته عن الذهن او تصور

تقلي ينأى بالحالة عن اداتها المتطورة. فمثل ما تجمع الرحى الحب فتنثره طحينا وتفتته اجزاء فأن الحرب في ضراوتها وشدتها تؤدي مهمة الرحى في ثقلها وتصنع صنيعها فتحيل الناس نثارا والاجساد اشلاء والبشر حطاما.. وهي عند كل شاعر لها صورة تقترب من حيث المعنى ولكنها تتباين في تحديد التأثير والمبالغة وتتعدد من حيث الفعل والمساحة التي تتحرك في دائرتها.. فهي عند عمرو بن كلثوم رحى تهلك وتستوعب المناطق الشاسعة وتسحق الاعداد الهائلة بعد ان تتمكن القبضة المحكمة من السيطرة لتطوي ما يلقى اليها وتفني ما تدار عليه وتبتلع من اللهوات ما تطعم به. (١١).

متى ننقل الى قـــوم رحانـا يكونوا في اللقـاء لهـا طحينا
يكون ثفالهـا شرقي نجـد ولهوتها قضاعـة اجمعينـا

واذا كان عمرو بن كلثوم قد ذهب هذا المذهب في التصوير واتسعت قاعدة رحاه لتستغرق هذه المساقات فأن زهير بن ابي سلمى الذي وظف شعره من اجل اطفاء نار الحرب وحاول ان يخلع عليها من الصور ما يروع ومن البشاعة ما يخوف قد قدم لنا صورة اخرى تمثلت في عرك الرحى طاحنة ومعها جلدها الذي يجعل تحتها استغراقا في الابغال واتساعا في المبالغة بعد ان احاطها بما تمكن عليه من الصور المذمومة والضراوة المحرقة والنتاج المشؤم والغلة المكروهة.. (١٢)

متى تبعثوهـا تبعثوهـا ذميمـة وتضر اذا ضريتموهـا فتضرم
فتعرككم عرك الرحـى بثفالهـا وتلقح كشافـا ثم تنتج فتتئـم

وتبقى حركة الرحى مستديرة عند مالك بن خالد الهذلي حيث يقول.. (١٣)

وكأنهم حين استدارت رحاهـم بذات اللظى وادرك القـوم لاعب
اذا أدركوهم يلحقـون سراتهـم بضرب كمـا جد الحصير الشواطب

---

١١. التبريزي، شرح القصائد العشر / ٣٣٣ – ٣٣٤.
١٢. زهير، الديوان.
١٣. السكري. شرح اشعار الهذليين ١ / ٤٦٧.

ونحز الصورة في نفس مهلهل بن ربيعة وهو يرى دوران الرحى وقد استقر ثقلها على ابناء قومه وتثير الصورة في نفسه المـا فيقول . . (١٤)

كأنــا غــدوة وبنــي ابينــا بجوف عنيــزة رحيــا مديــر

وتتحول عند زهير بن جناب الى رحى المنايا التي لا تترك لهم مجــالا للافلات ولا فرصة للفرار فيقول . . (١٥)

واستدارت رحى المنايا عليهــم بليوث مــن عامــر وجنــاب

وتعلو جعجعة رحى ربيعة بن مقروم وهو يفخر بقومه وشدة بأسهم واستعداده للحرب وذكر مفاخر ايامهم وابائهم وبلائهم فيقول . . (١٦)

فــدارت رحانــا بفرسانهــم فعادوا كأن لــم يكونوا رميمــا

يطعــن بجيش لــــه عانــد وضرب يفلــق هامــا جثومــا

وقد اقترنت الرحى بالحرب لما تثيره الصورتان من طحن وسحق وابادة حتى شبه دوران الحرب بدورانها فقالوا . .

ودارت الحرب كدور الارحية . .

واصبحت مفردات (الدوران) و (الرحى) و (الحرب) متلازمة حتى اكتملت وجوهها في تركيب متداخل وتلازم متوافق توحدت فيه المفردات ليصبح لوحة متكاملة كما جاء في قول الشاعر . .

ثم يا نيرات دارت رحانــــــا ورحى الحرب بالكمــــــاة تدور

وتبقى ابيات شعر الحماسة التي استغرقت صورة الرحى وهي تجسد الحرب هي اللوحة المتجددة عند كل حديث كما في قول الشاعر . .

فدرنا كما دارت على قطبها الرحى ودارت على هام الرجال الصفائح

اما عمرو بن قميئة الذي وجد في مفردة الساعة زمنا تشتد فيه الصولة وتتحد

---

١٤ . الاصمعي ، الاصمعيات / ١٧٤ .
١٥ . شيخو ، شعراء النصرانية / ٢٠٩ .
١٦ . المفضل . المفضليات ١ / ١٨٢ .

فيه النتائج وتعرف منه بطولة الرجال. فقد كشف عن الحالة النفسية التي خالجت احساس الفرسان حيث يقول .. (١٧)

فدارت رحانا ساعة ورحاهم ودرت طباقا بعد بدء لقوحها

ويوزع عمير بن جابر الحنفي شدة الرحى بين المتحاربين ويجعلها ساعة وهي الزمن المحدد للاداء القتالي والحقبة التي تنتهي بها دورة الرحى فيقول .. (١٨)

ودارت رحانا ساعة ورحاهم فولوا خزايا والجواعر تقطر

ولابي الغول الطهوي حديث آخر يفدي به نفسه لفوارس لا يضجرون بمكايدة الحرب ومقاساة الشدائد فيها ولا يكرهون المقاتلة اذا دارت رحى الحرب بأهلها . (١٩)

فوارس لا يملون المنايا اذا دارت رحى الحرب الزبون

ويتواصل حديث الرحى عند الشعراء العرب قبل الاسلام وهو في كل مرة يأخذ صيغة و عند كل حالة يتميز بظاهرة وفي اطار كل صورة تتركب استعارة او مجاز او تشبيه لتأخذ وجهامن وجوه البراعة وتؤدي مهمة من مهمات الاداء البطولي الذي تضيفه حالة المجالدة والمصاولة . واذا كانت صورة الرحى قد اخذت هذا البعد في القصيدة العربية قبل الاسلام فأن اصداءها ظلت تتوارد في ثنايا قصائد الحرب التي توهج وقدها وتأجج سعيرها وهي تصطلي حمما وتتفجر لهيبا وغضبا لما تثيره من قوة سحق مدمرة وتمتد الدورة لتأخذ بعدها المجازي عند ابي تمام وهو يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي لتصبح حالة اخرى لما حققه في انتصاراته الباهرة على بابك فيقول .. (٢٠)

اذا ما رحى ادارت سماحة رحى كل انجاز على كل موعد

وهي انتقالة من حالة الانتصار الى حالة السماحة المتمثلة برحى انجاز المواعيد التي وجد فيها ابو تمام لوحة جديدة واستعارة مضافة .

---

١٧ . الاخفش الاصغر ، الاختيارين /٤٢٧ .
١٨ . ابن الشجري ، الحماسة / ١٩٨ .
١٩ . ابو تمام ، الحماسة ، المرزوقي ١/٤٠ .
٢٠ . ابو تمام ، الديوان ٢/٣١ .

على الرغم من الصورة المؤلمة التي عبّر عنها الشعراء وهم يتحدثون عن الحرب وما علق بها من مآسي وفواجع استغرقت من التراكيب الحقيقية والمجازية ما ترك آثاراً محزنة وندوبا عميقة وقلوبا دامية الا ان استمرارها وتواصلها ظل ينحت في الوجود البشري ويأكل من الجرف الانساني مايثخن الجراح ويدلوي الاعداد الهائلة التي خلقها الله لتعمر الارض وتنعم بالخير وتسهم في البناء . . ولكن الانسان الذي ظل يدفع عنه طائلة الفواجع التي تلحقها الحرب والدمار الذي تخلفه كان حريصا على دفعها بما يستطيع وايقافها بما يستطيع بما يقدر عليه وردها بما تهيأت له من اسباب لما كان يراه فيها من اهوال. ولعل صور الحرب التي بقيت تدور على ألسنة الشعراء وهي تتسع في بعض الاحيان لتأخذ مدى اوسع او الوانا مختلفة لتظهر بشكل مخيف. لتثير في النفوس ما يجعلها اكثر استجابة لنداء السلام الذي ينطلق من عقلاء القوم الذين يعرفون نتائجها ويدركون الرعب الحشدي الذي يسيطر على الجمهور وهو يتابع وقائعها تمثل الاحساس بعمق النتائج المترتبة على جناية الداعين اليها وقد حاولت الوقوف عند بعض الصور التي اصبحت منهجا في النقد وخزينا يغرف منه الشعراء ما يلبي نداءهم ويوفي حرصهم الشعري ويغني ثروتهم اللغوية التي تنفعهم في الاداء والعطاء . . واذا كانت الصورة الكبيرة للحرب قد استمدت الوانها من رموز الحياة العربية واستلهمت قدرتها من العناصر التي تمتلك مثل هذه القدرة فان اطرافها واجزاءها وتفاصيلها بقيت تتلوّن بأبداع الشعراء وتزهو بقدراتهم الغنية التي تعطي كل زاوية بعدها المجازي والحقيقي وتمدّها بما ينتهي اليها خيال الشاعر وهي تشرق بتسمات جديدة تضفي على التركيب اللغوي من العطاء ما يجعلها أكثر تعبيرا واوقع في النفس . .

واذا كانت الحرب التي تلتهم الناس وتأتي نتائجها قد شبهت بالرحى لجمعها الناس وابادتهم واهلاكهم فكذلك الحرب تأتي بالمفاجآت والاخطار وتنفرج عن ويلات ومصائب لمن يثير نارها ويديم تأجيجها ويلهب وقودها كلما اوشكت ان تخمد او حاول المصلحون اطفاءها .

وقد وجد الشعراء في الفعل (لقح) تعبيرا عن الصورة المثيرة للحرب والنتيجة التي يمكن ان تقترن بالخلق الجديد والنتاج المنتظر والفعل المطلوب. ولم تأت المفردة مجردة وانما تقترن بمفردات اخرى تلازمها مثل (الحرب) و (حائل) وهو ما حرص الشعراء على تقديمه مستمدين الصورة من الناقة (بازلا) كانت أو (حائلا) . ويبقى الاعشى الذي خبر صروف الحرب وعاصر وقائعها ورسم صورها وافاض في الحديث عنها شاعرا متقدما في تقديم الالوان التي زينت صوره ، فيقول . . (٢١)

اخو العـــرب اذا لقحت بازلا　　　سمـــا للعلا وأحـــل الحمارا

ويبتعد الاعشى في بعض لوحاته ليدخل فيها عناصر جديدة فيقول (٢٢)

كفاه الحـــرب اذ لقحت اياس　　　فأعلى عـــن نمارقـــه فقامـــا

واذا جد الجلو احتدم القتال كالحا مريرا يصرع الرجال ويلوي بالآجال شمرت بالناس شمطاء شديدة فيقول . . (٢٣)

وقد شمرت بالناس شمطاء لاقح　　　عوان شديد هزها فاضلت

واذا كانت (اللاقح) قد اخذت هـــذه المساحة عند الاعشى فأنها كانت تتردد عند غيره من الشعراء وهي تؤدي دورها في العطاء , . فهذا جساس بن مرة يدعو للصبر بعد ان لقحت الحرب لان النـــاقة اذا بقيت اعواما لم تلقح ثم لقحت كانت اقوى اولدها (والنتاج بمنزلة الحرب) مثل يضرب لشدتها وعزة النفس فيقول . . . (٢٤)

فأصبر لبكر فان الحرب قد لقحت　　　وعز نفسك عمن لا يواليها

وتبقى قصيدة الحارث بن عباد التي انشدها معربا عن استهجانه لجناتها

---

٢١ . الاعشى / الديوان / ٤٩ .
٢٢ . الاعشى / الديوان / ١٩٩ .
٢٣ . الاعشى / الديوان / ٢٥٩ .
٢٤ . شيخو ، شعراء النصرانية / ٢٥٠ .

واستنكاره لمن اشعل فتيلها واهاج اوارها صوتا انسانيا وصرخة في وجوه كل الذين يوقدونها رغبة في ازهاق الارواح وتطمينا لنوازع نفسية مريضة مريضة وشغفا في التوسع والاستحواذ فيقول .. (٢٥)

قربـا مربـط النعامـة مني   لقحت حرب وائـل عن حيال

لم اكـن من جناتها علم الله   واني بحرها اليوم صـال

ويقول شاعر آخر .. (٢٦)

اذا ما مخضت الرأي والخطب عاقد   نواصيه بان الصريح من الرغـا

تشيم الظبا حتى اذا الحرب القحت   هززت حساما للجماجم مقذعـا

ولم ينس وهو في غمرة اماديح الرجال اولئك المياسين الذين يفرجون الكرب بالصبر في الهيجاء والمقاومة في النزال والمطاولة في المجابهة فيقول .. (٢٧)

عركت ذنوب الحادثات بجذبة   فهب مشحا لايلائم مضجعا

وما علقت حرب تلقح للـردى   بأصبر منه في اللقاء واشجعـا

واذا كان عامر بن الطفيل قد اتخذ هذا الموقف الذي حمله على ايقاد جذوتها ليلهب ظهور الساعين الى ايقادها فأن الاعشى كان اخاها الذي يسمو علاء ويرتفع نصرا ويسجل موقفا فيقول .. (٢٨)

اخو الحرب اذ لقحـت بـازلا   سما للعـلا واحـل الحمارا

ويتابع عباس بن الحليس الاشجعي هذه الصورة وهو يجد في المفردات التي استخدمها الشعراء طريقا لما يريد التعبير عنه فيقول (٢٩)

فـلا توعدونـا بالقتـال فأننا   بنو الحرب ربتنا وآباءنا قبل

---

٢٥ . الاصمعي ، الاصمعيات /٦٧

٢٦ . الابيوردي ، الديوان /٣٢١ .

٢٧ . الابيوردي ، الديوان /٣٣٥

٢٨ . الاعشى / ٨٢ (صادر)

٢٩ . ابن الشجري ، الحماسة /١٩٧

لقد اصبحت حالة الدفاع عن النفس ظاهرة متميزة وخوض غمار الحرب وجودا لا ينفصل عن حياة العرب وهم يدركون ان اقواما تتحين بهم الفرص وانما تسعى للسيطرة على ارضهم وتحدياً قوميا يتعرضون له . وقد فرض عليهم هذا الواقع مجابهة تناسب التحدي والتزاما بمستوى الاحداث التي تفرض فكانت الحرب وتجربتها والتمرس بها والتهيؤ لها والتدريب عليها وجها من وجوه المقاومة وصوتا من اصوات المعارضة حتى اصبحت مفردات (بنو الحرب) و (فتيان الحرب) و (اخو الحرب) و (اخا حروب) من المفردات المتاثرة في شعر الحماسة وصورا من صور الملازمة الحيّة لما يجب ان يكون عليه الانسان ليدفع عن نفسه الشر ويحمي ارضه من التجاوز ويمنع حما ، من التعرّض . . وقد زخرت معاجم الفرسان بأسماء الشعراء الذين لوّنت صفحاتهم سجل البطولة وافاضت أخبار مروءتهم على جوانب كبيرة وهم يتغنون بالكرامة بعد ان اصبحت مزيجا من التواضع الذي يبتعد بهم عن الضعف والأنفة التي ترتفع بروادها عن الصغائر وتسمو بهم عن الضيم وكثيرا ما تلازم هذه الصفات صفات نفسية تتجسد على ألسنة الشعراء طائفة من مكارم الاخلاق يجدون فيها اعتزازا يسمو بهم عن حالات الضعف وفضائل تنزلهم منازل الرفعة . . فعامر بن الطفيل الشاعر الفارس كان ابن حرب يعرف اساليبها ويخبر فنونها ويعلم وسائلها . . (٣٠)

وانـــا ابن حرب لا ازال اشبّها ســـعرا واوقدهـــا اذا لـــم توقد

واخو الحرب لا يكون الا ساهم الوجه اغبر لما علا وجهه من غبار المعركـــة واصابه من تغيّر قسمات التعبير احساسا بشدتها وتأثرا بأحوالها ولحاتم الطائي حديث عنها يذكر فيه (٣١)

رأتني كأشلاء اللّحام ولن تـــرى اخا الحرب الا ساهم الوجه اغبرا
اخو الحرب ان عضّت به الحرب عضّها وان شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا

---

٣٠ . عامر بن الطفيل ، الديوان /٥٧
٣١ . حاتم الطائي ، الديوان /٧٠

وتحتفظ خصائص (أخ الحرب) بمن يعرف وجهها على حقيقته ويباشرها مرة بعد اخرى ولا يكل امره الى غيره لانه صاحبها المسؤول عنها ، وعارفها الذي يشق غمراتها بما عرف عنه من اقتحام مخاطرها وثبات في شدائدها وتواصل في اداء واجباتها .. كما يصفه زيد الخيل (٣٢)

ليس اخو الحرب العوان بمن تـأى بجانبه ولا السؤوم المواكل

ولكن اخوها كل اشعث دارع يغالي السلاح فوق نهد مناقل

ويبقى المقاتلون ابناء الحروب الذين يطوون صعابها ويخوضون غمارها ويلوون رقاب بغاتها في تعبير مالك بن عجلان اداء لما كان يحققه في ذاته .. (٣٣)

ابناء حرب الحروب ضرّسنا ابكارهـا والعوان والشرف

اما ابناء الحرب فهم الذين يقاتلون مرة بعد مرة اخرى حتى تصبح الحرب عوانا بعد ان كانت بكرا كما اطلقها بشامة بن الغدير فهم الاماجد المكرمون الذين يعتز بهم كل مقاتل ويفخر بهم كل كريم .. (٣٤)

قومي بنو الحرب العوان بجمعهم وللشرفيـة والقنا اشعالها

وان اساليب تربيتها وفنون ممارستها وصيغ التعامل بها تمكن ابناءها وترسخ في بنائهم روح المجابهة والمقاومة حتى يصبحوا نموذجا لها لا يرهبهم الوعيد ولا تخيفهم الغارة .. (٣٥)

اذا ما انتضيناها ليوم كريهة رأيت لها هام العدا تتطاير

وما ادرك الساعون فينا بوترهم ولا فاتنا من سائر الناس واتر

فلا توعدونا بالغوار فأننا بنو الحرب ربّتنا ونحن اصاغر

---

٣٢ . زيد الخيل ، شعراء اسلاميون /١٩٩ .
٣٣ . جمهرة اشعار الحرب /١٢٣ .
٣٤ . ابو تمام / الحماسة ١ /٢٩٥
٣٥ . ابن الشجري ، الحماسة /٥

وتأخذ هذه اللوحة بتفاصيلها نموذجا عند الشعراء وهم يردون على الوعيد ويذكرون تربيتهم الفروسية ونشأتهم منذ الصغر وهي مفردات ترد عند الشعراء الذين يشيرون الى (بنو الحرب) كما نراها في قول حذيفة بن انس الهذلي .. (٣٦).

اتوعدنا كلب بن عوف بخيلها   عليها العذارى يوم شدّت وكرّت
ونحن بنو حرب تربّت صغارنا   اذا ما استدرّت بالاسنة درّت

واذا كانت مفردة (ابن حرب) قد اخذت حجمها عند عامر بن الطفيل فأن مفردة (فتيان حرب) كانت لونا آخر من الوان الشجاعة التي وجد فيها الشاعر قدرة على المطاولة وصوتا من اصوات الفروسية .. (٣٧)

بخيل عليها جنّة عبقرية   وفتيان حرب لاترى فيهم نكسا

ويؤكد سعد بن ابي وقاص على (فتيان حرب) وهو يجد فيهم طليعة متقدمة وقوة ضارية فيقول (٣٨)

وكم من فتية ابناء حرب   على جرد ضوامر كالقداح

وظلت هذه الصورة الكبيرة التي اغناها الشعراء بالوان البطولة وزينوها بقدرة الفرسان هي اللوحة البارزة التي عبّروا من خلالها عن ادائهم الجاد وهيأوا من الاحاسيس والمشاعر للمقاتلين مـا جعلهم اكثر اندفاعا واشد مقاومة واقوى على مواجهة الخصوم ..

واذا كانت بواعث الحرب هي التي تظل ملهبة اسبابها وداعية لاثارتها . واذا كانت نفوس الساعين الى تأجيجها هي النفوس المريضة التي تبقى وراء فواجعها فأن صور الشعراء تبقى بارزة في ثنايا دواوينهم وهي ترى في اسبابها ونتائجها ما يذكرهم بهول فجائعها ومن الطبيعي ان يجد الشعراء في الرجال

---

٣٦ . ابن الشجري ، الحماسة / ١٦٢ ـ ١٦٣
٣٧ . عامر بن الطفيل ، الديوان
٣٨ . ابن الشجري ، الحماسة /٣٧

الاماجد والقادة الميامين ما يحسم الحرب لصالح الخير وينهي التجاوز لمشيئة السلام ويقطع دابر الفتنة استجابة لارادة المبادئ الانسانية النبيلة وكان ابو سعيد الثغري بطل له صورته في قصائد ابي تمام وله مكاتبه في رد الغـزاة وله دوره في التصدي لاولئك الذين كانوا يهددون الحدود الغربية للوطن العربي ولا بد ان يكون له ثقله في قصائد ابي تمام وهو يقطع دابر الفتن ويلوي رقاب المارقين . . (٣٩)

ولرّب حـرب حائـل لقّحتها وتنجتهـا من قبل حيـن المولد
فـإذا بعثـت لنـاكثين عزيمة عصفت رؤوس من سيوف ركّد

ولـلابيوردي تاريخ حافل بتمجيد الامة ووضوح صريح بدفاعه عنها وحس قومي يميز به كثير من الشعراء وقصائده في هذه المعاني اشارات حفل بها ديوانه واتسعت لها اغراضه . حتى اصبحت صورة البطل في شعره فريدة وقدرته في المجابهة موضع اعجاب . وقد وقف — وهو يجالد عصرا تجمعت فيه عناصر الشر — من هذه الحالات موقفا تشهد له فيه قصائده القومية النادرة . .

ومن دواعي الاعتزاز بالتاريخ واسباب استذكاره ما يضمه هذا التاريخ من مواقف عزيزة ويدخره من بطولات نادرة يجد فيها الانسان مدعاة للتوثيب وعاملا من عوامل الاستثارة وصوتا من اصوات المواجهة التي يمكن ان يقاوم بها حالات الارتداد والضعف والتهاون ويكتب بها أحاسيس التردد والانحسار والانكفاء . فلكل امة طريقة تعتمدها في استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها وتخليد ايامها لما تجده في هذه الوسائل من اسباب الاستلهام وعوامل التحسس التي تدفعها الى سلوك المسلك الذي يضمن لها هذا التواصل ويجدد في وجودها جذوة الانتفاض، واقباس الوهج الثقافي .

ووجد العرب في الشعر والكلام اصولا تحيي هذه المآثر لانه يفيد فضيلة البيان على الشاعر الراغب والمادح، وفضيلة المأثرة على السيد : المرغوب فيه اليه

---

٣٩ - ابو تمام ، الديوان ٢/١٣٨.

والممدوح به ، ولانه يعيد الى الذهن الصورة المثلى التي يرغب فيها ويسعى اليها ويتبين وقوعها حتى اصبح الاستلهام جانبا من جوانب الحياة المتجددة التي ترعى الصورة المطلوبة وتحفظ لها رونق الاداء وتجدد فيها طبيعة الحياة التي تشد اسباب التواصل بالظاهرة المستوحاة وتوثق الصلة بالروح السامية التي عاشت في وجدان الانسان وهو يستعيد احداثها ويستقرئ أجزاءها ويرى فيها من المواقف ما يعزز الثقة بالنفس ويوثق الامل بالاقتراب منها ويطوي المسافة الزمنية التي تخللت مسيرته . . وهي في كل مرة تجد صداها في النفوس واثرها في الاداء الادبي والحياتي اشعاعاً يتجلى او موقفا يحدد او ظاهرة تدرس . وقد حفل الشعر العربي بهذه النماذج وهو ينتقل من عصر الى عصر ويستذكر في اغراض وفنون ويضمن في ابيات ومعاني لما تضفيه مفرداته الى النص من قوة موحية من مشاعر وتثيره من احاسيس بعد ان اصبحت الحالة موحية بكل الرموز الدافقة ومثيرة كل العوامل الانسانية التي احتفظت بها حالة الاستلهام او عبرت عنها صورة الايحاء او اقتربت من معانيها حالة المقارنة . وقد قدمت هذه المواقف من الحالات ما اغنت التاريخ البشري بحالات التجسيد المتأثرة بتلك الصورة ووجوه التميز التي عبرت عنها تلك الحالات بعد ان استوعبت ابعاد الظاهرة واستوحت من معانيها السامية ما يضفي على الواقع نموذج التجاوز المحدد لتصبح الحالة غير الحالة والاحساس والمجابهة غير المجابهة بعد ان امتدت الفترة — على بعدها — واقتربت اللحظات — على امتدادها — وقد احتشدت فيها قدرات النفس وخوارق الكوامن ودوافع التمكن لتصغر في عينها جسام الامور وتنتهي في حدودها عظائم المستحيلات وتختفي في مفرداتها روح التراجع والتردد . .

ان روح الاستلهام التي حفلت بها نماذج الشعر تؤكد مدى اتساع حالة التأثير في المساحة الادبية وعمق الايحاء الذي تبثه وهي تأخذ حجمها في التوعية التاريخية وتؤدي دورها في تأكيد العطاء الخير الذي تمتلكه النفس في حالة التحدي . وايمانها بأن المآثرة التي كتبت او المناقب التي سجلت او الافعال الكبيرة التي حفلت بها تواريخ القادة العظام تطل عليهم في كل مرة

وتاجيهم عند كل حالة وتذكرهم بأن التضحية التي سجلت والموقف الذي اتخذ والمكارم التي نسجتها بطولات الخصال الكريمة بقى شواهد مسؤولة تتحمل الاجيال امانة الحفاظ عليها بعد ان تواصلت في وجدان الامة حقبا طويلة وتجددت مناقبها في روائع خالدة من الاعمال لا يمكن اضعافها او تناسيها ولا يجوز التخلي عنها او التنصل من مسؤوليتها لان التاريخ يرفض مسوغات التراجع ويأبى حالة التنازل .. وعندها لا يجد الانسان فرصة تعينه على اسقاط دوره من حالة تراجعه .

ان ترديد الوقائع التاريخية البارزة والاستشهاد بأسماء الابطال الاماجد واستذكار المواقف البطولية الجريئة التي زخرت بها كتب التاريخ كانت مادة ادبية للشعراء وجدوا فيها اسبابا حية للاستثارة ولآلىء مشعة وبراقة يضيئون بها زوايا الحقب ويتورون بأشعاعها صفحات الايام لتظل النصاعة حالة مشرقة ويبقى الوفاء رونقا بهيجا وتعيش البطولة حالة متجددة ترى فيها الاجيال صورتها وتقرأ فيها اولها وتلامس من خلالها خصال الخير وقيم الشجاعة ومبادىء الوفاء . . واذا كان الجانب الحربي في حالة الاستلهام قد جدد مسيرة الاسباب الاساسية فأن الجانب التربوي الذي يعيد للاجيال هذه المواقف قد وجد مساحته في التكوين الشخصي للامة والاعداد التربوي لبقاء الاجيال وقد تشربت حب النماذج التي اختيرت بدقة فكانت دروسا في التربية وحفظت للاجيال روح الوفاء لتلك القيم وهي تدخل الى النفس عن طريق الشعر او الادب فتمازج النفوس وتخالط المشاعر وتعيش في الذات الوانا زاهية تغذي العطاء الذي تقدمه الاجيال وهي ترى صورتها مجسدة وتاريخها حافلا بكل ما يمنحها ثقة التمكن ويرفع عنها رداء اليأس ويزيح عن وجهها قتامة السنين الواجمة . .

ان حديث الاستلهام هذا يروي حكاية التاريخ النقية ويعبر عن الوجدان الصادق الذي احتفظ به الوجدان ليعود في كل مرة هزة عنيفة وصوتا مدويا واشراقة مضيئة تملأ الحياة وتضيء جوانبها وتترك للاجيال فرصة التمثل والابداع ليأخذوا مكانتهم في عالم جديد ومنزلتهم في لوحة الشرف الخالدة . .

واذا كانت قصائد الاعشى الكبير قد افاضت في ذكر ذي قار حتى اصبح شاعر المعركة لاننا لم نجد شاعرا اولاها من شعره ما اولاها الأعشى وهي ظاهرة تحدد لنا مسيرة الشاعر و دوره القومي في احياء انتصارها وتخليد رجالها والتغني بأمجادها والوقوف بحزم بوجوه الغزاة الذين حاولوا تدنيس الارض العربية واستباحة القيم الخيرة التي عاشت في الوجدان العربي بعد ان ترك الاعشى المجال مفتوحا لكل الشعراء الذين وجدوا في هذه المعركة الحاسمة صورة الاستلهام ووجها من وجوه التحدي ولوحة خالدة من الواح البطولة الفذة . . . ومن الطبيعي ان يجد الشعراء العرب الذين ادركوا مكر اولئك الحاقدين وخبروا اساليبهم الخبيثة في تفتيت وحدة الأمة وتشتيت ابنائها والتجاوز على كل قيمة خيرة من قيمها النبيلة يجدوا فيها صوتا قوميا عاليا وصرخة عربية يعبرون من خلالها عن حالات التمرد التي تظهر وصور الغدر التي ترتكب ومظاهر الباطنية التي ترتدي اساليب الخداع والدجل . .

وكانت ابياته التي يفدي فيها بني ذهل بنفسه وناقته ليوم النزال ويدعو الله ان يعلي ذكرهم لانهم ضربوا مقدمة الهامرز في ذي قار حتى انهزمت شر هزيمة وسقوهم كأس الموت المرير بعد ان فاجأهم جند شيبان في حنو قراقر فمزقوا جموعهم ونالوا منهم كل منال ، وهي صورة رائعة من صور الانتصار الكبير الذي تحقق . .

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي وراكبها يوم اللقاء وقلت

هم ضربوا بالحنو حنو قراقر مقدمة الهامرز حتى تولت

اذاقوهم كأسا من الموت مرة وقد بذخت فرسانهم وأدلت

فصبحهم بالحنو حنو قراقر وذي قار فيها الجنود فقلت

فجارت على الهامرز وسط بيوتهم شآبيب موت أسبلت واستهلت

ولم تكن (ذي قار) معركة طارئة او واقعة عابرة او ذكرى سريعة وانما كانت تاريخا شامخا وتجلت فيه ثورة الشموخ وعزة المجابهة وقوة المطاولة وبقيت ذكرياتها ممتدة في الذاكرة العربية التي تستمد منها روح المقاومة وتستلهم من ايامها شدة النضال وقدسية التضحية .

وتبقى شيبان رمزا لجياد القبائل العربية واغنية تعيش في اللحن القومي اغنية خالدة تمجد البطولة بما يرسخ المبادىء الاصيلة فهذا القطامي الشاعر الاموي التغلبي يستعيد دورهم في يوم ذي قار وهم يجالدون كتائب كسرى وجن حمي وطيس الحرب والتهبت اسنة الرماح وادميت حافات السيوف المشرفية يقول .. (٤٠)

وان ثوب الداعي بشيبان زعزعت رماح وحاشت من جوانبها القدر
هم يوم ذي قار اناخوا فجالدوا كتائب كسرى بعدما وقد الجمر

ويجد فيها منصور الذهلي الشاعر العباسي استجابة اخرى واعتزازا اوفى وهو وهو يستذكر ايام ذهل بن شيبان الذين ذهبوا بفضل ذي قار لمشاركتهم فيها وبلائهم المحمود في تحطيم غطرسة الفرس وانتصارهم الباهر في رد كيدهم و دفع حقدهم واسقاط احلامهم التي ارادوا ان ينقلوا اليها فيقول .. (٤١)

لنا وقعة بالحنو ما اعتد مثلها قبائل قحطان ولا من تنزرا
ضربنا ابا ساسان كسرى وجنده وقد كان ذا شغب على الناس إصعرا
قريناهم الخطى حتى كأننا نسوق بذي قار نعاما منفرا
بكل طويل الساعدين شمردل ترى وجهه غب الكريهة ازهرا

وتطول احاديث شعراء شيبان وهم ينبرون في كل مرة للاشادة بما بنته اوائلهم وسجلته مفاخرهم وتركت آثاره رجالهم في هذه المعركة الخالدة حتى اصبح تاريخ القبيلة مقترنا بهذا اليوم وصفات النصر موكولة باولئك الرجال الذين وضعوا حدا فاصلا لامتداد الغزو الاجنبي ومهدوا لمعارك اسلامية جليلة تمثلت فيها جرأة القيم وحالة التحدي وارتفع في مقارعتها صوت الوفاء للارض ومبلغ الاندفاع من اجل الكرامة فكان ابو قطاف الشيباني صوتا اخر من اصوات هذه القبيلة العريقة التي حظيت بمنزلة كبيرة

---

٤٠ . القطامي . الديوان / ١ .
٤١ . ابن الشجري . الحماسة /١٠١ ــ ١٠٢

في معجم القبائل العربية لما حققه رجالها من مكارم وبذلوه من تضحيات وخاضوه من تجربة قومية رائدة فيقول . . (٤٢)

لنا العدد الاثري وبنيان مجدنا رفيع الذرا اركانه لم تهدم
ونحن اناس لا يروع جارنا مخافة ضيم او حذار تهضم
كفينا معدا يوم كسرى جنوده بذي لجب امداده لم تصرم

ويبقى التاريخ حافلا بهذه الذكريات معطرا بأريج الانتصار، فواحا بامجاد الرجال الاماجد وهم يصولون في كل مرة مستمدين من تلك الايام عزيمة الاجداد ومستلهمين من روح المقاومة مبادىء الايمان القويم .
وفي حديث ابي تمام الشاعر الذي ارتفع قمة اخرى من قمم الشعر العربي - والاصالة العربية حديث عن ذي قار حيث يقول . . (٤٣)

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذي قار امالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
والقوس حكاية . .

ويبقى نشيد ابي تمام يتردد وهو يمدح خالد بن يزيد الشيباني ويذكر ذي قار التي وجد فيها صوت الوجدان العربي وهو يتصدى للغزاة ولحن الوفاء الحر وهو يواجه الطامعين فيقول (٤٤) . .

اولائك بنو الاحساب اولا فعالهم درجن فلم يوجد لمكرمة عقب
لهم يوم ذي قار مضى وهو مفرد وحيد من الاشباه ليس له صحب
به علمت صهب الاعاجم انني به اعربت عن ذات انفسها العرب
هو المشهد الفرد الذي ما نجابه لكسرى بن كسرى لا سنام ولا صلب

---

٤٢ . ابن الشجري ، الحماسة ، ٨٥ ـ ٨٦
٤٣ . ابو تمام ، الديوان ١/٢١٧ ـ ٢١٨ .
٤٤ . ابو تمام ، الديوان ١/١٨٧ ـ ١٨٨ .

وشعر الحرب الذي شغل مساحة واسعة في الوجود الشعري العربي ودللت ابياته على حالة الاقتدار المستديمة التي عاشت في الوجدان العربي نزوعا الى الاباء ورد الاسباب التجاوز وايمانا لمحاولات التحدي كان ميدانا لاستخدام القصة التاريخية التي اختزنها الموروث حكمة قصيرة او مثلا سائرا بعد ان وجد فيها دلالة واعية ، واحساسا متقدما لما يمكن ان تؤديه وهي تأخذ مكانها في ابيات القصيدة ، او تقال في سياق الحدث التاريخي او يستشهد بها في تحقيق النتائج المتوقعة واذا كانت للقصة التاريخية المحكية او المنقولة عبر الزمن السحيق وهي تحمل المغزى والفكرة والغرض تدقطعت شوطا في الاستخدام وتوغلت في ثنايا القصائد واستغرقت الافكار التي بقيت تدور في الذهن فأن فكرة الاستلهام هذه وقدرة الاستيحاء التي تخلقها حالة الاستلهام اصبحت حالة من حالات البناء الشعري ، وركيزة من ركائز الاستذكار بعد أن وجد فيها الشعراء مادة جديدة للاستنهاض وينبوعا من ينابيع التوثيب لما تثيره في نفوسهم من مآثر ، وتتركه في نفوس الاخرين من آثار محمودة . .

ان تواصل التاريخ وهو يستعيد الامجاد ويستذكر الايام الخالدة ويوثق في نفوس المقاتلين روح المقاومة كان حافلا بنماذج كثيرة من شعر الحرب وهو يحمل صور البطولة التاريخية الخالدة ويطرز بأيام العرب المجيدة بعد ان اصبحت احداثها مثارا للاعتزاز ومدعاة للفخر (فذي قار) كانت واجهة لبرة من واجهات التوحد ، ورمزا من رموز الانتصار العربي على قوى البغي والشر ، ومأثرة من مآثر الاكتساح الذي انهى اسطورة التوغل الفارسي الى الى جزيرة العرب واسقط حلم الاطماع التوسعية التي منت نفسها بأحتلال هذه الارض ، ومثل (ذي قار) كانت الايام الاخرى التي عاشت في الذاكرة العربية وخلدت صفحات التاريخ . وبقي شعر الحرب في العصور الاسلامية وبعدها يستعيد ايام بدر والخندق والمغازي الاخرى التي سجل المسلمون فيها روائع الانتصار . ويستذكر الملاحم الخالدة التي سجلها الرواد الفاتحون في المدائن والقادسية واليرموك ونهاوند وفي كل مرحلة يجد الشعراء في الايام التاريخية الماضية حافزا من حوافز التوثيب وسببا من اسباب التواصل

ليظل الابناء حاملين اواء الاباء . ومجددين مآثر الرجال وحافظين امانة الاجيال ورسالة الحق يستمدون من تضحية المجاهدين عناصر الاندفاع وقدرات المصاولة والايمان والثبات . .

ان النسق التاريخي الذي تواصلت فيه حركة الامة وتسلسلت فيه افكارها واتسقت احداثها في الاطار المجدد لهذه الحركة ، حقق لها اسباب التواصل الذاتي والحياتي . وامدها بسيل وافر من المواصفات والمواقف التي تركت اثرها الكبير في طبيعة مسيرتها . وهي تستهدي بقيمها الكريمة وخصائصها المتميزة ، والتاريخ الذي حفظ هذا التواصل وحرك في داخلها نوازع الاندفاع وهي تستلهم احداثه ، وتجد في رجالها الميامين نماذجها الخيرة وابطالها الميامين بقي حريصا على ان يفي بأمانته لكل الاجيال ، ويقدم عبر احداثه الجسام المواقف الحاسمة التي عاشت في اعماقه متألقة زاهية ، والشعراء الذين عرفوا التاريخ بدقائقه وتناقلوا اخبار الامم بتفاصيلها ، ووقفوا على اسباب الخلود والرفعة كانوا قادرين على استلهام هذا التاريخ والانتفاع من الاخبار المطوية في صفحاته وكانوا قادرين على توضيح الجوانب البارزة في كل وجه من وجوهه وتوظيف كل حادثة من احداثه لما يوافق اهدافهم ويرسخ في نفوسهم اسباب الحفظ على سلامة الوفاء لكل عبرة من عبره ، فكانت القصة التاريخية التي احسنوا استخدامها وعرفوا المعاني التي يمكن ان تؤديها وجها من وجوه الرمز الحربي، وصورة من صور الحاجة التي يرى نفسه ملزما بالحديث عنها او التعبير عن مغزاها وهو يتمثل بها او يستشهد بمدلولها ، ولم تكن القصة التي يتحدث عنها وهماً ميتا او حالة منسية او صورة باهتة ، وانما كانت اجزاؤها متحركة واحداثها ناطقة توحي للشاعر بالمعاني الكبيرة ، وتخلق في ذاته قدرة الاندفاع على متابعة (اللغز) الموضوعي الذي حملته وهي تعبر السنين ، وتطوف مخيلة الناس وترسخ في موروثهم الثقافي والشعبي ، والشاعر لم يقف امامها حائرا تفزعه غرابتها او تسيطر عليه اخبارها المفاجئة، بعد ان عاشت في ذاته لوحة كاملة، ونظر اليها نظرة ناضجة، واستقرأ تاريخها استقراء احاط بكل ابعادها وما تداخل في تفاسيرها وعلل استخدامها بمدلولها وحاول ان يتنفع من الموعظة التي حملتها والعبرة التي

تحدثت عنها، والمرمى البعيد الذي كانت تسعى اليه . ولم يقتصر استعمالها على شاعر او يتفرد بالدلالة الرمزية التي عبرت عنها شاهد شعري . .

ان استخدام الشاعر الرمز كان ينطلق من الغرض الذي هيأ له القصيدة او دارت حوله المعاني او تحركت في اطاره الاهداف المحددة . .

وقد وجد الشعراء في رموز الشعر العربي مواضع استلهام مثيرة ونوازع استيحاء حادة ، يقرأون فيها التاريخ سيرة وموعظة ، ويحملون المواقف جرأة وبطولة وينشدون الاشعار اسفارا واستعظاما واصبحت (ذي‌قار) واحدة من تلك الملاحم البطولية لتقارب احوالها وتشابه ظروفها وتوافق احداثها . . حتى اصبحت مساحتها في قصائد الحرب واسعة وصورها في مفردات الشعراء حية وتاريخها في سجل الايام متميزا ، لان رمز الانتصار فيها حالة متحققة وظاهرة التحدي في محتواها لازمة ومطلوبة . .

وكثيراً ما كانت تقترن ايامها بأعز الايام ومعاركها بأضرى المعارك وانتصاراتها بأروع الانتصارات . .

رويدك حدثني نقي الشوق نفحة ... يعطرها عند الصباح خيالها
يتيه بها صوت الزمان وتعتلي ... مآثرها في الحاكمات نصالها
ذؤابتها من يوم ذي‌قار روعت ... اطائم كسرى فاستقامت رعالها
وهزت سيوف النصر شيبان اذرعت ... فلولا معد يوم ريعت رجالها
نضاق بها قصر المشتر والتقت ... على كل ركن بالرقاب صقالها
فكان لنا فيها حديث مفاخر ... يروق على كر الزمان مقالها

وفي ابيات اخرى تؤكد قدرة المقاتل الذي يستعيد الصورة ويستذكر الامجاد العظيمة التي تعيد اليه وجه اللوحة الخالدة التي عاشت في الذاكرة . .

يشيرون عزم الموت في كل بارق ... يهاب اذا امضى ويخشى اذا بدا
له في احاديث العدا ما يروعهم ... فكيف اذا كف الرجال تقلدا
وصفحة مجد يوم ذي‌قار اجهزت ... فكان لنا مجد يطول به المدى
بها انتصف العرب الأباة كرامة ... فأبقوا لهم في العز ذكرا مخلدا

★ ★ ★

انهيـار دولـة قرطبـة

مجمـــل اسبابـــه

٤ • أبو عبدالله في المغرب ودفاعه عن نفسه

بقلـم اللـوء الركـن
محمود شيت خطاب
عضو المجمع

نزل أبو عبدالله أولاً في مليلة ، ثمّ قصد إلى فاس واستقر بها (١) ، وتقدّم إلى ملكها السلطان أبي عبدالله محمد الشيخ ، زعيم بني وطّاس (٢) الذين خلفوا بني مرين في الملك مستجيراً به ، مستظلاً بلوائه ورعايته ، معتذراً عما أصاب الأسلام في الأندلس على يده، متبرئاً مما نسب إليه من إثم وتفريط في حق الوطن والدين .

وهذا الدفاع الشهير الذي يقدّمه أبو عبدالله إلينا عن موقفه وتصرّفـه ، هو قطعة رائعة من الفصاحة السياسية والبيان الساحر ، وهو يدل في روحـه

---

(١) ازهار الرياض (١ / ٦٧و٧١) .

(٢) هم بطن من بطون بني مرين ، وقد ظهروا في بداية امرهم بتولي الـوزارة ، ونشأت بينهم وبين بني مرين فيما بعد خصومة ومنافسة . وقام كبيرهم ومؤسس دولتهم أبو عبدالله محمد الشيخ بن زكريا أولا في ثغـر أصيلا ، واستفحل امره ثم زحف على فاس واستولى عليها في سنة (٨٧٦هـ) = (١٤٧٢ م) ، ثم غلب على سائر الجهات والقبائل المحيطة بهـا ، وقامت فوق انقاض ملك بني مرين دولة مغربية جديدة .

وقوّته وروعته ، على تداحة التبعة التي شعر آخر ملوك الأندلس أنّه يحملها أمام الله والتاريخ ، وأمام الأمم الأسلامية والأجيال القادمة كلّها ، على أن هذا الأمير المنكود لم يرد أن ينحدر إلى غمرة النسيان والعدم ، محكوماً عليه دون أن يبسط للتاريخ قضيته ، فيصدر حكمه فيها على ضوء أقواله ودفاعه

وقد كتب هذا الدفاع الشهير ، الفريد في التاريخ الأسلامي ، على لسان أبي عبدالله وزيره وكاتبه ، محمد بن عبدالله العربي العقيلي ، في رسالة مستفيضة قوية مؤثرة ، موجّهه إلى ملك فاس ، وجعل عنواناً شعرياً مشجياً هو : « الروض العاطر الأنفاس في التوسّل إلى المولى الإمام سلطان فاس » . وقد كان العقيلي من أعلام البلاغة في هذا العصر . ولما عوّل أبو عبدالله على الرّحيل إلى المغرب ، جاز العقيلي البحر مع أميره ، وجازت قبل سقوط غرناطة وبعده إلى المغرب جمهرة كبيرة من أقطاب العلم والأدب ، هم البقية الباقية من مجتمع الأندلس الفكري (٣) . وللعقيلي آثار في النثر والنظم تبدو اروعتها كأنها نفثات أخيرة ، لآداب الاندلس المحتضرة ، وكان دفاع أبي عبدالله من أبدعها وأروعها .

وقد تدّم كاتب هذا الدفاع : لدفاعه بعد الديباجة بقصيدة رائعة جاء في مطلعها .

مـولى الملـوك ملـوك العـرب والعجـم
رعيـاً لمـا مثلـه يرعـى مـن الذّمـم

وهي قصيدة طويلة في أكثر من مائة بيت ، وفيها يعطف الشاعر بعد ذلك على مديح ملوك فاس ، وجهادهم في الأندلس ، والأشادة بعلائقهم ببني الأحمر ملوك غرناطة ، فيقول :

---

(٣) ازهار الرياض (١ / ٧١) .

تضيء آراؤهم في كل معضلة
إضاءة السُّرج في داج من الظُّلَم

هذا ولو من حياء ذاب محتشم
لذاب منهم حياءً كلّ محتشم

أنسى الخلائف في حلم وفي شرف
وفي سخاء وفي علم وفي فهم

وناصر الدين في الأقبال فاق ومن
مخبّة العلم أزرى بابنه الحكم

أفعال أعدائه معتلة أبداً
متى يروم جزمها بالحذف تنجزم (٤)

ويلي القصيدة الطويلة دقاع أبي عبدالله المنثور ، في أسلوب يفيض قوّة وبيانا ، وفيه يشير أبو عبدالله إلى حوادث الأندلس ، ويعتذر عن محنته ، ويعترف بخطئه في عبارات مؤثّرة . يقول بعد الديباجة موجّها خطابه إلى سلطان فاس : « هذا مقام العائذ بمقامكم ، المتعلّق بأسباب ذمامكم ، المترجي لعواطف قلوبكم ، وعوارف إنعامكم ، المقبّل الأرض تحت أقدامكم ، المتلجلج اللسان عند مفاتحة كلامكم . وماذا يقول من بوجهه خجل ، وفؤاده وجل ، وقضيّته المقتضية عن التنصّل والاعتذار تجل ، بيد أني أقول لكم ما أقوله لربي ، واجترائي عليه أكبر ، واجترامي إليه أكبر ؛ اللّهم لا بريءٌ فأعتذر ، ولا قويّ فانتصر ، لكنى مستقيل مستنيل ، مستعتب مستغفر ، وما أبرّئُ نفسي إنّ النفس لأمارة بالسوء » . على أني لا أنكر عيوبي ، فأنا معدن العيوب ؛ ولا أجحد ذنوبي ، فأنا جبل الذنوب ، إلى الله أشكو عجرى وبجرى وسقطاتي وغلطاتي ..... » .

---

(٤) انظر المقري في كتابيه : نفح الطيب (٢ / ٦١٧ – ٦٨٢) وازهار الرياض (٧٢ – ١٠٢) .

بيد أنّه يدفع عنه تهم التفريط والزيغ والخيانة ، ويقول : « فمثلي كان يفعل أمثالها . ويحمل من الأوزار المضاعفة أحمالها ، ويهلك نفسه ويحبط أعمالها ، عياذاً بالله من خسران الدين ، وإيثار الجاحدين والمعتدين ، قد ضللت إذن وما أنا من المهتدين . وأيم الله لو علمت شعرة في فوري تميل إلى تلك الجهة لقلعتها ، بل لقطعت ما تحت عمامتي من هامتي وقطعتها. غير أن الرعاع في كل وقت وأوان ، للملك أعداء وعليه أخراب وأعوان ..... وأكثر ما تسمعه الكذب ، وطبع جمهور الخلق إلا من عصمه الله إليه منجذب ، ولقد قذفنا من الأباطيل بأحجار ، ورمينا بمالا يُرمى به الكفّار ، فضلاً عن الفجّار ، وجرى من الأمر المنقول على لسان زيد وعمرو ، مالكم منه حفظ الجبارة .... أكثر المكثرون ، وجهد في تعثيرنا المتعثرون ورمونا عن قوس واحدة ، ونظموا في سلك الملاحدة . أكفراً أيضاً كفرا ، غفراً اللهمّ غفرا ، وهل زدنا على أن طلبنا حقنا ممن رام محقه ومحقنا ، فطاردنا في سبيله عُداة كانوالنا غائظين ، فانفق علينا فتق لم يمكنا له رتق ، وما كنّا للغيب حافظين » .

ثم يقول أبو عبدالله ، لئن كان قد نزل به القضاء ، فثل عرشه ، ونُكس لواؤه ، ومُلك مثواه ، فهو مثلٌ من سواه في ذلك. ولئن كان مروّعاً مصير غرناطة ومصير ملكها وأنجادها ، فأنها لم تنفرد بين قواعد الأسلام بذلك المصير المحزن . ألم يقتحم التتار بغداد ، عروس الأسلام ومثوى الخلافة ، ومهد العلوم ، ويستبيحوا ذمارها وحُرّسها ، ويسحقوا الخلافة وكل معالمها ورسومها ؟ وماذا كانت تستطيع غرناطة إزاء قدرمحتوم وقضاء لا مردّ له ؟ : « والقضاء لا يردّ ولا يصد ، ولا يغالب ولا يطالب ، والدائرات تدور ، ولابد من نقص وكمال للبدور ، والعبد مطيع لا مطاع ، وليس يطاع إلاّ المستطاع ، وللخالق القدير جلّت قدرته ، في خليقته علم غيب ، للأذهان عن مداه انقطاع » .

ثم يعطف إلى التجانه إلى ساحة السلطان بقوله : « وأبيها لقد أرهقتنا إرهاقا ، وجرّعتنا من صاب الأوصاب كأسأدهاقا ، ولم يفزع إلى غير بابكم المنيع الجناب ، المتفتّح حين سُدّتْ الأبواب، ولم تلبس غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألبسنا الملك من الأثواب ، وإلى أمة يلجأ الطفل ايجأ اللّهفان، وعند الشدائد تمتاز السيوف من الأجفان، ووجه الله يبقى، وكلّ ما عليها فان »

ويشير أبو عبدالله إلى ما عرضه عليه ملك إسبانيا ، من الأقامة في كنفه وتحت حمايته فيقول : « ولقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خير فيها ، وأعطى من أمانه ، المؤكد فيه خطّه بأيمانه ، ما يقنع النفوس ويكفيها . فلم نرد نحن من سلالة الأحمر ، مجاورة الصفر ، ولا سوّغ لنا الأيمان ، الأقامة بين ظهرانيّ الكفر ، ما وجدنا عن ذلك مندوحة ولاشاسعة وأمنا من المطالب المشاغب ، حمة شرّ لنا لاسعة » .

ثمّ يشير إلى أنه تلقّى كذلك دعوات كريمة من المشرق للذهاب والأقامة ، ولكنّه آثر الجواز إلى المغرب ، دار آبائه من قبل ، وملاذهم دائماً عند النوائب ، ولم يرتض سوى الانضواء إلا لذلك الجناب ، أعني سلاطين المغرب ، الذين أوصى آباؤه وأجداده بالانضواء إليهم ، وقت الخطر الداهم .

ويختم أبو عبدالله دفاعه ، برثاء مؤثر لملكه ومصيره ، فيقول : « ثم عزاء حسناً وصبراً جميلاً ، عن أرض أورثها مَن شاء من عباده، معقباً لهم ومديلا ، سادلاً عليهم من ستور الأملاء الطويلة سدولا : سنّة الله التي خلت من قبل، ولن تجد لسنّة الله تبديلا، فليطر طائر الوسواس المرفرف مطيرا ، كان ذلك في الكتاب مسطورا ، ولم نستطع عن مورده صدورا ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً » .

ويعود أبو عبدالله بعد هذا الدفاع المستفيض المؤثر ، إلى الأشادة بخلال سلاطين فاس ومآثرهم، ويقرّر أنّه يضع نفسه تحت حماية السلطان ورعايته: « منتظماً في سلك أوليائه ، متشرفاً بخدمة عليائه » ، ليقضي بقيّة عمره في كنفه مصوناً من المخاطر والضيم .

تلك خلاصة الدفاع الشهير الذي تركه آخر ملوك الأندلس للخلف من بعده، وهو دفاع حار مؤثر، يذكرنا بتلك الاعتذارات الشهيرة، التي لجأ إليها الأقدمون في ظروف مختلفة، لتسويغ بعض المواقف والآراء. وقد يقف أبو عبدالله موقف المذنب البرئ معاً، فهو لا يتنصل من جميع الأخطاء، ولكنه يتنصل من تبعة ما حدث، ويصور نفسه قبل كل شيء ضحية القدر، ويدفع عن نفسه بالأخص تهمة التفريط والخيانة والزيغ. فإلى أي حد تتفق هذه الصورة مع الحقيقة، ومع منطق الحوادث والظروف التي وقعت فيها المأساة؟ لقد تبوأ أبو عبدالله عرش غرناطة لأول مرة وهو فتى في الحادية والعشرين، ثم عاد إلى تبوئه بعد ذلك بعدة أعوام، وكان جلوسه في كل مرة نتيجة حرب أهلية مخربة طاحنة. وقد نشأ هذا الأمير الضعيف في بلاط منحل، يضطرم بصنوف الدس والخصومة، ولم تهيئه تربيته وصفاته للاضطلاع بمهام الملك الخطيرة، ولا سيما في مثل تلك الظروف الدقيقة، التي كانت تجوزها مملكة محتضرة. لقد كانت الأندلس تسير إلى قدرها المحتوم، قبل حلول المأساة بزمن بعيد، ولم يك ثمة شك في مصير غرناطة بعد أن سقطت جميع القواعد الأندلسية الأخرى في يد العدو القوي الظافر، ولكن ليس من شك أيضاً في أن الأواخر من ملوك غرناطة، يحملون كثيراً من التبعة في التعجيل بوقوع المأساة فنراهم يجنحون إلى الدعة والخمول: ويتركون شئون الدفاع عن المملكة، ويجنحون إلى حروب أهلية، يمزق فيها بعضهم بعضاً، والعدو وراءهم متربص متوثب يرقب الفرص. وقد كان هذا شأن مملكة غرناطة وشأن بني الأحمر، ولاسيما منذ أوائل القرن التاسع الهجري أو أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، ومنذ عهد الأمير علي أبي الحسن، تبلغ الحرب الأهلية ذروتها الخطرة، ويغدو مصير المملكة الأسلامية رهين رحمة القدر، وقد شاء القدر أن يكون السلطان أبو الحسن، وأخوه محمد بن سعد المعروف بالزغل، وولده أبو عبدالله محمد أبطال للمأساة الأخيرة، حملتهم نفس الأطماع والأهواء الخطرة، فانحدروا إلى معترك الحرب الأهلية، وشغلتهم الحرب الأهلية

طول الوقت عن أن يقدّروا حقائق الموقف ، وأن يستشعروا الخطر الداهم ؛ وأن يستجمعوا قواهم المشتركة لمواجهة العدو المشترك . وانحدر أبو عبدالله إلى أخطر ما في هذه المعركة المميتة من وسائل الأغراء والتفرّق ، فجنح إلى محالفة العدو الخالد ، ولم يحجم عن أن يستعدى ملك النصارى على أبيه وعمّه ، كي ينتزع الملك لنفسه ، فلما ظفر بعرش غرناطة بمؤازرة ملك قشتالة ، لم يكن سوى صنيعته وأسير وحيه . وكان عمّه الزّغل قد بسط سلطانه على الأنحاء الشرقية والجنوبيّة ، فلم يحجم عن مهاجمته في نفس الوقت الذي هاجمه ملك النصارى لينتزع منه ما تحت يده ، وكان الزغل في الواقع بطل المعركة الأخيرة ، وقد أبدى في مقاومة العدو بسالة رائعة خلّدتها سير العصر . ولم يشعر أبو عبدالله بفداحة خطئه إلاّ بعد تحوّل حليفه الغادر ملك قشتالة بجيشه الضخم ، ليحاصر غرناطة ويضربها الضربة الأخيرة ، وكانت قوى غرناطة ومواردها قد بددّت في حروب أهلية عقيمة ، فلم يغن دفاعها شيئاً أمام القوّة القاهرة والقدر المحتوم ، فكانت النكبة وكانت الخاتمة المؤسية . ولم يكن موقف أبي عبدالله خلال تلك اللّحظات الحاسمة في مصيره ومصير أمّته ، سوى موقف الأمير الضعيف المتخاذل ، الذي يسعى إلى سلامة نفسه وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من ذلك التراث العريض الذي أصبح وشيك الزوال ، وهو موقف لم يكن بلاشك مشرّفاً ، ولا متفقاً مع سمات البسالة والتضحية والشهامة .

أليس بعد ذلك أن نحكم على آخر ملوك الأندلس ؟ إنّ أبا عبدالله يحمل أمام الله والتاريخ تبعة لا ريب فيها ، بيد أنّه من الحق أيضاً أن نقول : إنّها ليست تبعة الخيانة المقصودة أو الجريمة العمد ، بل هي تبعة ، التفريط ، والتخاذل ، والخطأ ، وعدم التبصّر في العواقب .

على أنّ عبدالله ، على ما يستحقّه من لوم التاريخ وإدانته على النحو المتقدّم ، يستحقّ من نظرنا تقديراً خاصاً ، لما وفّق إليه من الاحتفاظ بدينه ودين آبائه وأجداده . والواقع أنّ فداحة المحنة التي نزلت به وظروف الأغراء التي كانت تحيط به ، والتي حملت بعض أكابر الزعماء والقادة المسلمين على

التنصّر ، وسعى الملكين الكاثوليكيين إلى تنصير مَن يمكن تنصيره من الزعماء المسلمين ، بكل الوسائل : هذه الظروف كلّها كانت خليقة بأن تحمل أبى عبدالله على الاستجابة إلى دواعي التحريض والأغراء ، فتزلّ قدمه إلى الدرك السحيق الذيّ انحدر إليه بعض قادته ووزرائه ، ولكنه استطاع أن يخرج من هذه المحنة معتصماً بدينه المتين ، وهو ما يشير إليه في دفاعه المقدّم .

واستقر أبو عبدالله بعد جوازه إلى فاس في ظلّ بني وطّاس ، وشيّد بها قصوراً على طراز الأندلس . ويروى أنّه لما نزل أبو عبدالله وصحبه مدينة فاس ، أصابت الناس فيها شدّة عظيمة من الجوع والغلاء والوباء ، حتى غادرها كثير من أهلها ، ورجع كثير من الأندلسيين إلى بلادهم ، وتقاعس كثير منهم عن الجواز إلى المغرب خوف الشدّة والفاقه ، (٥) . وعاش أبو عبدالله في منفاه طويلاً يجرع كأسه المرّة حتى الثمالة ، ويتقلّب في غمر الحسرات والذكريات المفجعة ، ويشهد خلال تلك الأيام المؤلمة ، جهود السياسة الأسبانية في سحق الأسلام بالأندلس ، وسحق مدنيته وكلّ رسومه وآثاره ، ويشهد يد الفناء والمحو ، تعمل لاستئصال هذا الشعب الأندلسيّ النبيل التالد ، من الأرض التي لبث يرعاها ثمانية قرون ، ويثر في أرجائها فيض عبقريته .

وتختلف الرواية في تاريخ وفاة ابى عبدالله اختلافاً بيناً . فيقول لنا المقري في نفح الطيب : إنّه توفى بفاس سنة أربعين وتسعمائة (١٥٣٤م) ، وإنّه دفن بأزاء المصلّى خارج باب الشريعة (٦) . وتذكر لنا الرواية القشتالية القريبة من ذلك العصر ، أنّ أبا عبدالله توفي قتيلاً في موقعة أبى عقبة الشهيرة التي نشبت بين السلطان أحمد أبى العباس الوطاسى حفيد أبى عبدالله محمد الوطاسى وبين خصومه السعديين الأشراف الخوارج عليه ، واشترك فيها أبو عبدالله محارباً إلى جانب أصدقائه وحماية الوطاسيين ، وقد حدثت هذه الموقعة في سنة (٩٤٣ هـ — ١٥٣٦ م) وهزم فيها بنو وطّاس هزيمة

(٥) ازهار الرياض (١ / ٦٨) .
(٦) نفح الطيب (٢ / ٦١٧) والاستقصا (٢ / ١٦٨) .

شديدة (٧) . ويذكر المقرى في : أزهار الرياض فيقول : إنّه توفي بفاس سنة أربع وعشرين وتسعمائة هجرية (١٥١٨م) (٨) ، فأذا صحت الرواية الثانية ، فأن أبا عبدالله يكون قد مات في نحو الخامسة والسبعين من عمره . ونرجّح رواية المقرى الأولى : وهي أن أبا عبدالله توفي بقصره في فاس سنة (٩٤٠هـ) ، أما روايته الثانية ، وهي أنه توفي في سنة (٩٢٤ هـ) فالمرجّح أنها تحريف رقمي للأولى . وترك أبو عبدالله ولدين هما أحمد ويوسف ، واستمر عقبه مستمراً معروفاً بفاس مدى أحقاب ، ولكنهم انحدروا قبل بعيد إلى هاوية البؤس والفاقة . ويذكر لنا المقرى أنّه رآهم سنة (١٠٣٧ هـ — ١٦٢٨ م) معدمين يعيشون على أموال الصدقات (٩) .

ويعرف أبو عبدالله آخر ملوك الأندلس ، في الرواية الأسبانية ، بمحمد الحادي عشر ، بالملك الصغير (Ferey Chilo) تمييزاً عن عمّه أبي عبدالله الزّغل ، ويلقّب أيضاً بالزغيبي ، ومعناها : المنكود ، أو عاثر الجدّ ، تنويهاً بأحداث حياته المؤسية ، وبما أصاب الأسلام على يديه من الخطوب والمحن (١٠) .

وهكذا انتهت حياة أبي عبدالله المتخاذل ، كما انتهت حياة موسى بن أبي الغسّان دفاعاً عن دينه ووطنه ، وشتان بين انتهاء الحياتين ، فليكن أبو عبدالله درساً للمتخاذلين حيث لم يشرف نفسه ولم يشرف أحداً ، وكان وسيبقى لطخة عار في التاريخ ، وليكن موسى بن أبي الغسّان درساً للأبطال ، حيث شرف نفسه ، وشرف دينه وقومه وبلاده بموقفه . وكان وسيبقى مفخرة للعرب والمسلمين وصفحة مشرقة في التاريخ .

ماتا ، وكل حيّ إلى موت ، ولكن شتان بين الموتين .

---

(٧) الاستقصا (٢ / ١٧٧) .

(٨) ازهار الرياض (١/١٦٨) .

(٩) نفح الطيب (٢ / ٦١٧) .

(١٠) الزغيبي : مصغر زغبي ، ومعناها في لهجة أهل غرناطه : المنكود او التعيس ومعناها لماذكره مارمول : التعس الصغير او الرجل المسكين ، انظر دوزي Supp , aux dict , arabs p. 594

ثمرات المعاهدة الغادرة

١ـ مأساة الأندلس ونقص الروايات العربية عن المأساة

لم يكن ظفر إسبانيا النصرانية بالاستيلاء على غرناطة ، وسحق دولة الأسلام بالأندلس ، سوى بداية النهاية في مصير الأمة الأندلسية ، ولم يكن فقد السيادة القومية ، وفقد الاستقلال والحرية ، والذلة السياسية ، والاضطهاد الديني والاجتماعي ، وهي المحن التي تنزل عادة بالأمم المغلوبة ، سوى لمحة صغيرة يسيرة مما كتب على الأمة الأندلسية أن تعانيه على يد إسبانيا النصرانية فقد كان مصير مسلمي الأندلس بعد ضياع دولتهم وزوال ملكهم ، من أروع ما عرفت الأمم الكريمة المغلوبة ، وكان مأساة من أبلغ مآسي التاريخ .

تلك هي مأساة الموريسكيين أو العرب المتنصرين ، ومن الأسف أنّ الرواية الأسلامية لم تخص الأمة الأندلسية بعد سقوط غرناطة بكثير من عنايتها ، ولم ينته إلينا عن تلك المأساة سوى رسائل وشذور يسيرة . بل لم ينته إلينا سوى القليل عن مراحل الأندلس الأخيرة قبل سقوط غرناطة ، ولا توجد لدينا عن تلك المرحلة سوى رواية إسلامية واحدة هي كتاب :ـ « أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر » الذي كتبه في سنة (٩٤٧ هـ ـ ١٥٤٠ م) أعني بعد سقوط غرناطة بخمسين سنة ، كاتب مجهول فيما يبدو ، من أشراف غرناطة الذين بقوا فيها ، وأرغموا على التنصر ، ولكنهم بقوا مع ذلك مسلمين في روحهم وسريرتهم . وقد كانت هذه الرواية أساساً لكل ما كتبه المسلمون المتأخرون عن سقوط غرناطة . ولم تصل إلينا إلى جانب هذه الرواية الوحيدة ، سوى رسائل وشذور وقصائد نقلها المقري في كتابه : « أزهار الرياض » ، ومعظمها مما كتبه أدباء المغرب عقب وقوع المأساة بقليل.

ونستطيع أن نرجع هذا النقص في الرواية الأسلامية عن حوادث المأساة الأندلسية إلى عاملين : الأول هو أنه في عصور الأحتلال والسقوط ، تخمد

الحركات الأدبية والفكرية ، وتقل العناية بالتدوين التاريخي كما تقل في جميع نواحي التفكير والأدب ، وأن نظام الطغيان المطبق والاضطهاد المروع ، الذي فرض على العرب المتنصرين ، كان كفيلاً بأخماد كل صوت وتحطيم كل قلم ، والثاني وهو ما نرجحه هو فقدان معظم الكتب والوثائق العربية التي وضعت في هذا الوقت ، والتي استطاع المقرى أن ينقل شذرات منها ، مما يدل على أن بعضها كان موجوداً حتى عصره ، أعني في القرن السابع عشر الميلادي . ومن الغريب أن صاحب : « أخبار العصر » ، لم يقدم إلينا عن مأساة العرب المتنصرين سوى نبذة يسيرة مع أنه عاصر معظم حوادثها ، وشهدها على الأغلب . ولسنا نجد ما تفسر به هذا الصمت من جانب الرواية الأسلامية الوحيدة ، التي انتهت إلينا ؛ عن سقوط غرناطة ، وما تلاه من الحوادث والخطوب ، إلا نظام الأرهاب الشامل ؛ الذي سحق كل متنفس للشعب المغلوب . ومن الواضح ان هذا الارهاب يضاعف الرقابة على أصحاب الأقلام : ولا يرحم من يعلم أنه يسجل عليهم جورهم وأعمالهم الشنيعة الظالمة ، ويحرص على كم الأفواه وللسكوت عن الظلم ، وعدم التفوه باللسان أو بالقلم بما يدور من أحداث ظالمة شنيعة .

على أن هذه المرحلة المؤلمة من تاريخ الأمة الأندلسية ، تشغل بالعكس في تاريخ إسبانيا القومي ، حيزاً كبيراً يمتد زهاء قرن وربع ، وتخصه الرواية الأسبانية بكثير من عنايتها . ولكن الرواية الأسبانية ، تتأثر دائماً بالعوامل القومية والدينية إلى أبعد حد ، وتنظر دائماً إلى ذلك الاستشهاد المفجع ، الذي فرضته إسبانيا على العرب المتنصرين ، وإلى تلك الأعمال المروعة التي كانت ترتكبها محاكم التحقيق (١) باسم الدين ، وإلى تلك الوسائل البربرية التي اتخذت لتشريد العرب المتنصرين وإبادتهم ، بعين الكبرياء

---

(١) هو المعروفة خطأ ، بمحاكم التفتيش .

والرضى، وترى فيها دائماً نوعاً من الأنقاذ القومي، وتطهيراً للدين والوطن من آثار الأسلام الأخيرة. وهي تحيط هذه المرحلة من تاريخ إسبانيا بكثير من القصص والأساطير الحماسية، التي تشيد بظفر اسبانيا النصرانية، وبما أسبغت العناية الألهية على خطتها وسياستها، في إبادة تراث العرب والأسلام، وفي القضاء إلى الأبد على آثار تلك الدولة الأسلامية المجيدة، التي ازدهرت في إسبانيا زهاء ثمانية قرون، وعلى حضارتهم وآدابها، وكل ذلك التراث العظيم الباهر

على أنّ الرواية الأسبانية، بالرغم من تأثرها العميق بالعوامل القومية والدينية، تعرض علينا حوادث هذا النضال الأخير في أسلوب مؤثر. وقد لا تضن في بعض المواطن والمواقف بعطفها، وأحياناً بأعجابها، على تلك الأمة المغلوبة الباسلة، التي لبثت تناضل حتى الرمق الأخير عن كرامتها، وعن تراثها القوميّ والروحيّ.

ولسنا نظلم كتاب الأسبان النصارى، إذا قلنا: إنهم يمثلون التعصب الأعمى تمثيلاً عملياً، حتى كأنّ التعصب تصوّر فيهم أناساً يمشون على الأرض ويكتبون، فهم يتعصبون تعصباً أعمى لا مزيد عليه في القضايا الدينية والقومية، ويتعصبون تعصّباً أعمى لا مزيد عليه على كل مسلم وكل غربي.

ويرون حسناً ما ليس بالحسن، حتى يلمس من يقرأ آثارهم بوضوح انحرافهم الشنيع عن جادة الحق واتجاههم الواضح الصريح عن كل نوع من أنواع المناهج العلمية في البحث والتأليف، فهم بقدر تعصبهم لقومهم ودينهم، متعصبون على غيره من القوميات الأخرى والأديان وبخاصة العرب والأسلام.

إنّ الدراسات الأسبانية الخاصة بالأسلام والعرب، التي كتبها الأسبان، لا يعتمد عليها ولا يوثق بها عامة، وهذا هو القاعدة، ولا عبرة بالاستثناء.

٢ ـ التنصير وحرق الكتب العربية

لبثت السياسة الأسبانية مدة قصيرة ، بعد سقوط غرناطة ، تلتزم جانب الروية والاعتدال . واتخذت الأهبة لنقل المسلمين الراغبين في الهجرة إلى المغرب ، وهاجر كثير من أشراف غرناطة ، بعد بيع أملاكهم بـأبخس الأثمان (٢) . وفي مقدمة المهاجرين بنو سراج وأنجاد غرناطة القدماء ، فأقفرت مناطق بأسرها من أعيان المسلمين ، ولا سيما منطقة البشرات ، وكان تدفق سيل المهاجرين دليلاً على أن الشعب المغلوب لم يكن واثقاً من ولاء سادته الجدد ، وأنه كان ينظر الى المستقبل بعين التوجس والريب .

وقد كان ممن هاجر من غرناطة الى العدوة عقب سقوطها بقليل جماعة من أهلها برئاسة زعيم جندي هوأبو الحسن المنظر ، وكان من أكابر جنـد الجيش الغرناطي ، نعمروا مدينة تطوان وكانت يومئذ خربة ، وكان ذلك في سنة (٨٩٨ هـ ـ ١٤٩٢ م) . ومن ذلك الحين تغدو تطوان ملاذاً لكثير من الأسر الأندلسية التي أرغمت على التنصير ، ثم آثرت الهجرة إلى دار الاسلام فراراً من اضطهاد الأسبان ومحاكم التحقيق ، وعادت إلى دينها القديم ، وما زالت أعقابهم بها إلى اليوم (٢) .

ولكن السياسة الأسبانية كانت تخشى دائماً هذا الشعب الذكي النابـه ، وكانت الكنيسة تجيش دائماً بنزعتها الصليبية القديمة ، وتضطرم رغبة في القضاء على البقية الباقية من الأمة الاسلامية في إسبانيا ، وكانت مملكة غرناطة ما تزال تضم كتلة مسلمة كبيرة ، تربطها بثغور المغرب صلات وثيقة ، هذا عدا ما كان من جموع المدجنين في منطقة بلنسية ، وفي منطقة قشطلة وغيرها من بلاد أراغون ، وكان كثير من أولئك المدجنين ، إلى ما بعد سقوط غرناطة بأعوام عديدة ، يحتفظون بدينهم الاسلامي . وكان وجود هذه الكتلة المسلمة في قلب إسبانيا النصرانية ، شغلاً شاغلاً للسياسة الأسبانية .

---

(٢) ازهـار الرياض (١ / ٦٧) .

(٢) الاستقصا (٢ / ١٦٢) ومختصر تاريخ تطوان محمد داود ـ (١٤ ـ ١٧) .

والظاهر أنّ السياسة الأسبانية ، لبثت مدى حين مترددة في انتهاج المسلك الذي تسلكه إزاء المسلمين ، وقد كانوا من أهمّ عوامل النشاط والرّخاء والعرفان في إسبانيا ، وكانت براعتهم قدوة في الزراعة والصناعة والعلوم والفنون ، وخلالهم قدوة من النشاط والمثابرة والزهد والعفّة والرفق ، وكانوا على الجملة من أفضل العناصر الذي يمكن أن تضمّهم دولة متمدنة (٣) ولكن الكنيسة كانت تضطرم حماسة في سبيل تحقيق مُثلها ، ولم تكن السياسة الأسبانية في تلك الأيام من تاريخ إسبانيا سوى أداة لينة في يد الكنيسة ، التي بلغت عندئذ ذروة قوّتها ونفوذها .

ويصف لنا مؤرّخ إسباني ، عاش قريباً من ذلك العصر ، نيات الكنيسة نحو المسلمين في قوله : « إنّه منذ استولى فرديناند على غرناطة ، كان الأحبار يطلبون إليه بإلحاح ، أن يعمل على سحق طائفة محمد في إسبانيا ، وأن يطلب إلى المسلمين الذين يودون البقاء ، إما التنصير ، أو بيع أملاكهم والعبور إلى المغرب ، وأنه ليس في ذلك خرق للعهود المقطوعة لهم ، بل إنقاذ لأرواحهم ، وحفظ لسلام المملكة ، لأنّه من المستحيل أن يعيش المسلمون في صفاء وسلام مع النصارى ، أو يحافظون على ولائهم للملوك ، ما بقوا على الأسلام ، وهو يحثهّم على مقت النصارى أعداء دينهم » (٤) .

ولم تكن هذه السياسة في الواقع بعيدة عما يخالج ملكي إسبانيا ، فرديناند الخامس ، وزوجه الملكة المتعصبة إيزابيلا الكاثوليكية ، من شعور نحو المسلمين ، ولم تكن العهود التي قطعت للمسلمين بتأمينهم في أنفسهم وأموالهم ، وأحترام دينهم وشعائرهم ، لتحول دون تحقيق السياسة القومية . ذلك أنّ فرديناند لم يحجم قط عن أن يقطع العهود والمواثيق متى كانت سبيلاً لتحقيق مآربه ، وأن يسبغ على سياسته الغادرة ثوب الدين والورع، ولكنه لم يعتبر نفسه قط ملزماً بعهود ويقطعها متى أصبحت

---

(٣) ج Dr. Lea the moricocos , P.

(٤) Luisdel Marmol : Reletion castigo de los Moriacorde Granada : L Cap . 2. xxII

تعارض سياسته وغايته، ويعلق النقد الغربي الحديث على ذلك بقوله : « ولو نفذت العهود (التي قطعت لسلمى غرناطة) بولاء ، لتغير مستقبل إسبانيا كل التغير ، ولتفوقت المملكة الأسبانية في فنون الحرب والسلم ؛ وتوطدت الأسبانية في فنون الحرب والسلم ، وتوطدت قوتها ورخاؤها . ولكن ذلك كان غريباً على روح العصر الذي إنقضى، وأقضى التعصب والجشع إلى المطاردة والظلم، وأنزلت الكبرياء والقشتالية بالمغلوبين ذلة مروعة، فاتسعت الهوة بين الأجناس على كر الزمن ، حتى استعصى الموقف ، وأدى إلى علاج كان من جرائه أن تحطم رخاء اسبانيا » (٥) .

وأخذت سياسة الإرهاق تجرف في طريقها كل شيء ، ونشط ديوان التحقيق (Jaqlvisition) أو الديوان المقدس ، يدعمه وحي الكنيسة وتأييد الملك ، إلى مزاولة قضائه المدمر ، وكانت مهمة هذه المحاكم الكنيسة المروعة أن تعمل على حماية الدين (الكثلكة) ومطاردة الكفر والزيغ بكل ما وسعت ، وكان جل ضحاياها في البداية من يهود ومسلمين ثم الموريسكين أو العرب المتنصرين ، وكانت إجراءات هذه المحاكم تنافي كل عدالة وكل قضاء متمدن .

وهكذا فانه لم تمض بضعة أعوام على تسليم غرناطة، حتى بدت نيات السياسة الأسبانية واضحة للمسلمين ، وكانت الكنيسة تحاول خلال ذلك أن تعمل لتحقيق غايتها ، أعنى تنصير المسلمين ، بالوعظ والأقناع ، ومختلف وسائل التأثير المادية : ولكن هذه الجهود لم تسفر عن نتائج تذكر ، فجنحت الكنيسة عندئذ إلى سياسة العنف والمطاردة وأذعنت السياسة الأسبانية لوحى الكنيسة ، ولم تذكر ما قطعت من عهود مؤكده للمسلمين باحترام دينهم وشعائرهم ، وكان روح هذه السياسة العنيفة حبران كبيران هما؛ الكاردينال خمنيس مطران طليطلة ؛ ورأس الكنيسة الأسبانية ؛ والدون ديجوديا ، المحقق العام لديوان التحقيق . (٦)

---

(٥) . Dr . Lea : the moriscos p. 22.

(٦) كان المحقق العام وهو قاض قضاة الديوان ، يمثل يومئذ اعظم السلطات الدينية والقضائية في اسبانيا .

وحاولت السياسة الأسبانية من جانبها أن تسبغ على هذه التصرفات ثوب الحق والعدالة، فأخذت في تحوير العهود والنصوص التي تضمنتها معاهدة التسليم، وتعديلها وتفسيرها بطريق التعسف والتحكم، ثم خرقها نصاً فنصاً، واستلاب الحقوق والضمانات الممنوحة تباعاً، فأغلقت المساجد، وحظر على المسلمين إقامة شعائرهم، وانتهكت شعائرهم وعقائدهم وشريعتهم(٧). وأدرك المسلمون ماترمي إليه السياسة الكنيسة من محوز دينهم ولغتهم وشخصيتهم، ودوت في إذانهم تلك الكلمة الخالدة والنبؤة الصادقة التي أبقاها إليهم فارس غرناطة موسى بن أبي الغسان يوم اعتزموا التسليم للعدو: «أتعتقدون أن القشتاليين يحفظون عهودهم، وأن يكون لهذا الملك الظافر من الشهامة والكرم ماله من حسن الطالع؟ لشد ما تخطئو إنهم جميعاً ظمئون إلى دمائنا والموت خير ما تلقون منهم. إنما ينتظركم شر الأهانات، والانتهاك والرق ينتظركم نهب منازلكم واغتصاب نسائكم وبناتكم، وتدنيس مساجدكم. تنتظركم المحارق الملتهبة لتجعل منكم حطاماً هشيما».

وكان فرديناند يخشى في البداية عواقب التسرع في تنفيذ هذه السياسة، لأن الأمن لم يكن قد توطد بعد في المناطق المستولى عليها، ولأن المسلمين لم ينزع سلاحهم تماماً، وقد يؤدي الضغط إلى الثورة، فتعود الحرب كما كانت ولكن انتهى الى الخضوع إلى رأي الكنيسة: واستدعى الكاردنيال خمنيس إلى غرناطة ليعمل على تحقيق مهمة تنصير المسلمين، فوفد عليها في (شهر حزيران – يونيه سنة ١٤٩٩ م – ٩٠٥هـ)، ودعا أسقفها الدون تالافير إلى اتخاذ وسائل فعالة لتنصير المسلمين، وأمر بجمع فقهاء المدينة، ودعاهم إلى اعتناق النصرانية، وأغدق عليهم

---

(٧) اخبار العصر (٥٤).

التحف والهدايا ، فأقبل بعضهم على التنصير ، وتبعهم جماعة كبيرة من العامة ، واستعمل الوعد والوعيد والبذل والأرغام في تنصير بعض أعيان المسلمين .

وكان قد اعتنق النصرانية قبل سقوط غرناطة وبعدها ، جماعة من الأمراء والوزراء ، وفي مقدمتهم الأميران سعد ونصر ، ولدا السلطان أبي الحسن ، من زوجه النصرانية اليزابيث دي سوليس المعروفة باسم ثريا ، فقد نصرا ومنحا ضياعاً في أرجبة ، وتسمى أحدهما باسم : الدوق فرناندو دي جرانادا ، أي صاحب غرناطة ، وخدم قائداً في الجيش القشتالي ، واشتهر في غيرته بخدمة العرش . وتسمى الثاني باسم : دون خوان دي جرانادا(٨) . وتنصر سيدي يحيي النيار قائد المرية وابن عم مولاي الزغل ، عقب تسليمه لألمرية ، وتسمى باهم : الدوق بيلور دى جرانادا فنيجاس ، وتزوج من دونيا خوانا دي مندوثا وصيفة الملكة . وتنصر الوزير أبو القاسم بن رضوان بنيغش ومعظم أفراد أسرته ، وعادت أسرته تحمل لقبها القشتالي القديم : (Los Venegas) ، واشتهرت في تاريخ إسبانيا الحديث ، وأنجبت كثيراً من القادة والأحبار . وتنصر آل الثغري الذين اشتهروا في الدفاع عن مالقة وغرناطة سراً ، وسمي عميدهم باسم : جونثالفو فرنانديث ثجرى . وتنصر الوزير يوسف بن كماشة ، وانتظم في سلك الرهبان ، وهكذا اجتاحت موجة التنصير كثيراً من الأكابر والعامة معاً .

وتمركزت حركة التنصير في غرناطة بالأخص في حي البيازين ؛ حيث حول مسجده في الحال إلى كنيسة سميت باسم : سان سلفادور (٩) . واحتج بعض أكابر المسلمين على هذه الأعمال ، ولكن ذهب احتجاجهم وتمسكهم بالعهود المتطوعة سدى . وثار أهل البيازين ، وتحصنوا بحيهم

(٨) Hernando de Baeza , ibid, P. 65

(٩) ماتزال كنيسة سان سالفادور تقوم حتى اليوم على موقع مسجد البيازين القديم ، ولا تزال توجد (مؤخرتها بعض عقود المسجد القديمة .

وندّدوا بخرق العهود ، فبذل الكاردينال خمينس وحاكم المدينة ، جهوداً خادجة لأقناعهم بالهدوء والسكينة ، وبذلوا لهم من التأكيدات والضمانات الكلامية ما شاءوا (١٠) .

ولم يقف الكاردينال خمنيس عند تنظيم هذه الحركة الأرهابية ، التي انتهت بتوقيع التنصير المغصوب ، على عشرات الألوف من المسلمين قسراً ، ولكنه قرنها بارتكاب عمل بربريّ شائن ،هو أنه أمر بجمع كل ما يستطاع جمعه من الكتب القربية من أهالي غرناطة وأربى منها ، ونظمت أكداساً هائلة في ميدان باب الرّملة ، أعظم ساحات المدينة ، ومنها كثير من المصاحف البديعة الزخرف ، والاف من كتب الآداب والعلوم ، وأضرمت النار فيها جميعاً ، ولم يستثن منها سوى ثلاثمائة من كتب الطب والعلوم ، حملت إلى الجامعة التي أنشأها في مدينة لكالا ذي هنارس ، وذهبت ضحية هذا الأجرام الهمجيّ عشرات الألوف من الكتب العربية ، هي خلاصة ما بقي من تراث الفكر الأسلامي في الأندلس (١١) .

وليس المؤلفون العرب والمسلمون وحدهم الذين ليصفون عمل خمنيس بالبربرية والهمجيّة ، بل قالها ويقولها المنصفون من الغربيين ، فمثلاً يشير المستشرق الأيطالي الأب سكيابرللى (Schiafarelli) في مقدمة إحدى كتبه إلى : « التعصب الكاثوليكي ، وثورات خمنيس البربرية التي ترتب عليها حرق المصاحف والكتب الأسلامية الأخرى لمسلمي غرناطة ،وذلك لكي يتوسل إلى تنصيرهم » .

---

(١٠) Luis del Marmol ; ibid . 1 . Cap . xx111

(١١) يختلف المؤرخون الأسبان في تقدير عدد الكتب العربية التي احرقت ، فيقدرها دي روبلس الذي كتب بعد ذلك بقرن كتاباً عن حياة الكاردينال خمنيس : بمليون وخمسة آلاف كتاب . ويقدرها برمندث دى بدرانا الذي كتب بعده بقليل بمائة وخمسة وعشرين الفاً ، ويقدرها كوندي بثمانين الفاً ،

ويقول المؤرخ الأمريكي وليم برسكوت : « إنّ هذا العمل المحزن لم يقم به همجيّ جاهل ، وانماجد مثقّف ، وقد وقع لا في ظلام العصور الوسطى ، ولكن في فجر القرن السادس عشر ، وفي قلب أمة مستنيرة ، تدين إلى أعظم حدّ بتقدّمها ، إلى خزائن الحكمة العربية ذاتها » . ثم يشير إلى ما ترتّب على هذا العمل بقوله : «ولقد غدت الآداب العربية نادرة في مكتبات نفس البلد الذي نشأت فيه ، وإنّ الدراسات العربية التي كانت من قبل زاهرة في إسبانيا ، حتى في العصور الأقلّ لمعاناً ، انهارت لأنها عدمت غذاء يؤدها ، وهكذا كانت النتائج المحزنة للمطاردة التي يراها بعضهم أشد تقويضاً من تلك التي توجّه إلى الحياة ذاتها .

علماً أنّ هذا العمل الذي يثير النقد الغربيّ الحديث وزرايته ، يجد مع ذلك بين العلماء الأسبان من ليسوغه ، بل ويمجّده . وقد تولىّ المستشرق سيمونيت الدفاع عن الكاردينال خمنيس ، الذي يصفه بأنّه أحد أمجاد الكنيسة الأسبانية ، في رسالة عنوانها : « الكاردينال خمنيس دي سيسنيروس والمخطوطات العربية الغرناطية (١٢) » ، يقول فيها : إن ما قام به الكاردينال من حرق الكتب أمر لا غبار عليه ، أذ هو إعدام للشيىء الضار ، وهو بالعكس أمر محمود ، كما يعدم عناصر العدوى وقت الوباء ، وإنّ الملكين الكاثوليكيين قد أمرا بعد تنصير المسلمين أنّ تؤخذ منهم كتب الشريعة والدين ، لكي تحرق في سائر مملكة غرناطة ، أن يسلّموا سائر الكتب العربية التي لديهم سواء في الدين أو الشريعة أو كتب الطب والفلسفة والتاريخ أو غيرها إلى قاضي الجهة ، وذلك في ظرف خمسين يوماً من تاريخ هذا الأمر ، لكي يفحصها القضاة ، وتؤخذ منها كتب الدين والسنّة ، ويرخصها القضاة بعد ذلك بحيازة غيرها . ويدافع سيمونيت عن تصرّف الكاردينال خمنّيس

---

(١٢) Prescolig ibid . P . 453 - 454 .

بحماسة ويقول: إنّ إحراقه للكتب، يمكن أن يقارن بما وقع من أعمال مماثلة خلال الثورات الحديثة، منذ الثورات البروتستانية الأنكليزية والألمانية إلى الثورة الفرنسية، وأنه خلال هذه الثورات قد أحرق أو أتلف كثير من الآثار الأدبية والفنية في كثير من البلاد الأوربية، وأنّه لا يمكن مقارنة عمل خمنيس، بما وقع من إحراق مكتبة الأسكندرية (المزعوم) بأمر الخليفة عمر، وأنّ معظم الكتب العربية قد أخرج من إسبانيا مع الهجرة ومع مَن هاجر من المسلمين من القواعد الأندلسية المختلفة، وأخيراً أن كثيراً منها قد جمع أيام الملك فيليب الثاني وأودع بقصر الأسكوريال (١٣). ذلك هو ملخص رسالة المستشرق سيمونيت في الدفاع عن تصرّف الكاردينال خمنيس، وهو دفاع يبدو ركيكاً مصطنعاً، إزاء النقد الغربيّ الحديث، وتطبعه نزعة تحيّز وتعصب واضحة، كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يأمر بأحراق مكتبة الأسكندرية كما أثبت أكثر من مستشرق منصف، وأصبحت معروفة لدى الغربيين وغيرهم. ويبدو تعصّب وتحيز هذا المستشرق الأسباني واضحاً في كل ما كتب عن الأمة الأندلسية المسلمة، وهو لا يمكن مهما أسبغ على دراسته من المقارنات، أن يزيل أثر هذه الوصمة المشينة من حياة خمنيس، أو من تاريخ الأسبان.

وما حدث في غرناطة من تنصير المسلمين، حدث في باقي البلاد والنواحي الأخرى، فتنصّر أهل البشرّات والمرية وبسطة ووادي آش في العام التالي، أعني في سنة (١٥٠٠ م)، وعمّ التنصير في سائر أنحاء مملكة غرناطة. على أنّ هذة الحركة التي نظّمت لتنصير بقيّة الأمة الأندلسية، والتي لم تدّخر فيها أساليب الوعود والوعيد والأغراء والأكراه، لم تقع دون قلاقل واضطرابات عديدة. وكان الأغراء بالتنصير يتّخذ أحياناً، شكل هبات ومنح جماعية لبلدة أو منطقة بأسرها، كما حدث بالنسبة لأهل وادي ألكرين (الأقليم) ولا نخرون والبشرّات،

---

(13) Simonet, ibid. P. 3,8 – 10, 17, 18, 20 - 24 and 31.

فقد أصدر الملكان الكاثوليكيان مرسوماً في (٣٠ حزيران يولية سنة ١٥٠٠م) بأبراء سائر أهالي النواحي المذكورة ، الذين تنصّروا أو يتنصّرون ، من جميع الحقوق والتعهدات المفروضة على الموريسكيين ، العرب المتنصرين ، لصالح العرش ، ورفعها عن منازلهم وأراضيهم وسائر أملاكهم المنقولة والثابتة ، وهبتها لهم وإلغاء ضريبة الرأس المفروضة عليهم لمدة ست سنوات وإقالتهم من الغرامة التي فرضت عليهم من جرّاء ثورتهم ؛ وقدرهـا خمسون ألف دوقية ، هذا إلى منح وبراءات اخرى تظمّنها المرسوم (١٤)

وصدر كذلك مرسوم مماثل من الملكين الكاثوليكيين في (٣٠ أيلول سبتمبر سنة ١٥٠٠ م) إلى المسلمين القاطنين بحيّهم (Moreria) بمدينة بسطة ، بإقالة الذين تنصّروا أو يتنصّرون ، من جميع الفروض والمغارم التي فرضت على الموريسكيين ، وتحريرهم منها سواء بالنسبة لأنفسهم أو منازلهم وأموالهم الثابتة والمنقولة من يوم التنصير ، وألا يدخل أحد منازلهم ضدّ إرادتهم ، ومَن فعل عوقب بغرامة فادحة ، وأن يُعفوا من سائر الذنوب التي ارتكبت ضدّ خدمة العرش ، وأن تحترم جميع العقود والمحررات التي كتبت بالعربية وصادق عليها فقهاؤهم وقضاتهم ، وأن يعامل المتنصرون منهم كسائر النصارى الآخرين في بسطة ، ولهم أن ينتقلوا وأن يعيشوا في أيّ مكان آخر من أراضي قشتالة ، دون قيد أو عائق ، إلى غير ذلك من المنح والامتيازات (١٥) .

وصدر أخيراً مرسوم بالعفو عن جميع سكّان « حيّ المسلمين »(Moreria) بغرناطة والقرى الملحقة بها ، بالنسبة لجميع الذنوب والأخطاء التي ارتكبت حتى يوم تنصيرهم ، وألا يُتخذ في شأنهم أيّ إجراء سواء ضد أشخاصهم أو أملاكهم (١٦) .

ولم تقدّم لنا الرواية الأسلامية المعاصرة لأحداث التنصير كثيراً من التفاصيل عن هذه الحوادث والتطوّرات ، ولكنها تكتفي بأن تجمل مأساة

---

(١٤) يحفظ هذا المرسوم بدار المحفوظات الاسبانية العامة برقم
Archivo general de simancas , P. R. 11 - 98

(١٥) Archivo general de simanacas ; P. R. 11 - 107

(١٦) Arch gen , leg . 28 ; Fol . 22

تنصير المسلمين في هذه الكلمات المؤثرة : «ثم بعد ذلك دعاهم (أي ملك قشتالة) إلى التنصير، وأكرههم عليه ، وذلك في سنة أربع وتسعمائة فدخلوا في دينهم كرها، وصارت الأندلس كلّها نصرانية ، ولم يبق فيها مَن يقول : «لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله» ، إلاّ مَن يقولها في قلبه ، وخفية من الناس، وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الأذان ، وفي مساجدها الصور والصلبان ، بعد ذكر الله وتلاوة القرآن ، فكم فيها من عين باكية وقلب حزين ، وكم فيها من الضعفاء والمعذورين ، لم يقدروا على الهجرة واللّحوق بأخوانهم المسلمين ، قلوبهم تشتعل نارا ، ودموعهم تسيل سيلاً غزيرا ، وينظرون إلى أولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ، ويسجدون للأوثان ، ويأكلون الخنزير والميتات ، ويشربون الخمر التي هي أم الخبائث والمنكرات ، ولا يقدرون على منعهم ولا على نهيهم ، ولا على زجرهم ، ومَن فعل ذلك عوقب بأشدّ العقاب ؛ فيا لها من فجيعة بما أمرّها ، ومصيبة ما أعظمها ، وطامة ما أكبرها» . ، ثم يختتم بقوله : «وانطفأ من الأندلس الأسلام والأيمان ، فعلى هذا فليبك الباكون ، وليتحب المتحبون ، فأنا لله وإنا إليه راجعون ، كان ذلك في الكتاب مسطورا ، وكان أمر الله قدراً مقدورا له (١٧)» .

وتقل لنا المقري نبذه من رسالة أخرى يشير كاتبها إلى تنصير مسلمي الأندلس هي : «وتعرّفنا من غير طريق ، وعلى لسان غير فريق ، أنّ قطر الأندلس طرق أهل خطب لم يجد في سالف الدهر . وذلك أنهم أكرهوا بالقتل إن لم يقع منهم النطق بما يقتضى في الظاهر الكفرا ولم يقبل منهم الأسر . وكان الابتداء في ذلك من أهل غرناطة ، وخصوصاً أهل واسطتها لقلة الناس ، وكونهم من الرعيّة الدهماء ، مع عدم العصبية بسبب اختلاف الأجناس ، وعلم النصارى بأنّ مَن بقي بها من المسلمين إنما هم آسارى بأيديهم ، وعيال عليهم ، وبعد أن أنترعوا منهم

(١٧) اخبار العصر (٥٤ ــ ٥٦) .

الأسلحة والمعاقل ، وعتوا فيهم بالخروج والجلاء ، فلم يبق من المسلمين طائل ونقض اللعين طاغية النصارى عهوده ، ونشر بمحض الغدر بنوده . . . الخ(١٨)

وجاء في رواية أخرى ، هـذا الوصف لمأساة التنصير : « إنّ طاغية قشتالة وأراغون ، صدم غرناطة صدمة ، وأكره على الكفر من بقي بها من الأمة ، بعد أن هيض جناحهم ، وركدت ، زياحهم وجعل بعد جنده الخاسر على جميع جهات الأندلس ينثال ، والطاغية يزدهى في الكفر ويختال ، ودين الاسلام تنثر بالأندلس نجومه ، وتطمس معالمه ورسومه ؛ فلو رأيتم ما صنع الكفر بالاسلام بالأندلس وأهليه ، لكان كلّ مسلم يندبه ويبكيه ؛ فقد عبث البلاء برسومه ، وعفى على أقماره ونجومه ، ولو حضرتم من جبر بالقتل على الاسلام ، وتوعّد بالنكال والمهالك العظام ، ومَن كان يُعقب في الله بأنواع العذاب ، ويدخل به من الشدّة في باب ويخرج من باب ويخرج من باب ، لأنساكم مصرعه ، وساءكم مقطعه ، وسيوف النصارى إذ ذاك على رءوس الشرذمه القليلة من المسلمين مسلولة ، وأفواه الذاهلين محلولة ، وهم يقولون ؛ ليس لأحد بالتنصّر أن يمطل ، ولا يلبث حيناً ولا يمهل ، وهم يكابدون تلك الأهوال ، ويطلبون لطف الله على كلّ حال » .

وقد تردّد صدى هذه المحنة التي نزلت بمسلمي الأندلس بسرعة في سائر جنبات العالم الاسلامي ، فنرى ابن واياس مؤرّخ مصر ، وهو راوية معاصر ، يدون في حوادث (صفر سنة ٩٠٦ هـ ــ آب آغسطس ١٥٠٠ م) ، أعنى عقب محنة التنصير بأشهر قلائل ما يأتي : « وفيه جاءت الأخبار من المغرب بأنّ الأفرنج قد استولوا على غرناطة التي هي دار ملك الأندلس ، ووضعوا فيها السيف بالمسلمين ، وقالوا : مَن دخل ديننا تركناه ، ومَن لم يدخل قتلناه ، فدخل في دينهم جماعة كثيرة من المغاربة خوفاً على أنفسهم من القتل ، ثم ثار عليهم

---

(١٨) أزهار الرياض (١ / ١٩ ــ ٧١) .

المسلمون ثانياً واتصفوا عليهم بعض شيء ، واستمرّ الحرب ثائراً بينهم ، والأمر لله تعالى في ذلك » (١٩)

أما المسلمون الذين بقوا في مملكة البرتغال ، فقد كان مصيرهم فيمايبدو أفضل مصير إخوانهم مسلمي الأندلس ، فقد قضى العرش البرتغالي بأخراجهم من أراضي المماكة في سنة (١٤٩٦) م ، والسماح لهم بالعبور إلى المغرب ، أو إلى حيث شاءوا ، ونظراً لما لقوه من صعاب في اختراق الأراضي الأسبانية، فقد أصدر الملكان الكاثوليكيان ، تحقيقاً لرغبة ملك البرتغال مرسوماً في (نيسان — أبريل سنة ١٤٩٧) يصرح فيه المسلمين البرتغاليين ونسائهم وأولادهم وخدمهم ، أن يخترقوا أراضي مملكة قشتالة ، وأن يذهبوا بأموالهم وأمتعتهم إلى البلاد الأخرى ، وأن يبقوا في أرض قشتالة الوقت الذي يرغبون ، ثم يغادروا نهابأموالهم متى شاءوا ، وفقط لا يسمح لهم بحمل الذهب والفضة إلى الخارج ، ويؤمنون أنفسهم وأموالهم ضد كل اعتداء ، ولا يؤخذ منهم شيء بلاحق (٢٠) .

تلك هي المأساة التي استحالت فيها بقية الأمة الأندلسية بالتنصير المفروض على طائفة جديدة عرفت من ذلك التاريخ بالموريسكين (Morlscos) ، أو المسلمين الأصاغر أو العرب المتنصّرين (٢١) . وقد فرض التنصير على المسلمين فرضاً ، ولم تحجم السلطات الكنسية والمدنية ، عن اتخاذ أشد وسائل العنف . ولم يستكن المسلمون إلى هذا العنف دون تذمر ودون مقاومة ، وسرت إليهم أعراض الثورة ولا سيما في المناطق الجبلية حيث كان ما يزال ثمة قبس من الحماسة الدينية . وكانت السياسة الأسبانية تلتمس الوسيلة للتخلص من العهود المقطوعة ، فأنفت من التدمر والمقاومة سندها ، وقرر مجلس الدولة بأن المسلمين أصبحوا خطراً على الدين والدولة

---

(١٩) ابن اياس (٢ / ٣٩٢) .

(٢٠) Arch. gen . de simancas , P. R. leg . 28 Fol.3.

(٢١) Moriscos هي تصغير كلمة Moros ، ومعناها : المسلمون ، أو العرب الاصاغر ، رمزاً الى ما انتهت اليه الامة الاندلسية من السقوط والانحلال .

ولا سيما بعدما تبين من جنوحهم إلى الثوره ، ومحاولتهم الاتصال بأخوانهم في المغرب ومصر القسطنطينية ، وقضى بوجوب اعتناق المسلمين للنصرانية ، ونفي المخالفين منهم من الأراضي الأسبانية وهكذا حاول مجلس الدولة أن يسبغ صفة الحق والعدالة على التنصير القسري ، وعلى كل ما يتخذ لتحقيق إجراءات العسف والأرهاق

وقع هذا القرار على المسلمين وقع الصاعقة ، وسرعان ماسرت إليهم الحمية القديمة ، فأعلنوا الثورة في معظم نواحي غرناطة ، وفي ريض البيازين ، وفي البشرات ، والاشتد الهياج بالأخص في بلفيق وفي أندرش حيث نسف حاكم البلدة مسجدها ، بالبارود ، وفي قيحار وجويجار وغيرها ، واعتزم المسلمون الموت في سبيل دينهم وحريتهم ، ولكنهم كانوا عزلا ، وكانت جنود النصرانية صارمة شديدة الوطأة فمزقتهم بلا رأفة ، وكثر بينهم القتل ، وسبيت نساؤهم ، وقضي بالموت على مناطق بأسرهم ، ماعدا الأطفال الذين هم دون الحادية عشرة ، فقد حولوا إلى نصارى . وحمل التعلق بالوطن وخوف الفاقة وهموم الأسرة ، كثيراً منهم الأذعان والتسليم ، فقبلوا التنصير المصوب ملاذاً للنجاة ، والجأت الحكومة بعد إخماد الهياج في غرناطة والبيازين الى اساليب الرفق فبعثت بالعمال والقس في مختلف الأنحاء ، ولم يدخر هؤلاء وسعاً في اجتذاب المسلمين بالوعيد والوعود ، وهكذا ذاع التنصير في سائر مملكة غرناطة القديمة (٢٢) . .

وفي نفس الوقت ، اضطر المسلمون المدجنون في آبلة وسمورة وبلاد أخرى في جليقية إلى اعتناق النصرانية ، وكانوا حتى ذلك الوقت يحتفظون بدينهم القديم

---

(٢٢) Marmol ; ibid ; .1. Cap.xxv11 وكذلك Prescott : ibid ; P. 462

ونشط فرديناند إلى إخماد الهياج حيث يقع ، وفي الوقت الذي غدا فيه التنصير أمراً محتوماً ، وأضحى فرديناند يعتبر نفسه في حل من عقوده المقطوعة للمسلمين، تقدم إليه ديسا المحقّق العام بوجوب إنشاء ديوان للتحقيق في غرناطة ، يعاون على مطاردة الزيغ بوسائله الفعّالة ، فألّفت لجنة ملكية للتحقيق في حوادث غرناطة ، وقبض على كثير من المسلمين بتهمة التحريض وهرع آلاف منهم أخر إلى اعتناق النصرانية خيفة السّجن والمطاردة .

وعارض فرديناند وايزابيلا في إنشاء ديوان التحقيق في غرناطة ذاتها ، واقترحوا أن تحال شئونها إلى اختصاص ديوان التحقيق في قرطبة ، وألاّ يقدّم المسلمون أو الموريسكيون إلى الديوان إلاّ لتهم خطيرة ، ولكنّ الكنيسة لم تقنع باتّخاذ الأجراءات الجزئيّة ومضت تعمل لغايتها الشاملة ، وكان فرديناند من جهة أخرى لايزال يتوجّس من المسلمين شراً ، ويرى في منطقة الكنيسة قوّة ، وهو أنّ احتفاظ المسلمين بدينهم يقوىّ الروابط بينهم وبين إخوانهم في إفريقيّة ، وأنّ إسبانيا ما تزال تضمّ بين جوانحها عدداً يخشى بأسه ، وأنّ في تنصير المسلمين أو إخراجهم من إسبانيا ، سلام إسبانيا ونقاء دينها .

وكانت الكلمة للكنيسة دائماً ، ففي (٢٠ حزيران ــ يونيه سنة ١٥٠١م) أصدر فرديناند وإيزابيلا أمراً ملكياً خلاصته «أنّه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة ، فأنه يحظر وجود المسلمين فيها، فأذا كان بها بعضهم فأنّه يحظر عليهم أن يتّصلوا بغيرهم، خوفاً من أن يتأخّر تنصيرهم، أو بأولئك الذين نصّروا لئلا يفسدوا إيمانهم ويعاقب المخالفون بالموت أو مصادرة الأموال .

وحاول المسلمون في يأسهم أن يلجأوا الى معاونة سلطان مصر ، وأرسلوا اليه كتبهم يصفون اكراههم على التنصير ، ويطلبون إليه أن نعيد ملك اسبانيا ، بأنّه سوف ينكّل بالنصارى المقيمين فــي مملكته ، إذا

لم يكف عنهم ، فنزل سلطان مصر عند هذه الرغبة ، وأرسل إلى فرديناند يخطره بما تقدم . وانتهز فرديناند هذه الفرصة ، فأوفد إلى بلاط القاهرة (سنة ١٥٠١ م) سفارته التي تحدثنا عنها فيما تقدم والتي كان سفيره فيها بيترو مارتيرى الجد الكاتب المؤرخ ، فأدى مارتيرى سفارته ببراعة ، واستطاع أن يقنع السلطان بما يلقاه مسلمو الأندلس من الرعاية . وأن يطمئنه على مصيرهم (٢٣) .

وهكذا خبت آمال المسلمين تباعاً ، ولم تستمر ثورة المسلمين إلا في المنطقة الجبلية الواقعة بين آكام فليا اونجا وسيرا فرمليا (الجبال الحمراء) بجوار رندة ، حيث احتشدت بعض البطون المغربية ، وحيث استطاع الثوار أن يقتحموا شعب الجبال ، وأن يفتكوا بعمال الحكومة وجندها . وسير فرديناند إلى تلك المنطقة حملة قوية تحت قيادة قائده الشهير ألونسورى آجيلار دوق قرطبة ، ونفذ الجند الأسبان إلى شعب فليا اونجا : ووقعت المعركة الحاسمة بين المسلمين والنصارى ، فهزم النصارى هزيمة فادحة ، وقتل منهم عدد ضخم ، وكان قائدهم دى آجيلار وعدة آخرون من السادة الأكابر ، في مقدمة القتلى (آذار — مارس ١٥٠١ م) ، فكان لهذه النكبة التي نزلت بالجنود الأسبان وقوادهم ، أعمق وقع في البلاط الأسباني . وهرع فرع فرديناند إلى غرناطة ، ورأى بالرغم مما كان يحدوه من عوامل السخط والانتقام ، أن يجنح إلى اللين والمسالمة ، فأعلن العفو عن الثوار بشرط أن يعتنقوا النصرانية في ظرف ثلاثة أشهر ، أو يغادروا إسبانيا تاركين أملاكهم للدولة ، فآثر معظمهم النفي والجواز ألى أفريقية ، وهاجرت منهم جموع كبيرة ألى فاس ووهران وبجاية وتونس وطرابلس وغيرها ، وقدمت الحكومة الأسبانية السفن اللازمة لتقلهم مغتبطة لرحيلهم (٢٤) ، إذ كانوا أشد الناس مراساً وأكثرها نزوعاً ألى الثورة .

---

(٢٣) انظر Prescott : ibid ; P. 287 وكذلك Dr. Lea : the Moriscos .P 36 :

(٢٤) Prescott . ibid ; P. 467

واستقرّ الباقون وهم الكثرة الغالبة من المسلمين في البلاد ، خاضعين مستسلمين ، وقد وصفهم دى بدراثا ، وهو مؤرخ من أحبار الكنيسة عاش قريباً من ذلك العصر بقوله : « إنّهم شعب ذو مبادى أخلاقية متينة ، أشراف في معاملاتهم وتعاقدهم ، ليس بينهم عاطل ، وكلّهم عامل ، يعطفون أشدّ العطف على فقرائهم » (٢٥) .

ولم تفت الرواية الإسلامية أن تشير الى هذه الصفحة الأخيرة من جهاد المسلمين الباسل في سبيل دينهم ؛ فقد نقل عنها المقرى ما يأتي : « بالجملة فأنهم (أي أهل غرناطة) تنصّروا عن آخرهم بادية وحاضرة ، وامتنع قوم عن التنصّر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك ، وامتنعتا قرى وأماكن كذلك ، منها بلفيق رأندرش وغيرها ، فجمع لهم العدو الجموع ، واستأصلهم عن آخرهم قتلاً وسبيا إلاّ ما كان من جبل بلنقة (أي فايا اونجا) ، فأنّ الله تعالى أعانهم على عدوّهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، مات فيها صاحب قرطبة ، وأخرجوا على الأمان إلى فاس بعيالهم وماخفّ من أموالهم دون الذخائر . ثم بعد هذا كان من أظهر التنصير من المسلمين ، يعبد الله خفية ويصلّى ، فشدّ عليهم النصارى في البحث ، حتى أنهم أحرقوا منهم كثيراً بسبب ذلك ، ومنعوهم من حمل السكين الصغيرة ، فضلاً عن غيرها من من الحديد ، وقاموا في بعض الجبال عن النصارى مراراً ، ولم يقيّض الله تعالى منهم ناصراً .

وصدق صاحب نفح الطيب ، إذ لم يجد مسلمو الأندلس في محنتهم ناصرا ، فلم يعاونهم المغاربة ولا سلطان مصر ولا سلطان القسطينيّة حتى بالكلام ، ولو أنّ سلطان مصر ، هدّد بمعاملة نصارى بلاده بالمثل ، وجعل

---

(٢٥) B. de Pedraza : itist (Eclesiactice) : Vida Relig:osa de Los Moriscos (P. L11) . P . Longas cit

الملكين الكاثوليكيين يصدّقون وعبده ، – خاصة وأن فلسطين كانت تحت حكمه – لتبدّل الحال غير الحال ، ولعومل المسلمون من النصارى الأسبان بالحسنى . والقـول إنّ سفير فرديناند استطاع إقناع سلطان مصـر ، بأنّ إسبانيا تعامل المسلمين بالحسنى ، ادّعاء فارغ لا يصدّقه العقل ويرفضه المنطق ، فقد كانت معاملة ملك النصارى في إسبانيا للمسلمين الظالمة معروفة لدى القاصي والداني في بلاد المسلمين ، وقد وصلت أخبارها مصر وسجّلها مؤرخها ابن إياس ، فكيف يجهلها السلطان ويقتنع بأنّ ملك إسبانيا النصراني يعامل المسلمين معاملة حسـنة ؟ ! إنّ حكام المسلمين يومئذ ، الذين لـم يمدّوا يد العون إلى إخوانهم المضطهدين في الأندلس ، مقصّرون أمـام الله وأمام الناس تقصيراً لا يمكن الدفاع عنه ولا السكوت . وقد تظاهـر سلطان مصر بأنّه اقتنع بادعاء سفير ملك إسبانيا بانه يعامل المسلمين بالحسنى ، وهو لم يقتنع أبداً . ولكنه لم يكن عازماً على مدّ يد العون لمسلمي الأندلس

ومضت السياسة الأسبانية في اضطهاد المسلمين والموريسكيين بمختلف الوسائل ، وكان من الاجراءات السائدة التي اتّخذت في هذا السبيل ، تشريع أصدره فرديناند بأنزام المسلمين والموريسكيين في المدن ، بالسكنى في احياء خاصة بهم ، على نحو ما كان متّبعاً نحـو اليهود في العصور الوسطى ، ونفّذ هذا التشريع في غرناطة عقب حركة التنصير الشاملة ، وأفرد بها للمسلمين والمتنصّرين حيّان ، أحدهما يضمّ نحو خمسمائة منزل ، وهو الحيّ الصغير داخل المدينة ، والثاني يضمّ نحو خمسة آلاف منزل ، ويشمل ضاحية البيازين ، وكانت الأحياء التي يشغلها المسلمون أو المتنصّرون في المدن الأندلسية تسمى : (موريريا Moreria)

أو أحياء الموريسكيين ، على نحو ما كانت أحياء يهود الخاصة تسمى (Ghetto) (الجيتو) ، وكانت تفصل بينها وبين النصارى أسوار كثيرة ، وكان عدد المسلمين الذين بقوا في غرناطة يبلغ في ذلك الحين نحو أربعين ألفاً .

وصدر في نفس الوقت في (أيلول سبتمبر ١٥٠١ م) قانون يحرم على المسلمين إحراز السلاح علناً أو سراً ، وينص على معاقبة المخالفين لأول مرة بالحبس والمصادرة ، ثم بالموت بعد ذلك ، وهو قانون تكرر صدوره بعد ذلك غير مرة في ظروف وعصور مختلفة ، وكان يطبق بصرامة بالأخص كلما حدث من الموريسكين هياج أو مقاومة مسلحة تخشى عواقبها .

وكانت السياسة الأسبانية تخشى احتشاد الموريسكيين وتجمعا تهم في مملكة غرناطة ، ولهذا صدر في (شباط — فبراير ١٥١٥م) مرسوم ملكي أعلن في طليطلة ، وفيه يحرم بتاتاً على المسلمين المتنصرين حديثاً والمدجنين من أي جهة من مملكة قشتالة ، أو يخترقوا أراضي غرناطة ، ويعاقب المخالفون بالموت والمصادرة ، ونص هذا المرسوم أيضاً أن يحرم بتاتاً على المتنصورين حديثاً في مملكة غرناطة أو في أية جهة أخرى من المملكة أن يبيعوا أملاكهم لأي شخص ادون ترخيص سابق ، ومن فعل عوقب بالموت والمصادرة ، وذلك لأنه تبين كما ورد في المرسوم ، أن كثيراً من المسلمين المتنصرين يبيعون أملاكهم ، ويحصلون أثمانها ، ثم يعبرون إلى المغرب ، وهناك يعودون إلى الأسلام .

٥ ـ اسباب انهيار الفردوس المفقود

هناك أسباب لانهيار الفردوس المفقود نحاول إجمالها ، وقد أغفل المؤرخون المحدثون بخاصّة ذكر هذه الأسباب لأن الذين كتبوا عن الأندلس أكثرهم من الغربيّين الذين لا يذكرون الأثر المهم في فتح الأندلس وانهيارها

والمؤرخون العرب المحدثون ساروا على منوال المؤرخين الأجانب ، ولكن المؤرخين القدامى من المسلمين ذكروا أسباب انهيار الأندلس بشكل غير مباشر ، أي أن هذه الأسباب وردت في خضمّ السرد الطويل ، فمثلاً كتاب « نفح الطّيب » للمقري ، تطرق إلى هذه الأسباب ولكن في مجال السرد الحوادث ، والذي يريد اكتشاف هذه الأسباب عليه أن يقرأ ذلك الكتاب الضّخم بأجزائه الكثيرة ، وهذا ليس متيسّراً إما لضيق الوقت عند بعض الناس أو لصعوبة قراءة هذا الكتاب الضخم والانتباه الى أسباب سقوط الأندلس .

وقد لجأت إلى كثير من المؤرّخين من أساتذه الجامعات والمختصين لكي أجد لديهم أسباب سقوط الاندلس فلم أحظ بجواب شاف بالرغم من كثرة من استفسرت منهم ، لذلك سأحاول إيجاز هذه الأسباب لتكون دروساً للمسلمين في حاضرهم ومستقبلهم ، لأنني أعتقد أن أهمية التاريخ تكمن في العبرة من دراسته ، لا في الإستمتاع به كحوادث وقصص وأحداث .

لقد فتح المسلمون الأندلس حين كانوا يتمتعون بعقيدتهم التي قادتهم إلى النصر ، فلما تخلّوا عن هذه العقيدة تخلّى عنهم النصر وأصبح نصيبهم الهزائم لقد كان قائد فتح الأندلس « طارق بن زياد » بربرياً ،

يقود جيشاً من العرب ومن البربر ، يسود بينهم الانسجام الروحي والنفسي لأنه يسيطر عليهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى » وكما جاء في القرآن الكريم « إنّ أكرمكم عندالله أتقاكم » .

وبعد أن جعل الفاتحون الدّين وراءهم ظهرياً وفرّ قوانين الناس — المسلمين بالجنس والمال والمناصب ، أصبحوا ضعفاء في كل مكان .

(١) كانت تسيطر على البلاد العربية امبراطوريتان عظيمتان الامبراطورية الساسانية والتي كانت تسيطر على العراق والمشرق ، والامبراطورية البيزنطية المسيطرة على سورية ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين ومصر وشمالي إفريقية ، ومع سعة أملاك هاتين الامبراطوريتين وعظمة مظاهرهما ، وطول مدة حكمها ، إلا أنه كان فيهما الكثير من عوامل الضعف والانحلال .

من هذه العوامل : ضعف العقيدة واختلاف النظام ونقص القيادة وعواقب الترف وتفرق الآراء . ولكن البلاء الأكبر إنما حاق بتلك الامبراطوريتين من آفة الغرور الباطل والاستخفاف بالخصم المقاتل . . . ! فكانت دولة الفرس لا تنظر إلى البادية العربية إلاّ نظرة السيّد المبجّل إلى الغوغاء المهازيل . الذين يحتاجون إمّا إلى العطاء وإما إلى التهذيب ، لقد كانت عوامل الفناء قد اصطلحت على هدم الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية قبيل الإسلام وأيام الفتح الإسلامي .

ولكن العوامل التي قضت على الفرس والروم بالهزيمة — كائنة ما كانت — ليست هي العوامل التي قضت للعرب المسلمين بقيام دولة وانتشار عقيدة ، لأن استحقاق دول الزوال لاينشىء لغيرها حق الظهور والبقاء . كذلك لم يكن انتصار العرب على الفرس والروم لأنهم عرب وكفى . . ! فقد كان في أرض هاتين الدولتين عرب كثيرون يدينون لهما بالطاعة وينظرون اليهما نظرة الإكبار والمهابة ، وكان القادرون منهم على القتال

---

(١) انظر كتاب : الفاروق القائد (٢٥ — ٢٨) — ط٢ ١٩٦٦ .

أوفر من مقاتلة المسلمين وأمضى سلاحاً ، وأقرب إلى ساحات القتال من أولئك النازحين إليها من الجزيرة العربية .

وقد كان هناك عرب كثيرون انهزموا أمام المسلمين وهم كذلك أوفر في العدد والسلاح وأغنى بالخيل والإبل والأموال .

بل إن الفئة القليلة من العرب المسلمين انتصروا على الفئة الكثيرة من العرب غير المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده في أيام الردّة وأيام الفتح الاول في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ومن بعده من الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ، فهي نصرة عقيدة لأمراء ولكن القول بانتصار العقيدة هنا لايغني عن كل قول ، فالواقع أن الذين انتصروا بالعقيدة كانوا رجالاً أولي خبرة وقدرة يؤمنون بها ويعرفون كيف يتغلبون بها على أعدائهم ، عقيدة منشئة يذود عنها حماة قادرون .

كان العرب قبل الاسلام ماهرين في حروب العصابات ، ماهرين في استخدام السلاح والفروسية ، لهم قابلية ممتازة على الحركة من مكان لآخر بسهولة وسرعة وبأقل تكاليف إدارية ، ولكنهم كانوا متفرقين ، بأسهم بينهم شديد ، هذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية تذهب عبثاً في الغارات والمناوشات المحليّة .

فلما جاء الاسلام وحّد عقيدتهم ونظّم صفوفهم وغرس فيهم روح الضبط والطّاعة ، وطهّر نفوسهم ، ونقّى أرواحهم ، وأشاع بينهم انسجاماً فكرياً فأصبحت قوتهم المبعثرة وجهودهم المضاعة قبل الإسلام تعمل بنظام دقيق وضبط متين بعد الاسلام بقيادة واحدة لهدف واحد ، وأصبح المؤمنون في مشارق الأرض ومغاربها إخوة متحابون بنور الله ويهتدون بهديه وهم أمة واحدة تحيتها السلام ورايتها السلام ودينها الاسلام .

كما دفقت هذه العقيدة إلى نفوس المسلمين جميعاً حمية سمت بهم إلى الايمان لأنهم لاغالب لهم من دون الله ، وحببت إليهم الاستشهاد في سبيل الحق وجعلتهم يرون هذا الاستشهاد نصراً دونه كل نصر ، كما بعثت فيهم روح الاعتزاز بالنفس والشعور بأن عليهم رسالة واجبة الأداء للعالم كما غرست هذه العقيدة في نفوس المسلمين الايمان المطلق بالقضاء والقدر لذلك استهانوا بالموت وأقدموا عليه فرحين مستبشرين .

إن مجمل عوامل انتصار الفاتحين المسلمين هي نشاط العرب ومثلهم البربر وخفة أثقالهم وشجاعتهم ، وحسن تدريبهم على أسلحتهم ومهارتهم في الفروسية واكتفاؤهم الذاتي بأبسط القضايا الادارية وأقلها ، وقابليتهم المتميزة على تطوير أساليب قتالهم وحفظ خط رجعتهم ، فهم لذلك جنود ممتازون .

وتيسر قادة أكفاء قادرين على قيادة رجالهم بحزم وجدارة ، وانتشار العقيدة الاسلامية بين صفوفهم وما كانت عليه أحوال الدول التي فتحوها من احتلال واختلال ، كما أن تسامح المسلمين ونشرهم العدل وتركهم البلاد المفتوحة على ما هي عليه من دين ومعاملات .

لقد انتصر المسلمون أولاً وقبل كل شيء بعقيدتهم المنشئة البناءة التي حملها إلى الناس حماة قادرون قادة وجنوداً .

وحين جاء الفاتحون المسلمون للاندلس كان الحكم فيها ضعيفاً ، وكان من بين المسيطرين من استعان بالمسلمين على أهل بلاده ، ودار الزمن دورته ، فأصبح المسلمون متفرقين ، ويستعين الأخ على أخيه بالأجنبي كما أن المسلم الذي أهمل عقيدته أصبح مشغولاً بالترف والمال لذلك تخلخلت نخوتهم ، وأصبحوا مسلمين جغرافيين ، لامسلمين حقيقيين

فتح المسلمون الأندلس حين كانت عقيدتهم عبادة ، فلما تخلّوا عن عقيدتهم وأهملوها ، أصبحت لديهم عادة ، لذلك سهل عليهم التفريط في بلادهم ، والاستعانة بالأجنبي على أبناء دينهم ، ولعل خير شاهد على ما نقوله ما سجّله « ابن حزم الاندلسي »(٢) – وهو من أوثق مؤرخي الأندلس – قال في كتابه – نقط العروس – واصفاً عصر ملوك الطوائف :

« لقد شغل عصر الطوائف من حياة الأمة في تحطيم الأخلاق واختلاط الحق بالباطل ، والحلال بالحرام » وكل ذلك يجمله ابن حزم في كلمة واحدة ، هي المحنة أو الفتنة ، ثم يصوّر لنا المحنة أو الفتنة في كلمات قليلة ، ولكنها قوية ورائعة ، فيصف ابن حزم في « رسالة التلخيص في وجوه التخليص » فيقول : « وأما ما سألت من أمر هذه الفتنة وملابسة الناس بها مع ما ظهر من تربص بعضهم ببعض ، فهذا أمر امتحنّا به ، نسأل الله السلامة وهي فتنة سوء ، أهلكت الأديان إلاّ من وقى الله من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب وعمدة ذلك أن كل مدير مدينة أو حصن في أندلسنا هذه ، أولها عن آخرها ، محارب لله تعالى ورسوله وساع في الأرض لفساد ، والذي ترونه عياناً من شنّهم الغارات على أبناء المسلمين من الرعيّة التي تكون في ملك من ضارّهم ، وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضون على أهلها ، وأنهم ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين مسلطون لليهود على القوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية ، والضريبة من أهل الإسلام ، معتذرين بضرورة لاتبيح ما حرم الله ، غرضهم فيها استدامة نفاذ أمرهم ونهيهم ، فلا تغافلوا أنفسكم ولا يغرنكم الفسّاق والمتسبون إلى الفقه اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع ، المزيّنون لأهل الشرّ شرّهم الناصرون لهم على فسقهم » وقد كان الفقهاء في الواقع

---

(٢) انظر مجلة العربي العدد ٦٨ ص (٨٠ – ٨٥) في مقال ابن حزم للاستاذ محمد عبدالله عنان الصادر في تموز ١٩٦٤ .

في هذا العصر الذي ساد فيه الانحلال والفوضى الأخلاقية والاجتماعية أكبر عضد لأمراء الطوائف ، في تصوير طغيانهم وظلمهم وتزكية تصرفاتهم الجائرة وابتزازهم لأموال الرعيّة ، فقد كانوا يأكلون على كل مائدة ويتقلبون في خدمة كل قصر ليحرزوا النفوذ والمال ويضعون خدماتهم الدينية والفقهية لتأييد الظلم والجور وخديعة الناس باسم الشرع ، وقد انفسح لهم بالأخص في ظل الطوائف مجال العمل والدّس والاستغلال ، واحتضنهم الأمراء الطغاة ، وأغدقوا عليهم العطاء وقد فطن إلى ذلك إلى جانب ابن حزم قرينه ومعاصره المؤرخ « ابن حيّان » محملاً على الفقهاء ونوّه بصمتهم عن فضح الظلم الذي يرتكبه الأمراء لأنهم على حد قوله : « قد أصبحوا بين آكلٍ من حلوائهم وخابطٍ في أهوائهم» وينوّه ابن حزم باختلاط الحلال بالحرام في مجتمع الطّوائف ثم يعود وهو بصدد الإجابة عن وجه السّلام في المطعم والملبس والمكسب ، وينّوه بما كان يسود مجتمع الطوائف من اختلاط الحرام بالحلال في جباية الضرائب ومجانبتها لحكم الشرع ، وهي حالة يقدم لنا عنها الصورة التالية :

« وأما الباب الثاني فهو باب قبول المتشابه ، وهو في غير زمننا ، هذا الباب جديد لا يؤثم صاحبه ولا يؤجر ، وليس على الناس أن يبحثوا عن أصول ما يحتاجون إليه من أقواتهم ومكاسبهم إذ كان الأغلب هو الحلال وكان الحرام مغموراً ، وأما في زماننا هذا و بلادنا هذه فانما هو باب أغلق عينيك واضرب بيديك ولك ما تخرجه إما ثمرة إما جمرة ، وإنما فرّقت بين زماننا هذا والزمان الذي قبله لأن الغارات في أيام الهدنة لم تكن غالبة ظاهرة كما هي اليوم ، والمغارم التي كان يقبضها السلاطين إنما كانت على الأرضين خاصّة ، وأما اليوم فهي جزية على رؤوس المسلمين يسمونها بالقطيعة ويؤدونها مشاهرة وضريبة على أموالهم من الغنم والدّوابّ والنّحل برسم على كل رأس وعلى كل خلية شيءٌ ما ، وقبالات مايؤدى على كل ما يباع في الأسواق ، وعلى إباحة بيع الخمر من المسلمين في البلاد، هذا كل ما

يقبضه المتغلبون وهذا هتك الأستار ونقض لشرائع الإسلام من شعوبهم عروة عروة ، وإحداث دين جديد بعيد عن تعاليم الله » .

ويبلغ ابن حزم ذروة حملته على امراء الطوائف في تهاونهم في أحكام الدّين وما اتسموا به من تهاون في الدين والعقيدة حتى يقول :— « والله لو علموا أن في عبادة الشيطان بقاؤهم لبادروا إليها ، فيعتمدون على النصارى ويمكنونهم بتلوين المسلمين ، فيمكنونهم منهم ويحملونهم إسارهم ، وربما أعطوهم المدن والقلاع فعمروا البلاد بالنواقيس » .

ونستطيع أن نتصور مجتمع الطوائف منحلاً انحلالا شاملا من الناحية الاجتماعية مستهتراً يتّسم بضعف الايمان وجنوحهم إلى مخالفة تعاليم الدين الحنيف .

وابن حزم يدفع ملوك الطوائف ولا يستثني منهم أحداً بيد أن هذه الملاحظات التهكميّة اللاذعة وأمثالها ، تستحيل بعد ذلك عند ابن حزم إلى نظرات تحليلية عميقة لاحوال مجتمع الطوائف ، وأحكام قاسية يصدرها على هذا المجتمع المستهتر التي تقضم أسسه عوامل الانحلال والتفكك المادي والأدبي ويلتزم ابن حزم التعميم في نظراته وأحكامه ولكنه صريح لايلجأ إلى مداجاة أو تورية وهو يدفع ملوك الطوائف لايستثني منهم أحداً ، وكان ابن حزم قد اصطدم بوزير غرناطة اليهودي وقد وردت هذه الأحكام بالأخص في موضعين من رسائله

الأوّل : في مستهل رسالته في الرّدّ على ابن التغريدي أو ابن نغراله وزير غرناطة اليهودي ، وإليك ما يقوله الفيلسوف في هذا الموضع « اللّهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم ، وبعمارة قصور يتركونها عمّا قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة

لهم في معادهم ودار قرارهم ، وبجمع أموالهم ربما كانت سببا في انقراض أعمالهم وعوناً لأعدائهم عليهم عن حياطة ملتهم التي بها عزّوا في عاجلتهم وبها يرجون الفوز في آجلتهم ، حتى استشرف لذلك أهل القلّة والذمّة .

وانطلقت ألسنة أهل الكفر والشرك بما لو حقّق النظر أرباب الدنيا لاهتمّوا بذلك ضعف همّنا ، لأنهم مشاركون لنا من الامتعاض للديانة الزهراء ، والحميّة للملّة الغراء ، ثم هم بعد ذلك متردّدون بما يؤول اليه إهمال هذه الحال من فساد سياستهم والقدح في رئاستهم فللأسباب أسباب والمداخلة إلى البلاد أبواب والله أعلم بالصواب »

من الواضح أن ابن حزم يقصد من كلامه أمراء الطوائف وهو هنا يركز اتهامه حول رمي هؤلاء الأمراء باهمال حياطة الدّين والذّود عنه لمناسبة ما حدث من قيام « اسماعيل ابن نغرالة » اليهودي ، بتأليف رسالة في الاسلام ، رأى فيها ابن حزم طعناً في بعض آيات القرآن ، ورأى تقصير « باديس ابن حبوس » أمير غرناطة في ردع وزيره وفي الدفاع عن الدين ، بيد أنه لا يتّجه إلى ذكر باديس دون غيره ، وإنما يتّجه إلى مخاطبة أمراء الطوائف جميعاً واتهامهم بنفس الاتهام المرّ ، فهم جميعاً في نظرة سواء في التقصير في حق دينهم ، وفي الأشتغال عن صونه ببناء القصور والشؤون الفانية .

مما تقدّم من شهادة ابن حزم وهو مؤرّخ ثبت وفقيه وفيلسوف وأديب أن ملوك الطوائف كانوا متفرقين ، بأسهم بينهم شديد يستعينون بالعدو على إخوانهم المسلمين ويستعينون بأعداء دينهم على أهل دينهم .

والإستعانة بالأجنبي له خطورة عظيمة جداً ، فهذا الأجنبي يطلع على عورات المسلمين ، ويستطلع أرضهم ، ويعرف نقاط الضعف فيهم : ويطّلع على اختلافاتهم ، فهو يعرف بذلك مداخل المدن والحصون ونواقصها والأمكنة التي يمكن الاستيلاء عليها منها ، كما يعرف تفرق

كلمة المسلمين وتشتت قوتهم وصفوفهم، وأنهم أصبحوا أعداء بعضهم، وهم لا يقاومون كما ينبغي.

لذلك يمكن اعتبار مدة ملوك الطوائف هي المدة التي فتحت أبواب الأندلس للعدو والمتربص بهم، فلذلك كانت المدن الأندلسية العظيمة تتساقط بالتتابع، بينما يبقى المسلمون الآخرون متفرجين غير متعاونين على صد العدو، وربما أعان المسلم عدوه على أخيه المسلم، وما هكذا توردیا سعد الإبل كما يقول المثل.. !

يمكن تلخيص أسباب سقوط الاندلس بما يلي :

١ – تهاون المسلمين في دينهم الذي قادهم للنصر المؤزر.

٢ – تعاون المسلمين مع أعدائهم.

٣ – عدم تعاون المسلمين فيما بينهم في حرب أعدائهم.

٤ – اهتمام المسلمين بالترف على الاهتمام بالتدريب العسكري.

٥ – اهتمام المسلمين بالقصور والمال أضعاف اهتمامهم بالجهاد.

٦ – ضعف قياداتهم العسكرية والدينية

٧ – تفرق كلمة المسلمين وظهور الاختلاف العنصري أو القبلي.

٨ – التناحر والتنافس على السلطة.

٩ – انتشار الاضطرابات الداخلية.

١٠– تمكين أعداء المسلمين من رقاب المسلمين.

١١– تشتت المسلمين بالثورات الداخلية والاستعانة بالعدو على المسلمين.

١٢– اتحاد نصارى الإسبان مع نصارى أوربا وتحت إشراف البابا على كسر المسلمين وإخراجهم من الأندلس.

لقد كان المسلمون الفاتحون الأولون يعملون لقلوبهم وأصبح المسلمون الجغرافيون بعد ذلك يعملون لجيوبهم ولأن العمل للجيوب غير الهزيمة والخسران، وما على المسلمين اليوم أن يتعلموه ان يكونوا من أصحاب القلوب لا من أصحاب الجيوب.

لم يكن هناك ارتباط قوي بين العناصر التي وفدت إلى الأندلس فالعرب كانوا في جانب والبربر كانوا في جانب والعرب ليسوا وحدة واحدة وإنما كانوا شيعاً وأحزاباً وكذلك كان البربر ، ثم تبعت عناصر إسلامية في الاندلس من الصقالبة ومن السكان الأصليين ولكل من هؤلاء وأولئك طابع واتجاهات ويمكننا أن نقول : بوجه ان مجمل الصخب والاضطرابات والحروب بين هذه العناصر بدأ مبكراً واستمر استمراراً متصلا ولم يهدأ إلا تحت ضغط القوة ، وكان يهدأ ليبدأ ثورة عارمة عندما تتوانى أو تضعف هذه القوة .

وقد تيسر القادة الأقوياء الذين سيطروا ، ثم ضعف أولئك القادة وأصبحوا يهتمون بأنفسهم أكثر من اهتمامهم بشعوبهم فكانت الكارثة .

لقد كان الشعب الأندلسي شعوباً جمعها الاسلام فلما تخلوا عنه أصبحوا أعداء متفرقين لا شعباً واحداً من ١ . د .



أصالة الفكر الجغرافي العربي ومنهجيته

الدكتور علي محمد المياح
عضو المجمع

تمهيد

تطور حقل المعرفة الجغرافية العربية مع اتساع الدولة وتعدد حاجاتها العملية في الادارة والخراج والامن . واصبح هذا الحقل في القرن الثالث للهجرة موضوعاً محدداً له منهج دقيق وسمات خاصة تميزه عن غيره . وقد تنوعت كتب الجغرافيا العربية وسلكت مناهج خاصة وبحثت ظواهر جغرافية شتى أخذت تسميات متنوعة منها ، على سبيل المثال لا الحصر ، كتاب البلدان لليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) ، والاعلاق النفيسة لابن رسته (ت ٣١٠هـ) والمسالك والممالك للاصطخري (النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) ، ومروج الذهب ومعادن الجوهر والتنبيه والاشراف للمسعودي (ت ٣٤٦هـ) ، واحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي (ت ٣٩٠هـ) ، ومعجم ما استعجم للبكري (ت ٤٨٧هـ) ، ونزهة المشتاق في إختراق الافاق للادريسي (ت ٥٦٠) . ومن هنا يلاحظ ان مؤلفي هذه الكتب عزفوا عن إطلاق كلمة جغرافيا اليونانية على مسمّيات كتبهم . واستمدوا تسمياتها من مادة مضمونها . ويلتفت كرايتشوفسكي الى تنوع الاسماء التي أطلقها العرب على علم الجغرافيا . فيقول ان كتب علم « الاطوال والاعراض » أو علم « تقويم البلدان » تتناول موضوعات الجغرافيا الفلكية . اما الدراسات الوصفية فقد اطلق عليها اسم « علم المسالك والممالك » او علم « البرود » في الحالات التي يدور فيها

الكلام على مراحل الطرق • واذا غلب الجانب الذي يتصل بوصف العالم وما يصحبه من ميل واضح نحو العجائب والغرائب فقد استعملت كلمة « علم عجائب البلاد »(١) •

ولم تستعمل كلمة الجغرافيا الا في وقت لاحق • يطالعنا ذلك في حديث المسعودي عن الاقاليم السبعة وأطوالها وعروضها حيث يقول (وأحسن ما رأيت في كتاب الجغرافيا لمارينوس وتفسير جغرافيا قطع الارض)(٢) • والمسعودي هنا يشير الى عنوان كتاب مارينوس الصوري (جغرافيا) • (حوالي ٧٠ــ١٣٠م) •

ويذكر ابن النديم كلمة جغرافيا وهو يتحدث عن كتاب (المجسطي) قائلا كتاب (جغرافيا في المعمورة وصفة الارض)(٣) • ويتكرر ذكر هذه الكلمة عند الادريسي حيث يقول في مقدمة كتابه (وأول ما ابتدىء به من ذلك الكلام على صورة الارض المسماة بالجغرافيا كما سماها بطليموس ووصفها به)(٤) •

هكذا اختط العرب لانفسهم نهجاً خاصاً في تسميات مؤلفاتهم الجغرافية • وهذه سمة لاتزال تطبع تسميات كثير من كتب الجغرافيا المعاصرة سواء ما كتب منها باللغة العربية أم بلغة اخرى • وتعم هذه السمة بالنسبة لعناوين الابحاث والمقالات التي تنشرها المجلات الجغرافية • إذ يندر أن ترد كلمة جغرافيا في نص عناوينها •

---

(١) اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، القسم الاول ، ص ٢٠ •

(٢) المسعودي ، (ت ٣٥٤هـ) التنبيه والاشراف ، لجنة تحقيق التراث ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ص ٤٦ •

(٣) ابن النديم ، (ت ٣٨٠هـ) ، الفهرست ، ص ٤٦ •

(٤) الادريسي ، (ت ٥٦٠هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، منشورات معهد الدراسات الشرقية في بريل ، ١٩٧٠ ، ج ١ ، ص ٧ •

ولهذه القاعدة شواذها فقد برزت بعض الكتب في وقت متأخر نسبياً يحمل عنوانها هذه اللفظة مثل « كتاب جغرافيا » لمحمد بن ابي بكر الزهري . ويظهر انه عاش في غرناطة حوالي سنة ٥٣٦هـ .(٥) وقد ركز جهده في وصف ما سميت « بالخارطة المأمونية للعالم » . ووضع أبو الحسن علي المغرناطي الذي اشتهر بابن سعيد مصنفاً عنوانه « كتاب جغرافيا في الاقاليم السبعة » . وعاش ابن سعيد ردحاً من الزمن بالبصرة وبغداد والموصل وتوفي سنة ٦٧٣ هـ .(٦)

هذا الحديث الموجز يفسح المجال لمناقشة بعض جوانب التراث الجغرافي العربي وابراز مكانته في اطار الفكر الجغرافي المعاصر مفهوماً ومنهجاً . إذ لايزال مضمون هذا التراث في حاجة للدراسة والتقصي رغم كثرة المحاولات التي بذلت لمعرفة جهود العرب في هذا الحقل من حقول المعرفة العلمية .

مضمون الجغرافيا عند العرب

لعل من المناسب في هذا المجال ان نمعن النظر في أعمال الجغرافيين العرب ونتفحصها قبل البدء بتحديد محتوى الجغرافيا ومضمونها عندهم . ومما ييسّر هذا الامر ويعين على تتبعه هو ان كتب التراث الجغرافي العربي لا تخلو من مقدمة ينص فيها المؤلف على غاية كتابه ومضمونه . وتحقيقاً لهذا الغرض عمدنا الى اقتباس اقوال بعضهم على مدى سنوات متباعدة يمكن ان نتبيّن خلالها مفهوم الجغرافيا ومحتواها عندهم .

يتحدث اليعقوبي عن فحوى كتابه معرّفاً بمضمونه فيقول : (فجعلنا هذا الكتاب مختصراً لاخبار البلدان ... وقد ذكرت أسماء الامصار والاجناد والكور وما في كل مصر من المدن والاقاليم والطساسيج ومن يسكنه ومن يغلب عليه ويترأس فيه من قبائل العرب وأجناس العجم ومسافة ما بين

---

(٥) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ص ٢٧٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧ .

البلد والبلد والمصر والمصر ومن فتحه من قادة جيوش الاسلام وتأريخ ذلك في سنته واوقاته ومبلغ خراجه وسهله وجبله وبره وبحره وهواءه في شدة حره وبرده ومياهه وشربه)[٧] . ومن هذا القول يظهر ان اليعقوبي قد عني بذكر متغيرات جغرافية البيئة وايضاح الظواهر البشرية . وعرض كل ذلك بحالة من التوازن الذي لا يظهر فيه إنحياز واضح لظواهر معينة دون غيرها. وكان اليعقوبي من اوائل الجغرافيين العرب الذين وصفوا البلاد إعتماداً على ملاحظاته الشخصية . فقد عني في شبابه ، كما يقول عن نفسه ، بعلم اخبار البلدان والمسافات بين البلاد .

ويقول الاصطخري (أما بعد فأني ذكرت في كتابي هذا أقاليم الارض على الممالك وقصدت منها بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما يعود بالاعمال المجموعة اليها ولم أقصد الاقاليم السبعة التي هي عليها قسمة الارض بل جعلت لكل قطعة أفردتها تصويرا وشكلا يحكي موضع ذلك الاقليم ثم ذكرت ما يحيط به من الاماكن وما في اضعافه من المدن والبقاع المشهورة والبحار والانهار وما يحتاج الى معرفته من جوامع ما يشتمل عليه ذلك الاقليم ... أما ذكر مدنها وجبالها وانهارها وبحارها والمسافات وسائر ما انا ذاكره فقد يوجد في الاخبار ولا يتعذر على من اراد تقصي شيء من ذلك من اهل كل بلد فلذلك تجوّزنا في ذكر المسافات والمدن وسائر ما نذكره ، فاتخذت لجميع الارض التي يشتمل عليها البحر المحيط الذي لا يشك صورة اذا نظر اليها ناظر علم مكان كل اقليم مما ذكرناه واتصال بعضه ببعض)[٨] . وقد شمل كتاب الاصطخري حقولا جغرافية متعددة تجمع بين حقول الجغرافيا

---

(٧) اليعقوبي ، (ت ٢٨٤هـ) ، كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٧ ، ص ٢٣٣ .

(٨) الاصطخري (ت/النصف الاول من القرن الرابع الهجري) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٧ ، ص ٢-٣ .

الرياضية والفلكية والطبيعية والبشرية . وقد جعل لكل منطقة خارطة وجعل منها اقليماً قائماً بذاته . ولذلك فان للخرائط في كتابه شأناً يذكر .

ويشتهر ابن حوقل بكثرة الارتحال والانتقال وقراءة الكتب الجليلة المعروفة والتواليف الشريفة الموصوفة . وخرج من ذلك بقوله (فلم أقرأ في المسالك كتاباً مقنعاً ، وما رأيت فيه رسماً متبعاً فدعاني ذلك الى تأليف هذا الكتاب) .[٩] ويذهب في مقدمته الى شرح محتوى الكتاب وعنايته (بصفة أشكال الارض ومقدارها في الطول والعرض ، وأقاليم البلدان ومحل الغامر منها والعمران ، من جميع بلاد الاسلام ، بتفصيل مدنا وتقسيم ما تفرّد بالاعمال المجموعة اليها . ولم أقصد الاقاليم السبعة التي عليها قسمة الارض لان الصورة الهندية بالقواذيان ، وان كانت صحيحة ، فكثيرة التخليط . وقد جعلت لكل قطعة افردتها تصويرا وشكلا يحكي موضع ذلك الاقليم ، ثم ذكرت ما يحيط به من الاماكن والبقاع ، وما فيها من الانهار والبحار ، وما يحتاج الى معرفته من جوامع ما يشتمل عليه ذلك الاقليم من وجود الاموال والجبايات والاعشار ، والخراجات والمسافات في الطرقات ، وما فيه من المجالب والتجارات اذ ذلك علم يتفرّد به الملوك الساسة ، واهل المروآت ، والسادة من جميع الطبقات) .[١٠] وهكذا أكد ابن حوقل على الظواهر الطبيعية والبشرية وان كان يبدي إهتماماً اكبر بالجوانب البشرية . وانه ما فرغ من وضع كتابه الا بعد ان استكمل الدراسة النظرية والعملية شأنه في ذلك شأن طالب الجغرافيا في يومنا هذا .

وينقل المقدسي الدراسة الجغرافية العربية الى آفاق رحبة واسعة . إذ تشيع في تضاعيف كتابه سلاسل مناهج متداخلة ومعايير متنوعة طوّرها

(٩) ابن حوقل (عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) ، صورة الارض ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٧ ، ص ٢-٣ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٣ .
القواذيان ـ قرية قرب ترمذ في اسيا الوسطى .

نتيجة تجاربه ومشاهداته ومطالعاته . ويلاحظ انه التزم بتطبيق منهجيته بصورة دقيقة لا يحيد عنها سواء ما اتصل منها بتعريف لفظ أم بشرح معنى ام بوضع معايير اتخذها للكشف عن صور توزيع اقاليم معينة . وقد وضع المقدسي كتابه وفق خطوات منهجية توضح كل واحدة منها ما هو بصدده وتمهد السبيل لما بعدها . وابتدأ المقدسي بذكر الحوافز التي حملته على وضع كتابه بقوله (... وجدت العلماء قد سبقوا الى العلوم فصنفوا على الابتداء ، ثم تبعتهم الاخلاف فشرحوا كلامهم واختصروه ، فرأيت ان اقصد علماً قد أغفلوه ، وأنفرد بفن لم يذكروه الا على الاخلال ، وهو ذكر الاقاليم الاسلامية وما فيها من المفاوز والبحار والبحيرات والانهار ، ووصف أمصارها المشهورة ومدنها المذكورة ...).(11)

وهكذا يضفي المقدسي صبغة خاصة على كتابه يتفرد ويتميز بها عن سابقيه ، حتى اذا نظرت فيه وجدته ، حسب قوله ، نسيج وحده ويتيماً من نظمه . فقد أوشك المقدسي في كتابه ان يبحث معظم حقول الجغرافيا ، وهو الوحيد بين الجغرافيين العرب الذي يلتفت الى اهمية شرح معاني الألفاظ تزيادة في الايضاح وإحاطة القارئ بكل ما يعينه على معرفة حقه انه اجتهد الا يذكر شيئاً قد سطروه ، ولا يشرح أمراً اوردوه ، الا عند الضرورة لئلا يبخس الناس حقوقهم ولا يسرق من تصانيفهم . ولخص المقدسي مؤلفات سابقيه ليوازن بين كتابه وكتبهم ، فالجيهاني صاحب فلسفة ونجوم وهيئة (فلك) . جمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودخلها وكيف المسالك اليها . مرة يذكر النجوم والهندسة وكرة يورد ما ليس للعوام فيه فائدة . ولم يفصل الكور ، ولا رتب الاجناد ولا وصف المدن ولا استوعب

---

(11) المقدسي (ت ٣٩٠هـ) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ ، ص ٨ .

الاجناد ــ كل ناحية لها جند يقبضون اطماعهم بها وهي جند فلسطين والاردن وحمص وقنسرين .

ذكرها . وينعي المقدسي على أبي زيد البلخي بانه ترك كثيراً من أمهات المدن ولم يذكرها . وأهمل اسباباً وأموراً نافعة.

ثم يقول عنه بأنه لم يدوخ البلدان ولا وطىء الاعمال . وهذه وخدمات ادارية مالية . وابن الفقيه سلك طريقة اخرى ولم يذكر الا المدائن العظمى ولم يرتب الكور والاجناد . أما الجاحظ وابن خرداذبة فان كتابيهما مختصران جدا لا يحصل منها كثير فائدة .[١٢] وجعل المقدسي المشاهدة المباشرة معياراً اساسياً للدارس الجغرافيا ولذلك فهو يعيب على البلخي ، كما اسلفنا ، عدم تنقله في الاقاليم . فقد سار المقدسي في جزيرة العرب اكثر من مرة ، وقطع نحو الفي فرسخ في البحر الاحمر والخليج العربي وساح في البراري وتاه في الصحاري . ولكن رحلاته لم تحمله الى الاندلس ولا الى الهند وسجستان . وفي خضم ذلك لم يترك شيئا مما يلحق المسافرين الا اخذ نصيباً منه غير الكذب وركوب الكبيرة .[١٣]

وهكذا يضع المقدسي شروطاً منهجية صارمة تحدد أبعاد الدراسة الجغرافية ومحتواها . فملاحظاته عن كتب غيره لم تكن مجرد نقدات لنواقصها وذكر لمآخذها وانما أراد المقدسي من ذلك ان يحدد تعريف الدراسة الجغرافية ويشرح محتواها وان لم يذكر نصاً محدداً لها .

يقودنا هذا العرض العام الى كتاب الادريسي الذي قال فيه (كمبل) يجمع بين الجدة والاصالة .[١٤] وفيه يتنول الادريسي (صور الاقاليم السبعة بيلادها واقطارها وسيفها وريفها وخلجانها ونحارها ومجاري مياهها ومواقع انهارها وعامرها وغامرها وما بين كل بلد منها وبين غيره من الطرقات

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٣-٥ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٤٣-٤٤ .

(١٤) George H.T. Kimbie, Geography in The Middle Ages, London, 1938, P. 95.

المطروقة والاميال المحددة والمسافات المشهودة والمراسي المعروفة).[15] ثم يخرج من ذلك الى (وصف احوال البلاد والارضين في خلقها وبقاعها واماكنها وصورها وبحارها وجبالها ومسافاتها ومزروعاتها وغلاّتها وأجناس بنائها وخواصها والاستعمالات التي تستعمل بها الصناعات التي تنفق بها والتجارات التي تجلب اليها وتحمل منها والعجائب التي تذكر عنها وتنسب اليها • وحيث هي من الاقاليم السبعة مع ذكر احوال اهلها وهيئاتهم وخلقهم ومذاهبهم وزيّهم وملابسهم ولغاتهم) •[16]

ان هذه النصوص تفصح عن مصادر دراساتهم فاذا هي تنحصر في :

١ ــ الاطلاع على ما وصل من مصنفات في هذا الباب •
٢ ــ قصد ما لم يكن بدّ من الوصول اليه والوقوف عليه •
٣ ــ سؤال ذوي العقول من الناس •

وبعبارة اخرى ان مصادر الجغرافيين العرب جمعت بين الدراسة النظرية والميدانية واستبانة اراء الناس • وهي منهجية علمية لا نجدها الا في الكتب الجغرافية الحديثة الرصينة • الا ان هذا لا يعني ان الجغرافيين العرب عالجوا موضوعاتهم وفق معايير موحدة ، بل ان كلا منهم اختار معياراً يتفق وغرض بحثه ودراسته • فقد اختار الهمداني ، وهو الخبير العارف ، معالم السطح الرئيسة ، وهي ظواهر يمكن ملاحظتها وتصنيفها ، واعتمد صفاتها العامة معياراً لابراز أقاليم الجزيرة العربية وبيان صورتها • وجعلها كياناً أرضياً له هوية جغرافية متميزة •[17]

---

(١٥) الادريسي ، (ت ٥٦٠هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، منشورات معهد الدراسات الشرقية في بريل ، ١٩٠٧ ، ج١ ، ص ٩ •
(١٦) المصدر نفسه ، ص ٩ •
(١٧) الهمداني ، (ت ٣٣٤هـ) صفة جزيرة العرب ، تحقيق ومراجعة محمد بن عبدالله بلهيد النجدي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٣ ، ص ٤٧ــ٤٨•

وفي دراسته هذه تفر من الاشارة عن كل شيء لا يمت لواقع جزيرة العرب بصلة حتى جاء مصنّفه عربياً خالصاً لم يسبقه أحد للنهوض بمثله • فهو من ناحية اشار الى المعطيات المشتركة بين جزيرة العرب وسائر انحاء العالم وهي معطيات يفرضها تدبير الكواكب على العالم كله ، كما ابرز المعطيات الخاصة بجزيرة العرب ذاتها •[18] فأوجد صلة وثيقة بين صفة جزيرة العرب وصفة العالم ، ولكنه ، من ناحية اخرى ، جعل لها صفات خاصة متميزة بموقعها ومسالكها ومناهلها وأوديتها وصخورها وحضارة سكانها مما يميزها جغرافياً عن سائر مناطق العالم •

وقسم المقدسي دار الاسلام الى رتب حضرية اقليمية تؤلف اربعة صفوف متميزة تنبع من جوهر الاشياء وقواعد العقل • وبنى تقاسيمه على اساس شخصية كل منها التاريخية والاجتماعية ، وعلى اساس العلاقات المتبادلة بين المدن والاقاليم •[19]

لقد بلغ الهمداني والمقدسي القمة في الدراسة الجغرافية الاقليمية حتى لتعجز الدراسة الجغرافية المعاصرة في محاكاة ما ذهبنا اليه في بعض الجوانب •[20]

ومع ذلك لم يجدا ضرورة منهجية لتعريف الجغرافيا بعبارة موجزة • فقد قال عنها المسعودي ، كما اسلفنا ، قطع الارض • ووصفها ابن حوقل بصورة الارض • ولم يكن قولهما تعريفاً لمحتوى الجغرافيا وانما كان شرحاً لمعنى الكلمة على الاكثر • فقد أطنب الجغرافيون العرب في شرح غرض

---

(١٨) اندريه ميكيل ، جغرافية دار الاسلام البشرية ، ترجمة ابراهيم خوري ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، القسم الاول ، ١٩٨٣ ، ص ١٦٦ .

(١٩) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٤٧ .

(٢٠) علي محمد المياح ، مناهج الجغرافيا الاقليمية عند العرب في التراث والمعاصرة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، المجلد الاربعون ، ص ٢٠٠–٢٥٤ .

كتبهم وماهيتها ومادتها ، ولعل ذلك كان يتضمن اجابة سائل يسأل عن ماهية السائل الى طرح مثل هذا السؤال ، وهذه حقيقة لاتزال قائمة ، فعندما نسأل بحيط خشية ان يحول ذلك دون رؤية التعقيد الكامن في الظواهر مما يحمل السائل الى طرح مثل هذا السؤال ، وهذه حقيقة لاتزال قائمة ، فعندما نسأل نخبة من الجغرافيين ما هي الجغرافيا فان الجواب لن يكون واحداً ، وسبب ذلك يرجع الى ان لها عدة تعاريف مقبولة على نطاق واسع رغم انها تتقاطع فيما بينها الى حد ما .(٢٠)

ولم تستعمل كلمة الجغرافيا في كتب التراث الدلالة على علم الجغرافيا الا في وقت متأخر ، إذ يذهب حاجي خليفة الى تعريف الجغرافيا بقوله : (*هو علم يتعرف منه أحوال الاقاليم السبعة الواقعة في الربع المسكون من* كرة الارض وعروض البلدان الواقعة فيها واطوالها وعدد مدنها وجبالها وبراريها وبحارها وانهارها الى غير ذلك من احوال الربع كذا في مفتاح السعادة .

قال الشيخ داود في تذكرته جغرافيا علم بأحوال الارض من حيث تقسيمها الى الاقاليم والجبال والانهار وما يختلف حال السكان باختلافه ....) .(٢١)

وهذا تعريف له مآخذه ، فكثير من كتب التراث الجغرافي العربي لا يتفق مضمونها ونص التعريف ، فقد اغفل بعض الباحثين الاقاليم التقليدية كما فعل الهمداني في دراسة صفة جزيرة العرب او المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم وابن حوقل في كتابه صورة الارض ، بل ان هذا

---

(٢٠) John P. Cole and C.A.M. King, Quantitative Geography, John Wiley and Sons Ltd., London, 1969, P. 11.

(٢١) حاجي خليفة ، (ت ١٠٦٧ هـ) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ج١ ، ص ٥٩٠ .

التعريف يغفل عن ذكر موضوعات مهمة تناولها الجغرافيون العرب مثل ظواهر الجو وصنوف الانواء كالرياح والامطار والسحاب • مثل كتاب مؤرج السدوسي (ت ١٩٥هـ) وكتاب ابي حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ) • وعدد ابن النديم مجموعة من كتب الانواء امثال كتاب الامطار لعلي بن داود وكتاب الامطار للابح وغيرهما •[٢٢] والاهم من ذلك ان التعريف لم يلتفت الى الجانب التحليلي الذي أرست قواعده كتب التراث الجغرافي العربي واصبح اليوم ركنا اساسياً تقوم عليه الدراسة الجغرافية في يومنا هذا • ونعني بذلك تحليل العلاقات التي توضح تباين ظواهر سطح الارض من مكان لاخر • ويبدو هذا جلياً فيما كتبه الكندي والمسعودي وغيرهما كثير مما سنأتي على ذكره لاحقاً • ولم يكن وصف الظواهر يأتي اعتباطاً بل في ضوء معايير ووحدات قياس محددة مثل النهج الذي طبقه الهمداني والمقدسي لفرز اقالمه •

ولقي تعريف الجغرافيا العربية عناية أحد الباحثين المعاصرين • واعتبر تعريفيا عقبة كأداء لابد من تخطيها حرصاً على استقامة منهجه العلمي • وخلص من دراساته الى ان موضوع الجغرافيا العربية تعالج العلاقة بين الانسان ووسطه الطبيعي المتصل بحكم تكوين الكون في آن واحد •[٢٣] وكأني به يقول انها كانت تعنى بدراسة علاقة الانسان بالبيئة • ولكن البيئة هنا أخذت مجالاً اوسع من مفهوم الظروف الطبيعية المحلية • وما قال هذا القول الا بعد ان حصر عنايته بدراسة الجغرافية البشرية واستبعد الدراسات العربية الرياضية والطبيعية ومصنفات الخرائط • لان ذلك يقتصر ، كما يقول ، على التعبير الرياضي العلمي المجرد •[٢٤] وقد سبقه المقدسي الى مثل ذلك كما أسلفنا عندما استبعد الجيهاني من جمهرة الجغرافيين لانه صاحب فلسفة ونجوم وهيئة (فلك) •٩٠ بل انه جعل المشاهدة والمعاينة الشخصية مرحلة

---

(٢٢) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٢٨-٣٢٧ •
(٢٣) اندريه ميكيل ، جغرافية دار الاسلام البشرية ، ص ٧-١٢ •
(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٩ •

دراسية مهمة لا تتم للباحث الجغرافي ادوات بحثه بدونها ، ولذلك اشار الى نقص الاعداد الجغرافي العلمي عند ابي زيد البلخي فقال عنه (وما دوخ البلدان ولا وطىء الاعمال) .(٢٥)

ان التعريف الذي توصل اليه أندريه ميكيل لا يخلو من مأخذ . اذ اننا نجد دراسة العلاقة المكانية لا تقتصر على علاقة الانسان والبيئة في كتابي الهمداني والمقدسي بل تشمل علاقة ظواهر بشرية بمثيلاتها . فالهمداني لم يقطع صلة اقاليمه بعضها ويترك اقليماً منها يعيش بعزلة عن الاخر ، بل انه جعل اقاليمه تكون كلا متكاملا ووحدة مساحية ذات اداء وظيفي عام يوحد مختلف اقاليم جزيرة العرب ويربط بينها وان كانت معاييره الاقليمية تقوم في الاصل على أسس تضاريسية . فقد ذكر شبكة الطرق التي تربط بين الاقاليم وتوضح العلاقة المتبادلة بينها . وهي علاقات بين ظواهر بشرية .وهذا نوع من العلاقات لم يتبلور بصورة واضحة الا في الدراسات الجغرافية والاقليمية الحديثة .(٢٦) كما ان المقدسي لم يستبعد مصنفات الخرائط لانه من صناعها وانها كانت ولاتزال اداة جغرافية لا غنى عنها .

بل ان الخرائط موضوع اساسي في التراث الجغرافي العربي سنعرض للحديث عنه . وخلاصة القول ان مفهوم الجغرافيا عند الباحثين العرب كان يأخذ بعين الاعتبار دراسة ظواهر سطح الارض وتحليل علاقاتها التي ترتبط وتباينها من مكان لاخر . فلم يقتصر الجغرافيون العرب على وصف الظواهر وتحديد مواقعها على سطح الارض وفقاً لمقتضيات المنهج الجغرافي وانما ذهبوا الى بحث علاقاتها المكانية . وقد لا تلمس ذلك في كل ما كتب فبعضهم اقتصر على الجانب الوصفي وذكر معلومات لها فائدتها . وكثير من الدراسات الجغرافية المعاصرة لا تخرج عن هذا المجال تنشرها مجلات افردت بهذا

(٢٥) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٤ .
(٢٦) علي محمد المياح ، مناهج الجغرافيا الاقليمية عند العرب في التراث والمعاصرة ، ص ٢٣٧ .

النوع من الدراسات المعرفية (informative) . الا ان مفهوم الجغرافيا في جوهره يكشف عما ذهبنا اليه . وان ما اسداه العرب الى علم الجغرافيا فكراً ومنهجا يكوّن مرحلة متميزة لا يزال صداها يتردد في مضمون الدراسة الجغرافية المعاصرة .

الخارطة ومضمون الجغرافيا عند العرب

تعتبر الخارطة من أقرب وسائل البحث الى اذهان الجغرافيين . فقد كانت ولاتزال الوسيلة التحليلية الاولى التي يعتمدونها . لذلك تحتل الخارطة مكانة عظيمة بين وسائل الوصف والتحليل والاتصال التي يستخدمها الجغرافي . واختلفت تسميتها على مر العصور عند الجغرافيين العرب فهي (صورة الارض) عند ابن حوقل و (الصورة الجغرافية) عند شيخ الربوة و (لوح الرسم) عند ابن فضل الله العمري أو (لوح الترسيم) عند الادريسي واتخذها الجغرافيون العرب وسيلة لابراز صورة ظواهر سطح الارض وتوزيعها الجغرافي وقاعدة للشرح والايضاح . ويمكن ان نستشف هذه الحقيقة مما كتبه ابن حوقل اذ يقول : (وقد جعلت لكل قطعت أفردتها تصويرا وشكلا يحكي موضع ذلك الاقليم ، ثم ذكرت ما يحيط به من الاماكن والبقاع وما في أضعافها من المدن والاصقاع وما لها من القوانين والارتفاع وما فيها من الانهار والبحار ...) .[٢٧]

وهكذا كانت الخارطة هي الاساس وشرحها يأتي وصفاً لظواهرها وايضاحاً لها .

واقتصرت خرائط الجغرافيين العرب على ظواهر سطح الارض التي يمكن ملاحظتها . وهي قاعدة اساسية في الدراسة الجغرافية في يومنا هذا . فما لا يمكن رسم خارطة له لا يمكن وصفه .[٢٨] وهذا يعني ان الحديث

---

(٢٧) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٠ .

(٢٨) S.W. Wooldridge And W.G. East, The Spirit and Purpose of Geography, London, 1951, P. 64.

عن اية ظاهرة لا يمكن ملاحظتها ومن ثم لا يمكن تحديد موقعها ورسم خارطة لها لا تعد موضوع دراسة جغرافية . لان ذلك يعني صعوبة معرفة توزيعها الجغرافي . فلا غرو ان قيل ان الخارطة تسمى احياناً « لغة الجغرافيا » رغم انها لغة معقدة لانها تتطلب تحويل الموقع قياساً وشكلا ورسماً . وهكذا كانت الخارطة عند العرب ، كما هي اليوم ، جزءاً من مضمون الدراسة الجغرافية . وقد فرضت ذلك متطلبات الحياة العملية وادارة شؤون الدولة . قال قدامة بن جعفر : (ما ينبغي لمن يرشح نفسه من الكتابة للرئاسة العالية ، ان لا يكون جاهلا بأمر الاراضي ووضعها وتخيل أقطارها وأحوال الجبال والامم المطيفة بالمملكة التي يريد تدبيرها) .[٢٩]

والخارطة ، كما أسلفنا ، لغة كل ذلك لا تتوفر معرفتها عند غالبية الناس . ولذلك لم تكن الخرائط العربية مجرد صور صماء تزين صفحات الكتاب ، كما هي الحال في كثير من كتب الجغرافيا والرسائل حالياً ، وانما وسيلة إيضاح تفصح عن معلومات كثيرة . فقد ذيّل الجغرافيون العرب خرائطهم بشروح وافية لما فيها . إذ يكتب ابن حوقل الى جانب خارطة ديار العرب تفاصيل الحدود التي يرسمها نهر الفرات لهذه الديار فيقول : (يمتد الفرات على ديار العرب حتى ينتهي الى الرقة وقرقيسيا والرحبة والدالية وعانة والحديثة وهيت والانبار الى الكوفة ومستفرغ مياه الفرات الى البطائح . ثم تمتد ديار العرب على نواحي الكوفة والحيرة على الخورنق وعلى سواد الكوفة الى حد واسط فتصاحب ما جاور دجلة وقاربها عند واسط مقدار مرحلة ، ثم تمتد وتستمر على سواد البصرة وبطائحها ...) .[٣٠] وهكذا لم يترك خارطته بكماء بل جاء بوصف يتابع امتداد الفرات والحدود التي يرسمها لبيان ما قد يعسر فهمه . وعلى هذا النحو تؤدي الخارطة عند الجغرافيين

(٢٩) قدامة بن جعفر ، (ت ٣٢٩ هـ) الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ١٣١ .

(٣٠) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٧ .

القرب وظيفة علمية لا غنى للجغرافي عنها في شرح مادة موضوعه وايضاحها • فالخارطة جزء من مضمون الجغرافيا ومفهومها • فهي تعريف مصور لهذا المضمون تتكامل مع النص ولا تنفصم عنه • وبهذا وضع الجغرافيون العرب نصاً لتعريف الجغرافيا ومضمونها لايزال يعمل به حتى اليوم • وكانت خرائطهم ارقى من خرائط بطليموس ولديهم نزعة تقدمية إذ استخدموا الخرائط في تعليم الجغرافيا بالمدارس •(٣١)

وكانت الاصباغ والالوان مادة لابراز صور التوزيع الجغرافي لما في ذلك من محاسن كثيرة يذكرها المقدسي • ويطالعنا في هذا الصدد قول المسعودي : (ورأيت هذه الاقاليم مصورة في غير كتاب بأنواع الاصباغ • وأحسن ما رأيت من ذلك في كتاب جغرافيا لمارينوس وتفسير جغرافيا قطع الارض وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون اجتمع على صنعتها عدة من حكماء وأهل عصره صوّر فيها العالم بافلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الامم والمدن وغير ذلك ، وهي أحسن مما تقدمها من جغرافيا بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرها •(٣٢)

ويذكر (سومة) تفاصيل خرائط الاصطخري ذاكراً الوانها ودلالاتها فيقول : (رسمت الانهار باللون البني الغامق والبحيرات والبحار باللون الاخضر ، أما المدن فقد رسمت بالاصفر والاحمر على أشكال مختلفة منها ما هو على شكل اوراق الشجر ومنها ما هو على شكل مستطيل تعلوه دوائر صغيرة ملونة • أما المدن الرئيسة فقد رسمت بدائرتين الى ثلاث وقد لوّنت بالاصفر والاحمر ، وقد رسمت الجبال مجسّمة وملونة باللون البني والاحمر الغامق ، كما رسمت طرق المواصلات بخطوط مستقيمة او منحنية باللون

---

(٣١) نفيس احمد ، جهود المسلمين في الجغرافيا ، ترجمة فتحي احمد ، مطابع دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ١٤٠ •
(٣٢) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٤٦-٤٧ •

الاحمر وكذلك الحدود الخارجية للاقاليم . أما المفازات (الصحاري) فملونة بلون رمالها حمراء او بنيّة او صفراء مع انتشار نقاط صغيرة داخلها للدلالة على ذرات الرمل) .(٣٣)

ومن هنا يتضح ان هذه الخرائط لم تقتصر على اللون للدلالة على ظواهر اليابسة من مجرد بحيرة ونهر وجبل بل استخدمت فيها الدوائر واشكال اخرى ترمز الى المدن الرئيسة . وهي في جميع الاحوال الوان ورموز مازالت تشيع في رسوم خرائط الوقت الحاضر .

ولا يكتفي المقدسي بذكر الوان خرائطه بل يذهب الى ايضاح الغرض من ذلك فيقول في ذكر الاقاليم : (وقد قسمناها اربعة عشر اقليما ...ورسمنا حدودها وخططها وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة وجعلنا المعروفة بالزرقة وجبالها المشهورة بالغبرة ليقرب الوصف الى الافهام ويقف عليه الخاص والعام) .(٣٤) ويمكن ان تلمس من عبارة المقدسي ان الخارطة ليست مجرد صورة تلازم الكتب الجغرافية ، بل هي مضمون جغرافي لابد من عرضه ببساطة تتيح سهولة الوصف والفهم . والوان خرائط المقدسي مستخدمة اليوم رغم مضي مئات السنين تحمل روح الاصالة والابداع عنده . فلا عجب ان يعتبره (اشبرنجر) « اكبر جغرافي عرفته البشرية قاطبة » .(٣٥)

ولم يستخدم الجغرافيون العرب الالوان على وتيرة واحدة في رسم خرائطهم . فخارطة الادريسي تحمل الوانا تخالف الوان المقدسي فالازرق للبحار والاخضر للانهار والبحيرات والحمرة والصفرة والبني والارجواني للجبال . اما المدن فجعلها دوائر مذهبة .(٣٦)

---

(٣٣) احمد سوسة ، الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية ، نقابة المهندسين العراقيين ، مكتب صبري ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ج١ ، ص ١٦٠ .
(٣٤) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٩ .
(٣٥) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، القسم الاول ، ص ٢٠٨
(٣٦) احمد سوسة ، الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية ، ج١ ، ص ٢٤٠

والحديث في هذا الموضوع لا يستنفد اغراضه دون الاشارة الى ما ذكره شيخ الربوة وهو يتحدث عن كتابه قائلا : (وختمته بصورة جغرافية دهانا بالاصباغ وتخطيطا محررا على مثل مواقع الاطوال والعروض والايستقاع في المعمورة لتكون مثالا حسّياً مشاهداً بالحس يشهد منه ما وصفت وصفه من الهيئة وليكون الوصف برهاناً لما مثلت أمثلته بالجغرافية المذكورة وكلّما هو من الدهان بهما ازرق فهو مثال مالح صَغُرَ أم كَبُرَ دقّ او عرض في الزرقة من لون مخالف فهو مثال جبل او جزيرة وكلما هو في ذلك وفي باقيها من لون أخضر فهو مثال بحيرة حلوة ونهر جارٍ وكذلك طال أم قصُر أو عَرُض وكلما هو بها من لون جلناري أو خمري أو أصفر أو حجري أو أبيض أو غير مستطيل مخططاً خطوطاً بالسواد فهو مثال جبال وزبوات مشهورة . وكلمّا هو صورة أسود مستطيل من مشرق الجغرافية (الخارطة) الى مغربها فهو مثال فصل ما بين اقليم واقليم من الاقاليم السبعة وما ورائها وما خلف خط الاستواء منها ، وكلمّا هو صورة عمارة وتفصيل حجارة بالتخطيط فهو مثال سور او مربع او مدينة او هيكل مشهور في الارض).(٢٧)

نخلص من هذا الى ان خرائط الجغرافيين العرب هي في جوهرها لغة جغرافية سهلة ميسّرة تفصح عن مضمون الجغرافيا يفهمها العام والخاص . وتمثل شروحها مفتاحا لها ووصفا لتوزيع ظواهرها . فما ذكره الاصطخري والمقدسي والادريسي وشيخ الربوة من ايضاح هو في حقيقته مفتاح لمحتوى خرائطهم والا بقيت ظواهرها بكماء لا تنطق عن ماهيّتها . وتمثل هذه الشروح ، في الوقت نفسه ، تعبيرا عن مضمون الجغرافيا عندهم . وعنايتهم بدراسة تباين ظواهر سطح الارض . وان اختلاف الالوان من خارطة لأخرى ، لاسيما الوان المياه من الازرق الى الاخضر ، لا يرتبط بحقيقة

(٢٧) شمس الدين ابن عبدالله محمد بن ابي طالب الانصاري الصوفي الدمشقي شيخ الربوة (ت ٧٢٧هـ) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مطبعة اوتو هاروسوفيتز ، ليبزج ، ١٩٢٣ ، ص ٣ .

فيزيائية كاختلاف مستوى العمق ودرجة الحرارة وبين ماء عذب فرات وملح اجاج فحسب ، بل للموضوع اساس لغوي • فالخضراء قبة السماء ، والخضرة عند العرب : السواد • [٣٨] ويجمع العرب بين الخضرة والسواد في الاسامي فسموا خضرة العراق سوادا •[٣٩]

والذي يهمنا من كل هذا هو منهجية الدراسة ومضمون الجغرافيـــا عندهم • فقد سارت على نسق واحد رغم اختلاف موضوعات الدراســة وتقادم العهود بين من ذكرنا آنفاً من علماء الجغرافيا العرب • فدراساتهم وان بدأت نسقية (Systematic) فانها تنتهي آخر المطاف الى تقسيم اقليمي ترسم حدودها خطوط حمراء او سوداء • وهو اسلوب مألوف اليوم فتارة ترسم الحدود بلون أحمر وتارة اسود سواء أكانت حدودا اقليمية محلية ام دولية • وهي خرائط عملية يستفيد من مضمونها الجغرافي المسافر ، حاجاً وتاجراً ، في معرفة احوال البلاد التي يمر بها والطرق التي يسلكها • كما انها ذات فائدة ادارية عملية تعين رجال الدولة للنهوض باعباء مهامهم ويتفرد بها الملوك الساسة حسب ما سلف من قول ابن حوقل •

هذه المناقشة كشفت عن بعض دواخل مضمون الجغرافيا عند العـرب جمعت بين مصادر المعلومات ونوع ظواهر سطح الارض وبتغيرات صور توزيعها • وهو امر ينقل البحث الى دراسة جانب آخر من جوانب الفكر الجغرافي العربي ومعرفة ابعاده •

دراسة العلاقات الاقليمية

ان دراسة الظواهر في اي علم من العلوم ، تتضمن معرفة العلاقة التـي

---

(٣٨) ابو عبدالله الحسين بن علي النمري ، اللمع ، تحقيق وجيه السطل ، دمشق ، ١٩٧٦ ، ص ١٠٢ •

(٣٩) ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي ، (ت ٤٥٠هـ) الاحكام السلطانية ، المطبعة المحمودية التجارية ، مصر ، ص ١٦٦ •

تربط بينها • اذ ان المشكلة العامة التي يضطلع العلم بها هي كشف العلاقات بين ظاهرتين او اكثر وتحديدها وتحليلها • وقد برزت الجغرافيا كحقل من حقول المعرفة العلمية لان ظواهر سطح الارض موزعة توزيعا متباينا سواء أكانت هذه ظواهر طبيعية أم حضارية • او كما يقال ان الاشياء موجودة في بعض الاماكن ومعدومة في اخرى ، وان كثافتها وقابلية حركتها متباينة من مكان لاخر •[٤٠] ولذلك فلان الدراسة الجغرافية ، كانت ولاتزال ، تعنى بدراسة ظواهر سطح الارض وتبحث عن تكاملها الأقليمي • وان الظواهر التي يعنى الجغرافي بالتحري عنها لها ابعاد مكانية كما لها مراحل زمنية تطورت واستقرت على نوعيتها وصورتها • ويظهر من دراسة الفكر الجغرافي العربي وتطوره التاريخي ان المضامين الجغرافية المعاصرة مبثوثة في تضاعيفه • وان العرب عرفوا ان ظواهر سطح الارض لها مقوماتها وحقائقها التي توضح وتفسر توزيعها • وقد برزت حاجة ملحة الى المعرفة الجغرافية بكثير من بقاع الارض بعد ان تحولت العمليات العسكرية اثر الفتح الى مهمات ذات طابع اداري الى حد كبير ، تحفظ الامن وتكفل نجاح واستقرار ناقلة العرب في مناطق الفتح الجديد • وقد ادرك الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ما لعناصر البيئة من أثر في حياة الناس وعيشهم فكتب الى حكيم من حكماء العصر : (إنا أناس عرب ، وقد فتح الله علينا البلاد ، ونريد ان نتبوأ الارض ، ونسكن البلاد والامصار ، فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره الترب والاهوية في سكانها •

فكتب اليه ذلك الحكيم : إعلم يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قد قسم الارض أقساماً : شرقاً وغرباً ، شمالا وجنوباً ، فما تناهى في التشريق فهو مكروه لاحتراقه وناريته وحدته واحراقه لمن دخل فيه ، وما تناهى مغرباً

(٤٠) P.E. James And C.F. Jones, American Geography, Inventory and prospect, Syracuse University Press, 1954. P. 4.

أيضاً أضرّ سكانه لموازنة ما أوغل في التشريق ، وهكذا ما تناهى في الشمال أضرّ ببرده وقرّه وثلوجه وآفاته الاجسام فأورثها الآلام ، وما اتصل بالجنوب وأوغل فيه أحرق بناريته ما اتصل به من الحيوان ، ولذلك صار المسكون من الارض جزءاً يسيراً : ناسب الاعتدال ، وأخذ بحظه من النسمة ، وسأصف لك يا أمير المؤمنين القطع المسكونة) .(٤١) ومن بعض أوصافه الجغرافية التي أوردها عن العراق قوله: وفضائله كثيرة لصفاء جوهره، وطيب نسيمه،واعتدال تربته، واغداق الماء عليه ورفاهية العيش فيه .(٤٢)

ويمكن ان تتبيّن من هذا النص ان مضمون الجغرافيا عند العرب أخذ ، منذ بداية القرن الاول للهجرة ، بعداً منهجياً أصيلا يعنى بدراسة ظواهر سطح الارض وتحليل العوامل التي توضح اختلافها من مكان لاخر . وان الانسان ، لا البيئة ، كان غرض هذه الدراسة . وتزداد هذه الصورة وضوحاً مع مرور الوقت وظهور الرسائل الجغرافية الحقيقية .

يقول الكندي في كتاب الابانة عن العلّة الفاعلة ما نصّه (فقد نرى أهل البلاد تحت معدل النهار « اي خط الاستواء » لشدة الحر بتردد الشمس هناك في السنة مرتين ، وانها مسامتة" دائرة في اعظم كرة معدل النهار ، تفعل « اي تجعل » أهلها سوداً كالشيء المحترق بالنار وشعورهم جعدة متقطفة « اي قصيرة جعدة » كالشعر اذا قرب من النار ، فأسرعت اليه ، وتدقّق أسافلهم اعني أطرافهم ، وتفرطح آنفهم وتعظّم وتجحظ أعينهم ، وتعظم شفاههم ، وتطول قامتهم لانجذاب الرطوبات من أسافلهم الى أعاليهم ... ونرى كل من يسكن ما يلي القطب الشمالي لشدة برد البلاد ضد ذلك ، كصغر

(٤١) المسعودي (ت ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الرجاء للطبع والنشر ، القاهرة ، ج١ ، ص ٢٧٠-٢٧١ .

اعينهم وشفاههم ، وآنفهم ، وتبيض الوانهم وتسبط شعورهم وتغلظ أسافلهم لغلبة البرد والرطوبة عليهم ...) .(٤٣)

ويرى الكندي ، اضافة الى ذلك ، ان دوائر الشمس والكواكب حسب بروجها وموازاتها لعالمنا تؤثر في أجسام الاحياء تأثيراً متبايناً بما في ذلك الانسان على قدر مزاج الناس الحادث . وهذه تتبدل شغلا وسنناً وما يترتب على ذلك من تغير الدول وما شابهها .(٤٤)

وهكذا يفصح الكندي عن مضمون جغرافي عربي يعنى بتحليل العوامل التي توضح تباين طباع الناس واخلاقهم وخصائصهم الجسمية . وجاء ذلك بياناً علاقة اختلاف الاشخاص العالية ، أي العوامل السماوية ، بالمكان والحركة والزمان والكيفية .

وعلى هذا المنوال يؤكد ابن رسته هذا النهج فيحاول ان يفسر تباين ظواهر سطح الارض البشرية والطبيعية فيقول : (ومن هذه الجهة علمنا ان لسائر الكواكب شركة مع الشمس في الدلالات على الاهوية وتفضيل الاشخاص والانواع وتركيب كل شخص تكوينه على طبائع المدن وحالات اهلها وما يكون فيها من الاشياء الا ان للشمس غير دلالاتها على الاهوية تركيب الاشخاص والنفوس الحيوانية وأمزاجها من المدن والخلق والاخلاق والديانات والمعادن والنبات والنشوء باذن الله عز وجل) .(٤٥)

وتظهر ثانية فكرة العلاقات الاقليمية واهميتها في الدراسة الجغرافية . إذ يقول المسعودي : (ومن الفلكيين من يرى ان كل جزء من اجزاء الارض

---

(٤٣) ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي (ت ـ حوالي ٢٥٢هـ) رسائل الكندي الفلسفية ، حققها واخرجها محمد عبدالهادي ابو ريدة ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، ١٩٥٠ ، ص ٢٢٥ـ٢٢٦ .

(٤٤) المصدر نفسه .

(٤٥) ابن رسته ، (ت ٣١٠هـ) ، الاعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٩ .

يناسب جزء من اجزاء الفلك ويغلب عليه طباعه لان في اجزاء الفلك المضيء والمظلم والفصيح والاخرس وذات الاصوات والمجوف وغير ذلك من نعوت الدرج ، فلذلك يكون كلام أهل الموضع الواحد مختلفاً على قدر ما تصلح فيه السعود وتفسد فيه النحوس ثم يختلف أهل اللسان الواحد في المنطق واللهجات) .(٤٦)

ويشير المسعودي الى علاقة لون البشرة بأشعة الشمس ودرجة شدتها . فأهل الربع الخالي من العالم ، وهم الذين بعدت الشمس عن سمتهم من الواغلين في الشمال كالصقالبة والافرنجة ومن جاورهم من الامم ، فان سلطان الشمس ضعف عندهم لبعدهم عنها فغلب على نواحيهم البرد والرطوبة وتواترت الثلوج عندهم والجليد ، فقل مزاج الحرارة فيهم فعظمت وثقلت ألسنتهم وابيضت الوانهم حتى أفرطت فمزجت من البياض الى الزرقة ... وعلى خلاف ذلك أهل الربع الجنوبي كالزنج والاحباش والذين كانوا تحت خط الاستواء وتحت مسامتة الشمس ، فانهم بخلاف تلك الحال من التهاب الحرارة وقلة الرطوبة ، فاسودت الوانهم واحمرت أعينهم ...) .(٤٧)

ولكن المسعودي يذكر متغيرات اخرى تعدل على تباين ظواهر سطح الارض بما في ذلك الظوهر البشرية . فقد ذكر (... ان اصناف اختلاف البلدان اربعة اولها النواحي والثاني الارتفاع والانخفاض والثالث مجاورة الجبال ولابحار والرابع طبيعة تربة الارض) .(٤٨) وكأني به اراد القول ان درجة حرارة دائرة العرض لا تعني بالضرورة تساوي ظروف الحرارة في الاماكن الواقعة على امتدادها وما يتصل بذلك من ظواهر بشرية . وهذه الحقائق الطبيعية التي ذكرها المسعودي لا تزال مسطرة في كتب الجغرافيا المعاصرة في

---

(٤٧) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .
(٤٨) المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

المراحل الدراسية الاولى . وهي تحمل بمجموعها جانبا من أصالة الفكر الجغرافي العربي القائم على المشاهدة والعيان والتجربة .

ويذهب الادريسي مذهب الكندي وغيره ولكنه يكتفي بذكر واقع الاختلاف دون ذكر الاسباب حيث يقول : (وهذا الربع المسكون من الارض قسمه العلماء سبعة أقاليم كل اقليم منها مار من المغرب الى المشرق على خط الاستواء . وليست هذه الاقاليم بخطوط طبيعية لكنها خطوط وهمية محددة بالعلم النجومي . وفي كل اقليم منها حصون وقرى وأمم لا يشبه بعضها بعضا . وايضا فأن في كل أقليم منها جبالا شامخة ووهادا متصلة وعيونا وانهارا جارية ....) .(٤٩)

وظل هذه الحقائق تجد طريقها في كتب المؤلفين العرب حتى بعد مضي سنوات طوال . إذ يفرد ابن خلدون بابا في مقدمته يناقش فيه المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في الوان البشر والكثير في احوالهم حيث يذكر : (وفي القول بنسبة السواد الى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد وأثرهما في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات وذلك ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول والثاني من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فان الشمس تسامت رؤوسهم مرتين كل سنة قريبة احداهما قريبة من الاخرى فتطول المسامتة عامة الفصول فيكثر الضوء لاجلها ويلح القيظ الشديد عليهم وتسود جلودهم لافراط الحر . ونظير هذين الاقليمين مما يقابلهما من الشمال الاقليم السابع والسادس شمل سكانهما ايضا البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط بالشمال اذ الشمس لاتزال بافقهم مرأى العين او ما قرب منها ولا ترتفع الى المسامتة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشتد البرد عامة الفصول فتبيض ألوان اهلها وتنتهي الى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من

(٤٩) الادريسي ، (ت ٥٦٠هـ) نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، منشورات معهد للدراسات الشرقية في بريل ، ١٩٧٠ ، ج١ ، ص ٩ .

زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور ...) .[٥٠] ثم يذهب الى القول الى ان الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وان العراق والشام اعدل هذه كلها لانها وسط من جميع الجهات .[٥١]

ولم يقتصر مثل هذا الايضاح على الظواهر البشرية بل تعداه الى عالم النبات . اذ ينقل احد الباحثين من اهل الفلاحة قول ابن وحشية : (من النبات أشياء كثيرة في بلدان بعينها ، وربما أفلحت في بقاع من تلك البلدان ولا تفلح في غيرها ... وذلك باتفاق شيء ما من الأرض ، مع شيء ما من الماء ، مع شيء ما من الهواء ، مع شيء من مداد الشمس مع شيء من مسامتة الكواكب فيجمع من ذلك مايحدث في تلك الارض شيئا من نبات وغيره من صفة الكائنات . ولهذا كان الاختلاف في طبعة من اللون والطعم والريح والخاصية ، وذلك بحسب الزيادة والنقصان من العناصر ، وبقدر المكان الذي يتم له والزمان الذي يمر عليه .[٥٢]

ولما كانت الزراعة عبارة عن نشاط بشري فان هذه المناقشة تحمل على القول بأن جانبا من الفكر الجغرافي العربي كان ينصب على دراسة علاقة الانسان ببيئته . وهذا مفهوم ، كان ولايزال ، يلاقي قبولا عند الجغرافين وغيرهم من الباحثين في العلوم السلوكية . وعلى هديه سارت الدراسات الجغرافية التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر والربع الاول من هذا القرن متبعة خطى (فردريك راتزل F. Ratzel) وغيره من الذين حاولوا منذ سنة ١٨٨٢م البرهنة على ان قوانين البيئة تحدد نشاط الانسان . وجعلوا من حتمية البيئة امرا قاطعا . *واصبحت دراسة الجغرافية البشرية تعنى بدراسة*

---

(٥٠) ابن خلدون ، (ت /٨٠٨هـ) المقدمة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ص ٨٣–٨٤ .
(٥١) المصدر نفسه ، ص ٨٢ .
(٥٢) مؤلف مجهول ، (القرن الثامن الهجري) مفتاح الراحة لاهل الفلاحة ، تحقيق ودراسة محمد عيسى صالحية واحسان صدقي العمد ، مطابع مقهوي ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص ٨٥ .

اثر عوامل البيئة على الانسان حتى أعتبرت هذه العوامل حقائق جغرافية .[٥٣]

ومن السهولة ان نلحظ ان هذه المفهوم لا يخرج عما جاء به الجغرافيون العرب منذ قرون بعيدة . ولكن رغم هذا الربط بين ظواهر البيئة وسلوكية الانسان الذي ورد ذكره في الدراسات العربية ، فان هذه الظواهر لم تدرس لذاتها بل هي في مجموعها تكوّن بعض المتغيرات التي تربط بين عناصر الكون . يظهر هذا الامر جليا فيما قاله ابن رسته الذي سبق ذكره . ولم يبلغ الفكر الجغرافي العربي مبلغ التطرف الذي بلغته (ألين تشرشل سمبل) التي جعلت كلّ ما يتصل بالانسان ، انتاجا وفكرا ، وقفا متصلا بظروف البيئة .[٥٤] فالجغرافيا العربية في اوائل عهدها كانت جغرافية بشرية الى حد كبير مادامت لا تكتفي بجعل البشر موضوعا لدراستها فحسب ، بل تأتي بنزعة تعتبر الوسط الذي يعيش فيه البشر مصدرا يثير في وجههم مشاكل متعددة .[٥٥]

والواقع ان دراسة علاقة البيئة بسلوك الانسان لا يمثل الا جانبا من جوانب الفكر الجغرافي العربي . فالمقدسي يشرح وحدة قياسه الاقليمية فيقول : (اعلم إنّا جعلنا الامصار كالملوك والقصبات كالحجّاب والمدن كالجنود والقرى كالرجّالة) .[٥٦] ومن هنا يتضح ان المقدسي قد اعتمد معايير بشرية لا صلة لها بحقائق البيئة وآثارها . وتأخذ متغيرات ابن خلدون منحى آخر وهو يناقش العوامل التي يجب مراعاتها في أوضاع المدن واتخاذ المنازل للقرار . وتشمل هذه الحقائق الآتية :

---

(٥٣) Richard Hartshorne, The Nature of Geography, The Association of American Geographers, Fourth Printing, 1951, P. 122.

(٥٤) Ellen Churchil Semple, Influences of Geographical Environment, New York, 1911

(٥٥) اندريه ميكيل : جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج١ ، ص ٩٦ .

(٥٦) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٤٧ .

١ ــ ان تكون في متمنّع من الامكنة إما على هضبة متوعرة من الجبل واما باستدارة بحر أو نهر حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر او قنطرة .

٢ ــ ان يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة ثرّة .

٣ ــ طيب الهواء للسلامة من الامراض .

٤ ــ طيب المراعي للسائمة .

٥ ــ القرب من المزارع لسهولة الحصول على الاقوات ومن ذلك الشجر للحطب والبناء .

٦ ــ ويراعى في البلاد الساحلية ان تكون في جبل أو بين أمة من الامم موفورة العدد تكون صريخا للمدينة متى طرقها طارق من العدو .(٥٧)

وهكذا تجمع الاوضاع التي يجب مراعاتها عند اختيار مواقع المدن بين عوامل طبيعية وصحية واقتصادية وعسكرية وبشرية ، وتظهر دقة ابن خلدون واصالة تفكيره عندما اكد على جعل المدينة قريبة او ملاصقة لمناطق الزراعة وموارد الاخشاب للحطب والبناء . وهذه في جميع الحالات مواد سريعة التلف كبيرة الحجم لا يمكن نقلها مسافات بعيدة بكلفة اقتصادية . ولم تكن واسطة النقل آنذاك سوى دواب الحمل مما يعرّض بعضها للتلف اذا طالت المسافة . ومن الظريف ان هذه الحقيقة تصبح معيارا اساسيا لنظرية (يوهان هنريخ فون تونن Von Thunen الذي تقدم بها سنة ١٨٧٥ م لايضاح نمط الانتاج الزراعي في منطقة متجانسة تحتلها مدينة صناعية . فقد جعل انتاج المحاصيل السريعة التلف على مقربة من المدينة كما جعل الغابة ملاصقة لها لتوفير الحطب وأخشاب البناء لسكانها بكلفة اقتصادية في وقت كانت فيه العربة واسطة النقل الوحيدة .

(٥٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٤٧–٣٤٩ .

وهكذا يعرض ابن خلدون متغيرات متوازنة لا انحياز فيها وهو يتناول مواقع المدن ويفسر عوامل نشأتها بناء على استنتاج منطقي ينطلق من حقائق علمية سليمة تمت ملاحظتها وصدقت تجربتها • في حين ان نظرية الحتم البيئي بقيت سائدة الى وقت قريب حتى نبذها الجغرافيون بعد ان تبينوا كثرة مآخذها وان النشاط البشري لا يمكن ان يدرس في ضوء علاقات البيئة وحدها •

ولم يقتصر جهد العرب في دراساتهم الجغرافية على ايجاد العلاقات الاقليمية بين ظاهرة واخرى ، بل تعدى ذلك الى البحث عن مثل هذه الروابط بين اقليم وآخر • فقد ضمّن الهمداني اقاليم الجزيرة العربية كل الملامح المهمة فيها مهما اختلفت انواعها وجعل من هذه الاقاليم كلا متكاملا ووحدة مساحية ذات اداء وظيفي عام يوحد بينها ويعمل على ترابطها • فقد ذكر محاور الحركة والطرق التي يكثر الاختلاف عليها ، بما فيها من قرى وموارد للماء واسواق • فذكر بتفصيل وافٍ محجة العراق ومحجة صنعاء ومحجة عدن ومحجة حضرموت والطرق التي تتفرع منها •

ان ذكر شبكة الطرق التي تربط بين الاقاليم وتوضح العلاقة المتبادلة بينها من الجوانب العلمية الحديثة التي اكد عليها الفكر الجغرافي المعاصر في الدراسات الاقليمية • ولم تتبلور بصورة واضحة الا بعد ان تقدمت دراسات التخطيط الاقليمي ومشاريع التنمية القومية التي حتمت اداء وظيفيا كاملا لمجموع الاقاليم •

---

(٥٨) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٤٦ .

إن دراسة الفكر الجغرافي العربي لاتجـد في كتب الجغرافيين المعاصرين ما يشفي الغليل.منها سوى شذرات عابرة لا تفي بحاجة دارس • والواقـع ان البحث في هذا الموضوع لايزال بعيد المنال إذ يندر عدد الباحثين فيه.وتقـل عنايتهم في تتبع مضانه• فلا تجد له أثرا ملموسا يتصدر كتابا او بحثا يتعمق في كشف مضمونه ويجعل منه مادة علمية تحتل مكـانة مرموقة في الادب الجغرافي العالمي المعاصر •

لقد تناول الجغرافيون العرب دراسة ظواهر سطح الارض وتحديد مواقعها تبعا لمتطلبات منهـج البحث الجغرافي وذهبوا الـى تحليل علاقاتهـا المكانية • واتخذوا من الخرائط وسيلة مصورة لشرح كثير من المعلومات • واقتصـرت خرائطهم على ابراز ظواهر سطح الارض الملموسة • وجعلوا من ذلك قاعـدة تحتفظ بها الدراسات الجغرافية في يومنا هذا • وكانت الاصباغ والالـوان والرموز مادة لابراز صور التوزيع الجغرافي • وهي الوان ورموز مازالت تشيع في رسوم خرائط الوقت الحاضر •

وشرح الجغرافيون العرب في دراساتهم العوامل التي توضح توزيع ظواهر سطح الارض • وكانت دراسة علاقة الانسان بالبيئة تشغل مجالا اوسع مـن مفهوم الظروف الطبيعية المحلية • واعتبرت الوسط الذي يعيش فيـه الانسان مصدرا يضعه امام مشاكل متعددة • ورغم ما يلاحظ احيانا من ربط بين ظواهر البيئة وسلوكية الانسان فان هذه الظواهر لم تدرس لذاتها بل انها تكـون بمجموعها بعض المتغيرات التي تربط بين مختلف العناصر • لذلك فهي تبتعـد عن مفهوم حتمية البيئة ؛ بل غالبا ما تطرح متغيرات طبيعية وبشرية متوازنـة تحددها طبيعة موضوع الدراسة • وهو نهج يطابق ما يذهب اليه الباحثـون في الجغرافيا في يوم الناس هذا • ولم يقتصر العرب على ايجاد العلاقة بين ظاهرة واخرى بل ذهبوا الى ايجاد الروابط بين اقليم واخر • وهو أمر لم يعرض لـه الجغرافيون الا مؤخرا •

القانون الدولي

اساسه وطبيعته

الدكتور منذر الشاوي
عضو المجمع

تمهيد

١ • وجود القانون الدولي

العالم، ومنذ زمن ، مقسم الى دول • ولكل دولة خصوصيتها البشرية وطموحاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية • وهذه الدول لا يمكن ان تكتفيء على ذاتها ؛ فهي بحاجة بعضها الى البعض الآخر • فمجرد التعايش المادي والجوار يفرض وجود علاقات لابد منها بين هذه الدول • والحاجات الاقتصادية والطموحات السياسية ، المعقولة وغير المعقولة ، والمنافسات بل الصراعات تفرض ايضاً اقامة علاقات واتصالات بين هذه الدول • وهذه العلاقات تحتاج الى تنظيم قد يفرضه منطق تنظيم العلاقات بين الافراد ، من قبل القانون الداخلي لكل دولة ، دون ان يكون ذلك متشابهاً • ولكن يبقى التنظيم القانوني للعلاقات بين الافراد محل تأمل ومنطلق لايجاد مايشابهه في تنظيم العلاقات بين الدول • واذا كان الامر كذلك فهل هناك قانون ينظم العلاقات بين الدول اي « قانون دولي » ؟

٢ • تعريف القانون الدولي

يُعرف القانون الدولي بأنـه مجموعة القواعد «القانونية» التي تنظم العلاقات بين الدول والكيانات الدولية الاخرى[1] • وعليه فأن القانون الدولي هـو قانون الدول بالدرجة الاولى ويوجه اليها لتنظيم العلاقات فيما بينها • ولهذا فهو يختلف عن القانـون الداخلي الـذي هو قانون الافراد بالدرجة الاولى او القانون الذي ينظم علاقات الافراد فيما بينهم بينما القانون الدولي هو قانون الدول او القانون الذي ينظم علاقات الدول فيما بينها •

وهذا التعريف للقانون الدولي هو التعريف التقليدي الذي لم يسلم به الجميع ، إذ يعتقد بعض الفقهاء المعاصريـن ، ان القانون الدولي لا يوجه فقط الى الدول بل ايضاً الى الافراد باعتبارهم منشأ وغاية القانون • وذهب البعض منهم الى حد القول بأن القانون الدولي لا يوجه إلا الى الافراد حيث انهـم وحدهم اشخاص القانون لانهم وحدهم يملكون ارادة ووعياً •

وينكر عدد مهم من فقهاء القانون الدولي هذا التوجه وحجتهم في ذلك ان الافراد لا ينالهم او يوجه اليهم القانون الدولي ولا يمكنهم التمسـك بـه إلا بشكل غير مباشر: بواسطة الدول التي ينتمون اليها • الا انهم حين ينكرون على الأفراد صفة «اشخاص القانون الدولي» فانهم يسلمون ـ من جانب آخر ، بان الافراد يمكن ان يكونوا موضوعاً للقانون الدولي : الحماية الدوليـة لحقوق الانسان وحماية الاقليات •

٣ • مشكلة اساس وطبيعة القانون الدولي

القانون الوضعي هو ماتضعه الهيئة العليا في الدولة • فما تصدره هـذه الهيئة من اوامر وقرارات اي من قواعـد تفرض طاعتها واحترامها على كـل الافـراد والهيئات الاخـرى في الدولة ، لانهـا صـادرة عن ارادة المشـرع القابض على السـلطة العليا في الدولة • وفي مجتمع الدول المتساوية ذات السيادة

(1) Louis DELEBEZ : Les Principes Généraux du droit international public 3 éd. PARIS, L. G. D. J. 1964, P. 13.

لا وجود لمثل هذه الارادة العليا التي تفرض القاعدة القانونية ، فلا وجود لسلطة تعلو على سلطات الدول لتفرض ارادتها بما تضعه من قواعد قانونية . فمن الممكن ان توجد ، في مجتمع الدول، دول أقوى من الدول الأخرى ويمكن ان تفرض ارادتها ، في بعض الاحيان ، على الدول الأضعف،إلا ان هذه الارادة غير مؤهلة قانونا ، فهي ليست إلا قوة او سلطة فعلية وبالتالي غير مختصة لأن تصدر قواعد قانونية صحيحة ومن ثم ملزمة من الناحية القانونية.واذا كان الامر كذلك فالسؤال الذي يطرح عند ذاك : اين هو القانون الدولي ؟ واذا قيل انه « موجود » أمكن السؤال مرة أخرى : ماهو الاساس الذي يقوم عليه هذا القانون ؟ فمشكلة اساس القانون الدولي هي ، في الواقع ، مشكلة صحة او قانونية القواعد الدولية . فالبحث إذن في اساس القانون الدولي هو البحث في تفسير القوة الملزمة لهذا « القانون » وبالتالي في وجوده وخضوع الدول له .

إلا ان القانون الدولي يدرس في الجامعات وله منظماته واجراءاته ومحاكمه . فالقانون الدولي حاضر عند رجال السياسة والفقهاء والدول والمنظمات الدولية الذي به يستشهد وبوجوده يعترف . فهل من المعقول ان هذا العدد العديد من البشر ينفقون الوقت والجهد والفكر وحتى المال من اجل سراب خادع ؟ والحكومات تأخذه بنظر الاعتبار وتحيط نفسها بالمستشارين وتحرص على ايجاد دوائر قانونية في وزارات الخارجية.والقانون الدولي حاضر في دساتير العديد من الدول سيما تلك التي صدرت بعد الحرب العالمية الثانية ، وهو حاضر في المحافل الدبلوماسية حيث تعمل الدول على تقوية مواقفها باسناد حججها بقواعد من القانون الدولي . وهو حاضر ايضا في المحاكم الدولية التي ما وجدت الا لتطبيق القانون الدولي . الا ان كل هذا لا يمنع من تجاوز وجود القانون الدولي والتساؤل عن طبيعة القانون الدولي.

ولذلك يجدر بنا ان نقف ، في قسم اول ، من هذه الدراسة ، عند اساس القانون الدولي ، ونحاول ان نحدد ، في قسم ثان ، طبيعة القانون الدولي .

القسم الأول

أساس القانون الدولي

الفرع الاول

الاساس الوضعي للقانون الدولي

اولا ـ الوضعية القانونية التقليدية

٤ • القانون الدولي من خلق الدول

تنطلق الوضعية القانونية ، في صيغتها الالمانية[1] من المسلمات التالية : الدولة هي التي تضع القانون والدولة ذات سيادة بمعنى ان ارادتها لا تتقيد بما تضعه الا ذاتياً • فالدولة تخضع ، إذن ، للقانون بمشيئتها اي انها تتقيد ذاتياً بقرار او تصرف احادي وبالتالي فهي تبقى ذات سيادة وان خضعت للقانون الداخلي(٢) •

ولا يمكن ان يكون الأمر غير ذلك بالنسبة للقانون الدولي ، أي بالنسبة لخضوع الدولة لهذا القانون • فالقانون الدولي ، وفق هذا المنظور ، سيكون من خلق الدول وهي تخضع له بمشيئتها معبرة عن ذلك بالاتفاق فيما بينها • فأساس القانون الدولي سيكون ، بالنسبة للوضعية القانونية التقليدية ، في هذا الاتفاق الذي تعقده الدول فيما بينها وتلتزم بارادتها على احترامه • فكما تخضع الدول بارادتها للقانون الداخلي وتبقى ذات سيادة ،

---

(١) حول « الوضعية القانونية » في المانيا وفرنسا ، انظر : منذر الشاوي ، فلسفة القانون ، بغداد ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٤ ، ص ٣٩ وما بعدها .

(٢) حول نظرية التقييد الذاتي للدولة ، انظر : منذر الشاوي . في الدولة بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ٩٧ ، القانون الدستوري ، ط٢ ج١ ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٣١٩ وما بعدها .

فأنها كذلك تخضع للقانون الدولي بارادتها المعبر عنها باتفاقها مع الدول الاخرى ، وتبقى ذات سيادة لانها تقيدت بارادتها المحضة . فالتقييد الذاتي اذا كان اساس سيادة القانون الداخلي ، في هذه النظرية ، فهو كذلك اساس سيادة القانون الدولي . وكل ما في الامر ان التقييد الذاتي هو من جانب واحد بالنسبة للقانون الداخلي واتفاقي بالنسبة للقانون الدولي .

٥ . نقـد

ان إقامة القانون الدولي على التقييد الذاتي للدولة معناه إقامة القانون الدولي على اساس هش . فمن يضمن بأن الدولة ذات السيادة تحترم حقيقة القيود التي فرضتها على نفسها ؟ واذا كان ما يبرر التقييد الذاتي هو مصلحة الدولة فليس هناك ما يمنع من ان تتخلى الدولة عنه حين تتعارض مصالحها مع هذا التقييد . وفي هذا يقول الفقية الالماني جيلنك (١٨٥١ – ١٩١١) ، وهو من انصار التقييد الذاتي للدولة ، انه : « اذا كان الخضوع للقانون الدولي في تناقض مع وجود الدولة ، فأن القاعدة القانونية تنسحب الى الخلف لأن الدولة تعلو على كل قاعدة قانونية ... فالقانون الدولي يوجد من اجل الدول ولا توجد الدول من اجل القانون الدولي » .

وهذا القول يتمشى تماماً مع مفهوم سيادة الدولة . « فالدولة ذات السيادة ، يقول العميد دگي ، يمكن ان تخضع للقانون طواعية ، قانوناً داخلياً ودولياً ، ولكن تستطيع دائماً حين تتطلب ذلك مصلحتها التخلص من تطبيق القاعدة ، وهي وحدها التي تقدر هذه المصلحة . ومع سيادة الدولة فأنه لا يمكن استبعاد هذه النتيجة مهما فعلنا »[1] .

وعليه فأن تفسير وجود القانون الدولي سيكون بواسطة الموافقة الطوعية ، الصريحة او الضمنية ، للدول على بعض القواعد ، اي ان الدول توافق

(1) Duguit : Traité de dorit constutionnel 3 éd. T1, PARIS, 1927, P. 729.

على تقييدات إختيارية او طوعية على سيادتها بحيث ان مجموع هذه التقييدات تكون القانون الدولي وان سيادة الدولة التي تخضع لهذا القانون تبقى كاملة، لأن التقييدات تمت باختيار الدول . إلا ان القانون الدولي الذي يكون اساسه الموافقة الاختيارية للدول ليس قانوناً حقيقياً ، كما لاحظ العميد دكي (١٨٥٩ ــ ١٩٢٨) . فالقاعدة التي لاتوجد إلا بالنسبة لأولئك الذين وضعوها والتي يخضعون لها طواعية ليست بقاعدة قانونية إذا لم ترتبط بقاعدة سابقة الوجود وآمرة بذاتها بالنسبة لاولئك الذين هم طرف في الاتفاق[١] .

ثانيا ــ الوضعية القانونية الجديدة

٦ . معطيات المشكلة

حاول الاستاذ إيرو في اطروحته للدكتوراه الموسومة « النظام القانوني والسلطة الاصلية » والمقدمة عام ١٩٤٥ لكلية القانون بجامعة تولوز في فرنسا : ان ينقذ مذهب القانون الوضعي مما يعتريه من عقم ان لم يكن من تناقض . ولهذا السبب فأنه يمكن ان نطلق على آرائه حول السلطة والقانون اسم « الوضعية القانونية الجديدة » . ولذلك فهو لا يمكن ان يسلم بنظرية التقييد الذاتي للدولة ، المرتبطة اساساً بالوضعية القانونية التقليدية ، لانها مجرد سفسطة . فاذا كانت ارادة الدولة هي التعبير عن القانون ، واذا كان كل اظهار لارادة الدولة قانونياً ، فلا شيء يستطيع من الناحية القانونية تقييد الدولة . فاذا التزمت الدولة بتقييد سلطتها في بعض المجالات ، سواء بالنسبة لمواطنيها او الدول الأخرى ، فأن هذا الوعد لاجدوى فيه ، لأن اي اظهار مخالف للارادة ، في اية لحظة او في اي شكل يتم ، له (وفقا لمسلمات الوضعية القانونية التقليدية) القوة القانونية لالغائه . فيمكن ان نسلم بأن تأمر الدولة مواطنيها لكن لايمكن التسليم بأنها تأمر نفسها أي تلزم بصورة

(١) انظر : دكي ، المطول في القانون الدستوري ، ج١ ، المرجع السالف الذكر ، ص ٧٢٣ .

صحيحة ، لأنه اذا كان مصدر القاعدة في الارادة ، فأن القاعدة لايمكن ان يكون لها على الارادة اية قوة ملزمة . فالصفة الملزمة للقاعدة القانونية لم تحددها الشروط الموضوعية للنظام القانوني ، بل هي مرتبطة بارادة الدولة ، فالنتيجة القانونية لارادة يمكن ان تلغيها ارادة اخرى (١) .

ولهذا السبب يحاول الاستاذ إيرو بنظريته « الوضعية » الجديدة أن يكون التقييد الذاتي من عمل السلطة او الدولة وفي نفس الوقت ينكر على هذه السلطة مكنة تعديل « شروط صحة » اعمالها . فكيف السبيل الى ذلك ؟

٧ . نظرية الاستاذ ايرو

« فلنتصور ، يقول الاستاذ إيرو ، سلطةعليا تتمتع باختصاص مطلق . هذه السلطة تشرع ... وتلتزم ضمناً او صراحة ، على احترام ذلك . ومثل هذه القرارات صحيحة لانها تصدر عن سلطة ناجمة وموافقة ، من جهة أخرى ، للاختصاص المطلق الذي تتمتع به . ولنتصور ، بعد ذلك ، ان هذه السلطة نفسها تظهر ارادة تناقض توزيع الاختصاص الذي حددته ، فأن اظهار الارادة هذا غير مشروع ، لأنه منذ القانون الاول ، فأن السلطة لاتملك بعد الآن الا اختصاصاً مقيداً ، والقرار الذي بموجبه ترجع عن قرارها السابق يتجاوز هذا الاختصاص ، بحيث ان اجراء التقييد لايمكن الرجوع عنه . فالسلطة التي تعد باحترام توزيع محدد لاختصاصات ، خلال وقت محدد او بصورة غير محددة ، ملزمة بهذا الوعد القانوني . لان ارادتها ليست بجوهرها ارادة قانونية ، فهي ليست قانونية الا وفقاً لشروط موضوعية للصحة التي بين اظهار الارادة الاول والثاني ، قد تغيرت بفعل الارادة الاولى »(٢) .

---

(1) G. Héraud L'ORDRE Judidique et le Pouvoir Originaire PARis, Sirey , 1946 , P. 104 .

(٢) ايرو : النظام القانوني والسلطة الاصلية، المرجع السالف الذكر، ص١٠٦

٨ • نقـــــد

ان السؤال كل السؤال هو : هل من الممكن بالنسبة للسلطة ان تقوم بتقييد نفسها ؟ الجواب بالنفي • لأن كل التزام يتضمن ، بالضرورة ، وجود سلطه تعلو على الشخص الملتزم وتوحي الاحترام ؛ وهو عنصر انبابي للشعور بالالتزام • إلا اننا هنا بصدد التزام سلطة هي بالتحديد السلطة العليا • فكيف إذن يمكن تصور ان مثل هذه السلطة لايمكن ان ترجع عمـــا اتخذتـه من قرارات • ولا يمكن القول ان هذا غير ممكن لأن هذه السلطة تقيدت بوعـد قانوني • فاذا كانت ارادة السلطة تسهم في تقييد نفسها ، فأنها مع هذا يجب ان تحترم شروطاً لايعود لها ، من الناحية القانونية ، تغييرها [١] • لكن السابصدد سلطة عليا لاتؤهلها اي قاعدة عليا ، فما هي إذن الشروط الموضوعية للصحة ؟ « شرط النجاعة ، يقول الاستاذ إيرو ، هو بالنسبة السلطة العليا ، كشـرط التوافق مع القاعدة العليا بالنسبة للسلطة الادنى • فهو إذن الشرط الموضوعي للصحة القانونية » [٢] •

الجواب حاذق ولكن ليس بشكل كاف ليخفي السفسطة التي بضمنتها هذه النظرية • فالقول بان شرط النجاعة بالنسبة للسلطة العليا هـو كشـرط التوافق مع القاعدة العليا ، بالنسبة للسلطة الادنى ، هو سفسطة • فما يهمنـا ان نتبين هو كيف ان السلطة العليا لا تستطيع الرجوع عن قراراتها • وهـذا يمكن ان يفسر بالنسبة للسلطة الإدنى بان وراء القاعدة العليا ، التي تعطـي الصحة لاعمال هذه السلطة ، توجد سلطة تعلو على السلطة الادنى وتفرض الاحترام عليها وتتدخل ، عند الحاجة ، لضمان تقييدها • فالسلطة العليـــا تستطيع تماماً ان تلتزم ، لكن ذلك لايكون الا التزاماً مع الذات • واذا كان

---

(١) ايرو : النظام القانوني والسلطة الاصلية ص ١٠٥

(٢) ايرو : النظام القانوني والسلطة الاصليه ، ص.١٠٥ ، وقارن لنفس المؤلف : الصحة القانونية ، « خليط موري » ، ج٢ ، باريس ، دالوس – سيري ، ١٩٦٠ ، ص ٩٠ ،

الالتزام مع الذات فمن الممكن دائماً الرجوع عن هـــذا الالتزام . فمكنـة الرجوع ، اذن ، عن قراراتهـا اي عن تقييدهـا الذاتـي السـابق يتوقـف فقط على ارادة السـلطة وعنـدهـا هل يوجـد حقـا تقيد حقيقـي ؟ ولايمكن القول بان النجاعة شرط يجب ان تراعيه السـلطة العليا في مسيرة تقييدها الذاتي . لأن هذا يؤدي بنا الى هذه المفارقة : السلطة العليا يجب ان تراعي نفسها ولا يعود لها ان تغير صفتها ! الا ان السلطة العليا هي ليست كذلك إلا بشرط ان تكون سلطة ناجعة . بتعبير اخر ، لان هذه السلطة ناجعة فهي في نفس الوقت سلطة عليـا . فالنجاعة ليست شرطـاً يجب مراعاته ، هي بكل بساطة ميزة ، صفة لهذه السلطة العليا . فصفتها كسلطة ناجعة تمنحها صفة السـيادة العليا والعكس صحيح . فلا يمكن ، في الحقيقة ، ان نعزل نجاعة السلطة عن صفتها العليا ، لأن النجاعة والعلوية ليستا الا شيئاً واحداً .

ومن الصعب ، في الواقع ، ان نفهم لأي سـبب تتقيد السلطة العليـا للمستقبل وتمنع نفسها عن كل تغيير او الغاء لتقييدها الذاتي . وليس بكاف ان نجيب بان السلطة العليا حين تقيدت ذاتياً فقد اعطت وعداً قانونيا لايمكن الرجوع عنه[1] . لكن اليس هذا هو كل السؤال: كيف ان «الوعد القانوني» للسلطة العليا يمكن ان يقيدها ؟ في الواقع يمكن ان نفهم ان فرداً يستطيع ان ان يلتزم بالنسبة للمستقبل ، بوساطة وعـده ، لكننا لا نفهم تماما كيف ان القابض على القوة الكبرى يمكن ان يتقيد بوساطة وعده « القانوني » . فالفرد إذا التزم بوعده ، فان الدائن يستطيع فرض التنفيذ الاجباري . ولكـن لاشيء مثل هذا في حالة السلطة العليـا . لان هذه السـلطـة هي ، بالتعريف ، ليـست فقط فوق وخارج النظام القانوني : بل هي القابضة على القوة الكبرى . فلا يمكن ، اذن ، ادراك ممارسة اي ارغام ضدها لكي تلتزم بوعدها القانوني .

(1) انظر : ايرو ، النظام القانوني والسلطة الاصلية ، ص ١٠٨ .

وكما نرى ، إذن ، فأن السلطة العليا لايمكن ان تقيد بوعدها «القانوني» ولايمكن القول ، عندها ، ان هـــذا ممكن لأن ارادتها ليست بجوهرها ارادة قانونية ، فهي لا تكون كذلك إلا وفقاً لشروط موضوعية للصحة التي تغيرت تحت تأثير الارادة الاولى . فاذا رجعت السلطة العليا عن قرارها السابق فـأن هذا القرار سـيكون غير مشروع لانه منـذ القانـون الاول لا تملـــك السلطة ، بعـد الآن ، إلا إختصاصـاً مقيـداً .

إلا ان القول بأن اظهار الارادة الذي به تناقض السلطة العليا ارادتها الاولى هو غير مشروع، لانه منذ القانون الاول لاتملك السلطة بعد الان إلا اختصاصاً مقيداً ، معناه اسناد هذه الحجة الى ما يجب اثباته .افليس كل السؤال هـو معرفة لماذا منذ الاظهار الاول للارادة لاتملك السلطة العليا إلااختصاصاً مقيداً ؟

ما يهمنا ، في الواقع ، هو ليس اعطاء « صيغة قانونية » لعملية التقييـد الذاتي بل الوصول الى تقييد حقيقي ، ناجع ، للسلطة العليا . وهذا بالضبط ما لم تنجح في تحقيقه نظرية الاستاذ إيرو .

الفـرع الثاني

الاساس الموضوعي للقانون الدولي

٩ . القانـون الموضوعـي

لكي يوجد قانون يحكم الدول وبالتالي لكي يوجد « قانون دولي » يجب ان تكون قواعده بمنأى عن ارادة الدول .فلابد إذن من « قانون موضوعي » يحكم العلاقات بين الدول ، ويفرض عليها ولايكون وليد ارادتها . فالقانون الموضوعي ، بخلاف القانون الوضعي ، لا يدين بوجوده لارادة الدولة وانما يملك وجوداً بذاته فهو ذو وجود موضوعي اذن .

واذا كان « القانون الموضوعي » في اساسه خارج الدولة وارادتها ، فهذا لايعني انه يبقى غريباً عن الدولة وعن ارادتها ، بل هو يعلو عن الدولة وعلى ارادتها .

فموضوعية القانون تتضمن علويته على الدولة وعلى ارادتها او ، بصورة عامة ، علويته على الكل ـ حكاما ومحكومين . واذا كان « القانون الموضوعي » يعلو على الدولة وعلى ارادتها فمعنى هذا انه يعلو ايضاً على ماتفصح عنه هذه الارادة او ماتريده من قواعد قانونية اي من قانون وضعي . من هنا يظهر ان فكرة القانون الموضوعي تتضمن الفصل بينه وبين القانون الوضعي كما تتضمن خضوع القانون الوضعي الى القانون الموضوعي

لكن اذا كان القانون الوضعي يجد اساسه في ارادة الدولة او ارادة هيئات الدولة المختصة لوضعه ، فأين يجد « القانون » الموضوعي اساسه او كيف ينشأ القانون الموضوعي ؟ هنا اختلفت الاتجاهات او المذاهب . فقديماً قالوا ان القانون الموضوعي يجد اساسه في العقل وفي « طبيعة الاشياء » فكان مذهب القانون الطبيعي . وحديثاً قالوا ان القانون الموضوعي يجد اساسه في حياة الجماعة ويولد تلقائياً من المجتمع وتفرضه ضرورات العيش في المجتمع ، وذلك هو مذهب القانون الاجتماعي . لذلك يتوجب الوقوف اولا عند مذهب القانون الطبيعي ، ثم نعرج ، ثانياً ، على مذهب القانون الاجتماعي ، لنرى كيف يدرك كل منهما اساس القانون الدولي .

اولا ـ مذهب القانون الطبيعي

١٠ . الفقهاء اللاهوتيون انصار القانون الطبيعي

اذا كان القانون الطبيعي يعلو على الدول فأن فيه نجد اساس القانون الدولي الذي ينظم العلاقات بين هذه الدول . لذلك كان انصار القانون الطبيعي هم الرواد في محاولة تأسيس القانون الدولي .

وقد كان القديس توما الاكويني ، في القرن الثالث عشر ، المنظر الأول الذي اعطى اساساً واضحاً ودينياً لفكرة القانون الطبيعي[1] . ولهذا حين بدأ

---

(١) حول اساس القانون الطبيعي عند القديس توما الاكويني ، انظر . منذر الشاوي ، فلسفة القانون ، ص ١١٢ وما بعدها .

التفكير في القرن السادس عشر حول الدولة وسيادتها وعلاقتها مع الدول الأخرى ، فان اول من تصدى لذلك هم الفقهاء اللاهوتيون المسيحيون الذين وجدوا في القانون الطبيعي ، كما طرحه اشهر ممثلي الفكر المسيحي ، مما يستقلونه من حلول .

وقد كان قصب السبق في ذلك لرجل الدين الاسباني «فيتوريا» (١٤٨٠ ــ ١٥٤٦) ، الذي ينطلق من اعترافه بسيادة الدولة وبالتالي بحريتها . إلا ان هذه الدولة مقيدة بالقانون الطبيعي الذي يعلو عليها . والدول ذات السيادة ، كالأفراد ، بحاجة الى العيش في مجتمع . والعيش في جماعة يحتاج الى تنظيم فلابد ، إذن ، من قانون ينظم تعايش الدول ذات السيادة وهذا القانون هو « القانون الدولي » . لكن مامضمون هذا القانون ؟ ان مضمونه ، يجيب فيتوريا ، هو مضمون القانون الطبيعي . فالقانون الطبيعي ، إذن يحكم العلاقات بين الدول ، فهو « القانون الدولي » لأنه قانون عالمي يصح في الزمان والمكان . فهناك إذن تطابق بين القانون الدولي والقانون الطبيعي .

وقد اقتفى خطى فيتوريا نتيه لاهوتي آخر ، اسباني ايضا ، هو «سوارز» (١٥٤٨ ــ ١٦١٧) . فقد اعترف ، هو ايضاً ، بجماعة الدول ، إلا انه ميز بين القانون الطبيعي وقانون الشعوب (القانون الدولي) . فالقانون الطبيعي هو قانون ضروري وثابت ، اما القانون الدولي فهو قانون متطور ومتغير يجد اساسه فيما تعتبره الشعوب انه من القانون الطبيعي . وعليه فأن القانون الدولي سيكون بمثابة القانون الوضعي إلا ان بينه وبين القانون الطبيعي توجد علاقة خضوع ضرورية : فالأول يجب ان يكون متوافقاً مع الثاني ، الأمر الذي يحقق خضوع الدولة ذات السيادة للقانون الطبيعي [1] .

---

(1) CF. N. DiNH : Droit international Public, 3 éd. PARIS, L.G.D.J. 1987 , P . 47

١١ - مدرسة قانون الطبيعة والشعوب

لقد اعطى المفكر الهولندي « گروسيوس » (١٥٨٣ - ١٦٤٥) ، في القرن السابع عشر ، اساساً جديداً للقانون الطبيعي[1] ، مؤسساً بذلك ما اصطلح على تسميته « مدرسة قانون الطبيعة والشعوب » . ويتمثل هذا الاساس في انه اساس عقلي للقانون الطبيعي . فالقانون الطبيعي هو القاعدة او القواعد التي يمليها علينا العقل القويم الذي وفقاً له تقيم التصرفات . وعليه فأن كل مايخالف العقل يخالف القانون الطبيعي وكل ماتمشى مع العقل يتمشى مع القانون الطبيعي . واكتسبت نظرية القانون الطبيعي ، بفضل گروسيوس صفة النظرية العقلانية ، فقد قطع هذا المفكر الصلة بين القانون الطبيعي واللاهوت وبين القانون الطبيعي والاخلاق او الفلسفة الاخلاقية الكاثوليكية. والقانون الطبيعي عند گروسيوس يعلو على القانون الوضعي بل ان هذا الاخير يستمد صحته من الأول . وقواعد القانون الطبيعي ستكون لها وجود موضوعي لانها توجد بحكم العقل وعلى المشرع ان يحقق فيما يضعه من قواعد سلوك ملزمة (القانون الوضعي) قواعد القانون الطبيعي او مبادئه . فقواعد القانون الطبيعي هي التي تحل محل القواعد الوضعية اللاعقلانية او غير الكافية او التي يفتقد وجودها في قطاع معين كالعلاقات بين الدول . ويميز گروسيوس بين القانون الطبيعي و « القانون الارادي » . وهذا الاخير نتيجة لارادة الامم كل الامم او لعدد منها ، وهي ارادة يعبر عنها عن طريق الاتفاقات بين هذه الامم . وهكذا نقد اقام گروسيوس ثنائية في القانون الدولي حين ميز بين العنصر « الطبيعي » و العنصر « الوضعي » : القانون الطبيعي والقانون الوضعي . إلا ان القانون الوضعي بالنسبة لگروسيوس يعتمد على القانون الطبيعي من ناحيتين . فالقانون الوضعي هو ، من جهة

---

(١) حول اساس القانون الطبيعي عند گروسيوس ، انظر : منذر الشاوي ، فلسفة القانون ، ص ١١٦ وما بعدها .

نتيجة لارادة الدول بمقتضى مبدأ من مبادىء القانون الطبيعي : « المواثيق ملزمة » • والقانون الوضعي ، من ناحية اخرى ، هو قانون ملزم لأن مضمونه يتوافق مع مبادىء القانون الطبيعي •

وكتب گروسيوس مؤلفه الاساسي « في قانون الحرب والسلم » ونشره عام ١٦٢٥ • وقد نال هذا الكتاب نجاحاً كبيراً وترجم في عام ١٧٥٨ من اللاتينية الى كل اللغات الاوربية• وبهذا الكتاب الذي يمثل اول عرض حقيقي منهجي للقانون الدولي ، تجاوز گروسيوس سابقيه واستحق لقب « ابو القانون الدولي » •

وقبل ان يدخل في « قانون الحرب » يطرح گروسيوس مفهومه العام للقانون الدولي •فهو يسلم بسيادة الدولة ، إلا ان الدول ذات السيادة يجب ان لا تتجاهل بعضها الاخر ، فعليها ان تقبل بفكرة وجود مجتمع يحكمه القانون بالضرورة • فالسيادة يجب ان تقيد بقوة القانون فقط لافتقاد الهيئات التي تعلو على الدول • وهذا القانون هو القانون الطبيعي •

ويجيء « ڤاتيل » (١٧١٤ـــ١٧٦٨) فيسلم ايضا بوجود القانون الطبيعي، لكنه يعتبر الدولة هي المفسر الوحيد لهذا القانون • ويرى ڤاتيل ان « المجتمع الدولي» هو مجتمع الامم وان اعضاء هذا المجتمع هي الدول ذات السيادة فقط • بناءً عليه ، فأنه ، كما فعل گروسيوس ، يؤكد مبدأ المساواة بين الدول• إلا انه يذهب الى ان كل دولة ذات سيادة لها الحق في ان تقدر وحدها مايجب ان تفعله في تنفيذ واجباتها الدولية • ويترتب على ذلك ان كل دولة حرة ، وفقاً لڤاتيل ؛ في ان تقدر وحدها ما يفرضه عليها القانون الطبيعي في كل حالة • ولما كان القانون الطبيعي يستنبط عقليا فهو ذو « وجود » ذاتي وليس ذا وجود موضوعي ومن الممكن بالتالي ان تدخل الدول في نزاع فيما بينها في تقدير مايفرضه عليها القانون الطبيعي • ولما كان هذا النزاع مضراً بأمن الدول ونظرا لغياب سلطة تعلو على الدول ، فأن هذه الدول تعمل على الاتفاق فيما بينها بغية

اعطاء مضمون للقانون الطبيعي يقبله الجميع • وعند قيامها بذلك فأن الدول تخلق القانون الدولي الارادي أي القانون الدولي الوضعي • وبدلا من ان يخضع « القانون الارادي » (الوضعي) الى القانون الطبيعي ، كما عند گروسيوس ، فأن ڤاتيل يرى بأنه بامكان القانون الارادي ان يعدل ، عند الحاجة ، القانون الطبيعي بغية تسهيل الاتفاق بين الدول • هذا يعني ان ارادة الدول ليست مقيدة بالقانون الطبيعي ، لانها تستطيع ان تدخل عليه تعديلات او على الاقل « تفسره » بكل حرية[1] •

١٢ • مدرسة القانون الطبيعي الجديدة

وغداة الحرب العالمية الاولى تجمع نفر من فقهاء القانون الدولي في فرنسا والنمسا ليبعثوا من جديد القانون الطبيعي ويكونوا « مدرسة القانون الطبيعي الجديدة » •

وقد اعادت هذه المدرسة المبادىء الاساسية للنظرية التقليدية للقانون الطبيعي مع مواءمتها ومتطلبات « النقد العلمي المعاصر » • بناء عليه فأن فقهاء هذه المدرسة ، وهم يكتبون في القرن العشرين ، لم يخلطوا ، كما فعل ڤيتوريا، بين القانون الطبيعي والقانون الدولي • فقد ميزوا بعناية ، متبعين في ذلك گروسيوس ، القانون الطبيعي عن القانون الوضعي واعطوا في دراساتهم مكانا واسعا للقانون الوضعي • وتبنت هذه المدرسة ثنائية : القانون الطبيعي، القانون الدولي الوضعي واقامت هذا الاخير على الاول • ولتجنب ما يعزى الى القانون الطبيعي من ذاتية، فقد رأت بان تعرف القانون الطبيعي كتطبيق للعدالة في العلاقات الدولية • ولكي تتجنب المدرسة الوقوع في نوع من « الاخلاقية العالمية » التي قد تتعارض مع تعدد الحضارات والثقافات في العالم ، فقد رجعت القانون

---

(١) انظر : دينه ، **القانون الدولي العام** ، المرجع السالف الذكر ، ص٤٩ — ٥١ •

الطبيعي الى عدد من المبادىء الاساسية : الالتزام باحترام المواثيق والالتزام بتعويض الضرر المسبب بغير حق [1] .

واذا كان على الدول ان تخضع للقواعد العرفية والاتفاقية ، فذلك لان هذه القواعد تجنح كلها الى تطبيق فكرة العدالة على النظام القانوني الدولي اي انها تهدف الى تحقيق «الخير العام» للمجتمع الدولي .

وهذا الاساس للقانون الدولي له صفات ثلاث : أنه موضوعي ، لأن الخير العام للنظام الدولي يوجد بذاته ولا يتوقف على الارادات الذاتية للدول وهو عقلاني ، لأن العقل هو الذي يدركه . وهو ذو علوية لانه يهدف لضمان الخير العام لمجتمع الدول ، فهو يعلو على الدول ، حيث مصلحتها الخاصة ، ويفرض عليها [2] .

١٢-٠ تقدير

يتعرض المفهوم التقليدي للقانون الطبيعي لعدد من التناقضات المنطقية التي لا يمكن تجاوزها الا على حساب منطلقات او مسلمات هذا المذهب .

فدعاة القانون الطبيعي يقولون بان قواعده هي قوانين طبيعية لكنها تحكم تصرفات الافراد في المجتمع اي انها قواعد قانونية . لكن اليس في هذا القول خلط بين ما هو كائن وما يجب ان يكون ؟ فقوانين الطبيعة لا يمكن ان تتضمن ما يجب ان يكون لانها لا تصدر عن ارادة بشرية اي هي ليست بقواعد او سنن وضعية . واذا اريد ان تحكم القواعد الطبيعية سلوك الافراد في المجتمع، فيجب ان تصدر عن ارادة خلاقة . وهذه الارادة الخلاقة لا يمكن الا ان تكون ارادة الله خالق الطبيعة . وهذا يعني ان قواعد القانون الطبيعي تقوم على اسس لاعقلية وميتافيزيقية ؛ وهي ليست بذات وجود

---

(1) انظر : دنيه ، القانون الدولي العام ، ص ٩٦ .

(1) انظر : دلبيز ، القانون الدولي العام ، ص ٤٠ — ٤١ .

موضوعي ، وبالتالي ستكون هذه القواعد قواعد مفترضة يفترضها من يسلم بوجودها . وكل هذا يخالف منطلقات مذهب القانون الطبيعي . وعليه فأن قواعد القانون الطبيعي ستكون قواعد ذاتية وبالتالي نسبية ومن ثم فهي ليست بموضوعية ولا مطلقة كما يدعي انصار مذهب القانون الطبيعي .

فما دامت القواعد التي تحكم سلوك الافراد تستنبط من الطبيعة أو تفرضها « طبيعة الاشياء » فمعنى هذا ان الطبيعة ستكون المشرع الاعلى . واذا كان الامر كذلك فهذا يعني ان الطبيعة لها ارادة وادراك بل لها هدف وغاية . وهذا لا يمكن ان يتحقق الا اذا افترضنا انها من خلق ارادة عليا : ارادة الله . والقانون ، او قانون الطبيعة ، لن يكون عند ذاك الا القانون الالهي ، القانون الذي اراده الله خالق الكون والطبيعة . وبناء عليه فأن مذهب القانون الطبيعي لكي يكون منطقيا مع نفسه لا يمكن الا ان يكون ذا صفة دينية . فكل قانون طبيعي ، اذن ، هو قانون الهي وان حاول بعض انصاره اعطاءه صفة عقلية او ان ينوه على اساس العقل ، إلا انها محاولة علمية زائفة في الحقيقة .(1)

ولهذا فأن فيتوريا كان « منطقيا » حين طابق بين القانون الدولي والقانون الطبيعي . لكن ما هو مضمون القانون الطبيعي ومن يحدد هذا المضمون . وهذه المشكلة الاساس دعت سوارز لان ينادي بوجود قانون وضعي دولي تقيمه الدول مستوحية مبادئه من القانون الطبيعي الذي يعلو عليه .

وهذا التميز بين القانون الطبيعي والقانون الوضعي الدولي نجده اكثر وضوحا عند گروسيوس حين ميز بين « القانون الطبيعي » و « القانون الارادي » الذي تضعه الامم او الدول عن طريق الاتفاقات . فالقانون الطبيعي عند گروسيوس يتضمن « مبادىء » بينما القانون الارادي يتضمن

---

(1) انظر في تفصيل نقد المفهوم التقليدي للقانون الطبيعي : منذر الشاوي ، فلسفة القانون ، ص ١٢٦ وما بعدها .

« قواعد بناءة » تطبق فعلا على العلاقات الدولية • الا ان القانون الارادي سوف لا يكون صحيحا الا اذا تماشى مع القانون الطبيعي •

واذا كان الامر كذلك ، فأن النتيجة المنطقية التي تترتب على ذلك هو ان القانون الدولي الوضعي سيستمد صحته وقوته الملزمة من القانون الطبيعي • وعليه فأن اي تعارض بين القانون (الدولي) الوضعي والقانون الطبيعي يجب ان يؤدي الى الغاء القاعدة القانونية الوضعية التي تتعارض مع قواعد او مبادىء القانون الطبيعي • وهذا ما يوقع مذهب القانون الطبيعي في تناقض آخر • فاذا كانت القاعدة القانونية الوضعية مخالفة للقانون الطبيعي فأنها لا يمكن ان تكون صحيحة بالنسبة للقانون الوضعي• فلا يمكن ان تكون القاعدة القانونية غير صحيحة ولا قيمة لها بالنسبة للقانون الطبيعي وصحيحة ويعتد بها بالنسبة للقانون الوضعي • فالقاعدة القانونية اما ان تكون صحيحة واما ان لا تكون ، اذ لا يمكن ان يوجد اساسان لصحة القاعدة القانونية في آن واحد ، اي لا يمكن تجزئة صحة القاعدة القانونية • فالتناقض الذي يقع فيه انصار مذهب القانون الطبيعي يكمن في ان القاعدة القانونية الوضعية المخالفة للقانون الطبيعي تكون غير صحيحة بالنسبة له ولكنها صحيحة بالنسبة للقانون الوضعي • الا ان القاعدة القانونية إما ان تصح واما ان لا تصح • لذا فأن الاعتراف باولوية القانون الطبيعي معناه الغاء او عدم وجود القانون (الدولي) الوضعي • الا ان القانون الوضعي (الدولي) موجود بقواعده واذا تعارض مع القانون الطبيعي فأن النتيجة المنطقية تقضي بان الوجود يلغي المفترض وهو القانون الطبيعي •

وعليه فأن خضوع القانون الوضعي الى القانون الطبيعي واحتمال التعارض بينهما ، يؤدي في آخر الامر الى انكار وجود القانون الطبيعي ذاته • وربما يكون فيتوريا قد ادرك هذه النتيجة المنطقية، حين طابق بين القانون

الوضعي والقانون الطبيعي فوضع بذلك حدا للثنائية وبالتالي للتناقض المحتمل بينهما .

ومن هذا المنطلق ايضا ارتأى ڤاتيل بأن الدولة (او الدول) هي المفسر الوحيد للقانون الطبيعي ، وان كل دولة حرة في ان تقدر وحدها ما يفرضه عليها القانون الطبيعي في كل حالة . وڤاتيل ، بعكس گروسيوس ، لم يخضع القانون الدولي الارادي الى القانون الطبيعي ، فقد قال بامكان القانون الارادي ان « يعدل » القانون الطبيعي ، وبالتالي فأن الدول ليست مقيدة بالقانون الطبيعي او هي « تفسره » بكل حرية .

ولذلك لقي مذهب ڤاتيل ترحابا من قبل الدول وبقي فترة طويلة مرجعا يشار اليه في المراسلات الدبلوماسية بين الدول ، بينما الحقت ، منذ منتصف القرن السابع عشر (١٦٤٨) اعمال گروسيوس بميدان النظرية ، وفي هذا اقرار ضمني للطلاق بين مضمون هذه الاعمال والممارسة ؛ بين النظرية والواقع في مجال العلاقات الدولية .

وهذا الاتجاه في ابعاد القانون الدولي عن الواقع نجده ايضا عند الالماني بفاندروف (١٦٣٢–١٦٩٤) ، احد انصار مدرسة قانون الطبيعة والشعوب . فقد انكر هذا الفقيه صفة العلوية على القواعد التي تتضمنها المعاهدات التي تعقدها الدول او التي تتضمنها العادات التي تتبعها الدول ووصل ، بالتالي ، الى انكار « القانون الدولي الوضعي » . الا ان وجود قاعدة آمرة في المجال الدولي امر ضروري ، لذا يتوجب البحث عنها ، يقول بفاندروف ، في القانون الطبيعي حيث يجد العقل او المنطق الاستنباطي عناصرها دون اللجوء في ذلك الى الملاحظة المباشرة .

وهكذا يكون بفاندروف ، كما لاحظ الاستاذ دليبز ، قد اسهم بشكل كبير في سقوط اعتبار القانون الطبيعي[1] .

---

(١) انظر : دليبز ، **القانون الدولي العام** ، ص ٤٠

وامام التناقضات التي وقع فيها مذهب القانون الطبيعي حاول بعض الفقهاء ، في القرن العشرين ، تجاوز هذه التناقضات . وخيل لهم ان ذلك غير ممكن الا باعادة النظر في المفهوم التقليدي للقانون الطبيعي . فكانت « حركة احياء او بعث القانون الطبيعي » وكانت مدرسة القانون الطبيعي الجديدة . ومن المحاولات التي قدمت للتخلص من التناقضات التي وقع فيها المذهب التقليدي للقانون الطبيعي[1] ، هي اعتبار القانون الطبيعي ذا وجود مستقل (موضوعي) عن القانون الوضعي وذا مضمون محدد . فالقانون الطبيعي لن يكون الا مجموعة « مبادىء عليا لا يمكن المساس بها » يفرضها العقل . وانطلاقاً من هذه المبادىء العليا نستطيع ان نحكم بعدالة او عدم عدالة ما يضعه المشرع من قواعد . فهي مبادىء اساسية عليا وخالدة ولابد للانسان منها (حيث يفرضها عقله) بغية تحقيق عقلانية القانون الوضعي اي عدالته . فالقانون الطبيعي ، بهذا المعنى ، لا يخلو من بعد اخلاقي بمعنى انه يلعب دورا في تحقيق « اخلاقية » القانون الوضعي . الا ان العيب الذي يعتري هذا المفهوم للقانون الطبيعي يكمن في تحديد عدد المبادىء العليا الثابتة والخالدة التي تكون مضمون القانون الطبيعي . واختلف انصار هذا المفهوم للقانون الطبيعي في تحديد عددها . وهذا الاختلاف في حد ذاته لا يمكن الا ان يكون عنصر ضعف في هذا المفهوم ، بمعنى انه يترك المجال واسعا للذاتية والتصور الفردي .[2]

وهذا ما يعتري بالذات محاولة مدرسة القانون الطبيعي الجديدة الفرنسية في ايجاد اساس « موضوعي » للقانون الدولي ، اذ انها لا تخرج عن هذا التصور للقانون الطبيعي الا بالالفاظ وبالتالي فان « طروحاتها » لا تصمد امام « النقد العلمي » .

---

(١) حول هذه المحاولات ونقدها ، انظر : منذر الشاوي ، فلسفة القانون ، ص ١٢١ وما بعدها .

(٢) انظر تقييما لهذه المبادىء او القواعد التي تكون مضمون القانون الطبيعي بمفهومه الجديد في : منذر الشاوي ، فلسفة القانون ، ص ١٢٤–١٢٥ .

ثانيا ـ مذهب القانون الاجتماعي

١٤ • طـرح المشـكلة

وإذا كان القانون الطبيعي ذا طبيعة ميتافيزيقية وبالتالي يمكن ان يكون محل إيمـــان وليس اساساً لبناء علمي ، فلا يمكـــن ان تجد فيـــه ، إذن ، «القانون الموضوعي» الذي يفرض على الدول ويكون اساساً للقانون الدولي• فلابد ، عند ذاك ، من تصور آخر ، لقانون موضوعي آخر ، يرفض كل « ميتافيزقية قانونية » ويعتمد الملاحظة المباشرة في اقرار الوقائع •

لذلك قال العميد دكي ان القانون الموضوعي تنجبه الفئة الاجتماعيـة تلقائيا نتيجة لمتطلبات او ضرورات الحياة الجماعية المشتركة في هذه الفئـة • ومتطلبات او ضرورات الحياة الجماعية المشتركة تقضي بخضـوع الافـراد اعضاء الفئة الاجتماعية الى قواعد اجتماعية تحدد السلوك الايجابي او السلبي الذي يجب ان يتخذه اعضاء الفئة من اجل ان تستطيع هذه الفئة والافـراد المكونون لها من ان تعيش وتتطور • والقاعدة الاجتماعية (الاخلاقيـــة او الاقتصادية) تصبح قاعدة قانونية في اللحظة التي يكون فيها شعور الافـراد المكونين للفئة بأن التضامن الاجتماعي سيلحقه ضـرر إذا كان احترام هـذه القاعدة لا يضمن باستخدام القوة وان يكون ذلـك الاستخدام متمشـيا مع الشعور بالعدالة • وعليه فان القاعدة الاقتصادية او الاخلاقية تصبح قاعـدة قانونية حين يدرك جمهور الافراد المكونين لفئة معينة ان احترامها ضـروري لبقاء التضامن الاجتماعي وانه من العدل ان يضـن هذا الاحترام عن طريـق الجـــزاء •

فالتضامن الاجتماعي اذن هو اساس كل مجتمع بشري ، وما وجـــود القواعد الاجتماعية وبالتالي القواعد القانونية وموضوعها وهدفها إلا الحفاظ على التضامن الاجتماعي • وهذه هي معطيات مذهب القانون الاجتماعـي • وإذا استطعنا ان نثبت وجود تضامن اجتماعي ليس بين افراد الفئة الاجتماعية

الواحدة ، بل بين افراد عدة فئات اجتماعية ، عندها يمكن القول بوجود قانون موضوعي ينظم العلاقات بين افراد هذه الفئات (التي يحدث فيها تمييز بين حكام ومحكومين لتكون « دولا ») ، اي قانون دولي . ومن هذا المنطلق ووفقا لهذا المسعى المنطقي يريد العميد دگي تبيان اساس القانون الدولي .

١٥ . اساس القانون الدولي عند دگـي

توجد في العلاقات مابين الفئات الاجتماعية ، يقول العميد دگي ، قواعد يشعر بها الافراد في كل فئة ويحسون بضرورتها ويخضعون لها بالفعل . وهذه القواعد الاقتصادية والاخلاقية تصبح قواعد قانونية عندما يولد شعور عند جمهور الافراد بأن قاعدة اقتصادية او اخلاقية هي من الاهمية بالنسبة للعلاقات مابين الفئات الاجتماعية بحيث ان جزاء لهذه القاعدة يجب ان ينظم وانه من العدل ان ينظم هذا الجزاء . واذا حدث بعد ذلك في هذه الفئات الاجتماعية التميز السياسي وتصبح دولا (مهما كان حجمها وشكلها) ؛ فأن روابط تضامن لا يمكن انكارها تربط ايضا افراد هذه الدول . فالقاعدة الاخلاقية والاقتصادية تصبح قانونية حين يدرك جمهور الافراد ، بسبب التضامن الدولي والحاجة الملحة الى العدالة ، انه من الضروري ان تجازى هذه القاعدة وبأن يوضع حد لمن يخرق هذه القاعدة . وهذه القواعد لا تطبق على الدول ، كما هي كأشخاص ، لأن ليس لها هذه الشخصية في الحقيقة ، بل تطبق على افراد هذه الدول المختلفة[1] .

واذا كان هذا هو اساس القاعدة الدولية فأننا تتخلص ، يقول العميد دگي ، من الاعتراض الذي وجه دائما الى القانون الدولي وهو : لا يمكن وجود قانون دولي لانه لا توجد سلطة آمرة تفرض قاعدة دولية على الدول المختلفة . الا ان هذا الاعتراض لا معنى له اذا سلمنا بان القاعدة القانونية ليست امرا مفروضا من قبل ارادة عليا على ارادة ادنى ، بل هي تدرك من

---

(١) انظر : دگي ، المطول ، ج١ ، ص ١٨٥ ــ ١٨٨ .

قبل الافراد على انها ملزمة ويجب ان تجازى حتى قبل ان تطبق . « فالقاعدة القانونية الدولية توجد من اللحظة التي يوجد فيها وعي دولي بأن مثل هذه القاعدة يجب ان تحترم وانه من العدل ان يكون الامر كذلك ، ولان ذلك ضروري لبقاء التضامن الدولي »[1] .

الا ان القاعدة او القواعد الدولية وان كانت تطبق على كافة افراد الدول ، الا انها تطبق بصورة خاصة على الحكام الذين لهم علاقات فيما بينهم وهم الذين يدافعون عن المصالح الاقتصادية للمحكومين[2] . « ولان ، يقول دكي ، جمهور الافراد اقتنعوا بعمق بفكرة انه عندما يعقد حكام فئتين قوميين متميزتين ، اتفاقا ، فأنه من الخطر تماما بالنسبة للتضامن الدولي ومخالف للشعور بالعدالة بأن مثل هذا الالتزام يمكن ان يخرق من دون جزاء ، ولهذا السبب تكونت ... القاعدة القانونية التي تقضي بان كل اتفاق دولي ملتزم بالنسبة للحكام الذين عقدوه »[3] .

وحين يوقع الحكام اتفاقا دوليا ، فهم يحددون ، في الحقيقة : شروط تطبيق قاعدة قانونية دولية تطبق ليس بفضل الاتفاق ، لكن بفضل قوتها الذاتية على كل الحكام الحاليين والمستقبليين للجماعات المعنية[4] .

١٦ . تقدير

ان مذهب القانون الاجتماعي او نظرية العميد دكي حول نشأة القانون الموضوعي داخل المجتمع او الفئة الاجتماعية الواحدة يتعرض لاكثر من انتقاد ويقع في اكثر من تناقض . فمن الصعب ، اولا ، تحديد متى تنشأ او توجد القاعدة القانونية الموضوعية ، لان العميد دكي ترك تحديد القاعدة

(1) دكي المطول ، ج١ ، ص ١٩١ .
(2) انظر : دكي ، المطول ، ج١ ، ص ١٨٩ .
(3) دكي . المطول ، ج١ ، ص ١٩٠ .
(4) انظر : دكي ، المطول ، ج١ ، ط ٢ ، ص ٧٢٥ — ٧٢٦ .

القانونية الى شعور او ضمائر الافراد . والقانون الموضوعي ، ثانيا ، ليس « موضوعيا » اي مقاما على وقائع موضوعية يمكن ملاحظتها واقرارها . فالقاعدة القانونية ، وفقا للعميد دكي ، تقام على شعورين الشعور بالتضامن الاجتماعي والشعور بالعدالة . فعندما يشعر الافراد بتطابق قاعدة اجتماعية (اخلاقية او اقتصادية) مع التضامن الاجتماعي ومع العدالة ، عند ذاك تولد في ضمائرهم ضرورة تنظيم جزاء ضد من يخرق او سيخرق هذه القاعدة ، وحينئذ توجد او تنشأ القاعدة القانونية الموضوعية . الا ان « شعور العدالة » ليس الا ظاهرة نفسية وبالتالي فهي ليست بواقعة موضوعية ، ومن ثم فان القانون يجد احد مصادره ليس في واقعة موضوعية بل في ظاهرة نفسية اي ذاتية عند الانسان وهي العدالة او الشعور بالعدالة . فالقانون سيكون وليد ما يفتكره الانسان لا ما يقرره كواقعة موضوعية .

اما فكرة او واقعة التضامن الاجتماعي ، التي تعتبر محور نظرية العميد دكي حول منشأ او اصل القانون ، فأنه قد تم اختيارها من بين وقائع اجتماعية اخرى ، وبالتالي فأن هذا الاختيار هو اختيار ذاتي ، في الحقيقة ، ولا يخلو من اعتبارات ميتافيزيقية .

وحتى اذا كان التضامن الاجتماعي هو الواقعة الاجتماعية الوحيدة في الفئات الاجتماعية ، الا انه مع هذا واقعة . واذا كان الامر كذلك فمن اين يأتي الالزام بوجوب الابقاء على التضامن الاجتماعي وتطويره بحيث أن القواعد الاجتماعية التي تتطابق مع التضامن تكون قواعد قانونية ملزمة ؟ واذا كان التضامن الاجتماعي ضرورة فعلية ، فأنه لا يمكن ان يكون اساسا لالزام قانوني : فالضرورة الفعلية لا يمكن ان تتحول الى ضرورة قانونية[1] .

---

(1) لمزيد من التفصيل في نقد مذهب دكي ؛ انظر : منذر الشاوي ، فلسفة القانون.. ، ص ١٠٠ وما بعدها .

واذا كانت نشأة « القانون الموضوعي » على الصعيد الداخلي تلاقي هذه الصعوبات والعقبات ، فأن نقل اجراءات تكوينه على الصعيد الدولي ، كما يفعل العميد دكي ، سيلاقي ذات الصعوبات والعقبات ان لم يكن اكثر .

فاذا كان التضامن الاجتماعي هو اساس القاعدة القانونية الموضوعية داخل الدولة ، فهل الامر كذلك على صعيد العلاقات ما بين الدول ؟ حقيقة يمكن افتراض التضامن الدولي والتسليم جدلا بان القاعدة القانونية الدولية توجد من اللحظة التي يوجد فيها شعور دولي بضرورة احترام هذه القاعدة وانه من العدل ان تجازى ، لان ذلك ضروري لبقاء التضامن الدولي . الا ان الشعور بالتضامن الدولي والعدالة هو ليس فقط شعور افراد الدول المختلفة، بل هو ايضا ، وربما بالدرجة الاولى ، شعور حكام هذه الدول . فالقواعد القانونية الدولية تطبق بصورة خاصة على الحكام ، لان هؤلاء هم الذين ستكون لهم علاقات فيما بينهم وبالتالي هم المعنيون بالدرجة الاولى بوعي وتحقيق التضامن الاجتماعي . لكن الوقائع لا تؤيد ذلك . فبين الدول ، وبعبارة ادق بين الحكام ، يوجد تضاد في المصالح لا تضامن فيها نتيجة لسياسات وطموحات واطماع الحكام . فأين هو ، اذن ، التضامن بين الحكام، اذا افترضنا وجوده بين افرادا الدول ، لتقيم عليه القاعدة القانونية الدولية . مجرد افتراض يكذبه الواقع .

واذا كانت نشأة القاعدة القانونية الدولية تتوقف على شعور جمهور الافراد في مختلف الدول ، فأن من المستحيل تحقق ذلك . فجمهور الافراد ، في غالبيته ، لا يملك رؤيا محددة حول تكوين القاعدة القانونية الدولية . فاذا تساءلنا عن امتداد البحر الاقليمي ، فأن جمهور الافراد لا يملك رؤيا عن الموضوع بل حتى لا يعرف ماذا يعني « البحر الاقليمي » واغلب الافراد ، ربما ، لم يسمع او يقرأ شيئا عنه . وعليه فلا جدوى من البحث عن القناعة القانونية للافراد في مختلف الدول حول قاعدة من قواعد القانون الدولي .

بالعكس ، فأن الحكام ووزارات الخارجية لهم رأي حول هذه المسائل وهو الذي يؤخذ بنظر الاعتبار لتحديد الموقف من المسائل او القواعد محل الشك في القانون الدولي . وهذا ما يسلم به : في الواقع ، العميد دگي نفسه .

واذا افترضنا وجود قاعدة من قواعد القانون الموضوعي الدولي ، فكيف نحدد بصورة دقيقة مضمون هذه القاعدة ولمن يعود امر هذا التحديد ؟ فاذا كان هذا التحديد يناط بمجموع الافراد المكونين للفئات الاجتماعية المختلفة اي الدول ، فمن الصعب عند ذاك ، ان لم يكن من المستحيل ، معرفة ارادتهم بالضبط اي معرفة ما يمده « الرأي العام الدولي » حول مضمون القانون الدولي . ولهذا ، ربما ، يرى العميد دگي انه اذا كانت هناك سنن قانونية تحكم العلاقات بين الدول ، فأن على الحكام يقع واجب اقرارهما واعطائها الجزاء . هذا يعني ان تحديد مضمون قواعد القانون الدولي يقع على عاتق الحكام اي على الدول وبالتالي فأن مضمون القاعدة القانونية الدولية يتوقف على ارادة الحكام اي على ارادة الدول وعندها نقع في صميم معطيات الوضعية القانونية .

القسم الثاني

طبيعة القانون الدولي

الفرع الاول

تبعية القانون للدولي

٤٧ ـ مشكلة افتقاد المشرع الدولي

اذا سلمنا بان العرف مصدر القانون الدولي فهو لا يمكن ان يكون ، في الرأي الراجح التقليدي ، من عمل الافراد لانهم لا يسهمون في المجتمع الدولي الا بصورة غير مباشرة . وعليه فان كل قاعدة عرفية ستكون نتيجة للاعتقاد المشترك للدول (الحكام عملياً) الذي باستمراره تخلق القاعدة العرفية كما يقال[١] . فالقاعدة القانونية الدولية ستولد ، اذن ، نتيجة « اعتقاد قانوني » للدول ، اي حين تعي ارادة الدول (ارادة الحكام) بان هذه القاعدة يجب ان تكون قاعدة قانونية بحيث ان اتفاق ارادات الدول هو الذي ، في اخر الامر ، ينجب القاعدة القانونية الدولية العرفية[٢] . فالعرف الدولي لا يمكن ان ينشأ ، اذن ، الا من اتفاق الدول .

وبجانب العرف يمكن ان يكون القانون المكتوب مصدرا اخر للقانون الدولي . الا ان المجتمع الدولي يفتقر الى التنظيم الدستوري الذي يحدد الهيئة والإجراءات التشريعية . بناء عليه فان هذا القانون لا يمكن ان ينتج الا عن الاتفاق الاجماعي للاشخاص التي يحكمها (الدول) ، وهذا الاتفاق او الاتفاقات هي ما اصطلح على تسميتها « المعاهدات ـ القوانين » ، اي

---

(١) حول تحليل القاعدة العرفية : انظر : منذر الشاوي ، فلسفة القانون ، ص ١٩٥ وما بعدها

(2) CF. MARCEL WALINE, L'individualisne et de Droit, 2eéd PARIS, 1949, P. 228.

القوانين المقامة بالاجماع من قبل كل اعضاء الجماعة الدولية او من قبل عدد محدود منها .

وعليه فأن اقامة قواعد القانون الدولي ، سواء بشكلها العرفي او بشكلها المكتوب هي دائما من عمل الدول والدول وحدها[1] .

ففي مجتمع تكون فيه الدول متساوية فيما بينها من حيث المبدأ ، فأن من المسلم به ان ارادة احدها لا يمكن ان تفرض على الاردات لاخرى ، فلابد اذن من **اتفاق ارادات** . بناء عليه فان اتفاق ارادات الدول وحده يخلق القاعدة القانونية التي تطبق على علاقات هذه الدول فيما بينها . وهذا الاتفاق اما ان يكون صريحا ، وعندها نكون بصدد « المعاهدة ـ القانون » واما ان يكون ضمنيا وعندها نكون بصدد العرف . وفي كلتا الحالتين فان وجود قواعد القانون الدولي مدين لارادة الدول . ولهذا فأن القول بان **مصادر القانون الدولي** في ارادة الدول يبقى المعول عليه منطقيا ان لم يكن فعليا .

الا ان الاستاذ الفرنسي جورج سل (١٨٧٨ ـ ١٩٦١) حاول ان يعطي هذه الوقائع تفسيرا او فهما بحيث اراد ان يصل معه ، بشكل او بآخر ، الى وجود « مشرع دولي » وبالتالي يتجاوز ارادة الدول كمصدر للقانون الدولي . واستمرارا في الرغبة لايجاد « مشرع دولي » يضع القواعد القانونية الدولية وبالتالي يكون مصدر « القانون الوضعي » الدولي ـ قدم الاستاذ إيرو تفسيراً آخر لقواعد القانون الدولي بحيث لا تدين بوجودها لارادة الدول .

لذا يتوجب علينا ان نعرض ، اولا : محاولة الاستاذ سل ، ثم محاولة الاستاذ إيرو ، لايجاد مشرع دولي .

---

(١) انظر : ڤالين : المذهب الفردي والقانون ، المرجع السالف الذكر ، ص ٢٣٠ .

١٨ عرض المحاولة

ان « المشرع الدولي » يقول الاستاذ سل ، موجود ، الا ان هذا الوجود ليس وجودا ظاهرا ومتميزا . فالدول ، في زمن معين وفي ظروف معينة ، تتصرف بوساطة هيأتها المختصة لكن بصفتها كهيئات مجتمع دولي . فهيئات الدول حين تعقد معاهدة ــ قانون او تصادق عليها تتصرف ليس كهيئة دولة وانما كهيئة من هيئات المجتمع الدولي وبالتالي فان ما تصل اليه من قواعد قانونية تكون بمثابة قواعد قانونية وضعتها هيئات دولية وبالتالي فهي قواعد قانونية دولية . وهذا مقبول وجائز ، يقول الاستاذ سل ، في القانون الداخلي فلم لا يكون كذلك في القانون الدولي . وعليه فالدول (او هيئاتها) يمكن ان تتصرف كهيئات تضع قاعدة قانونية داخلية وفي بعض الاحيان ، وفي ظروف معينة ، تضع قاعدة قانونية دولية . وهذا ما يطلق عليه الاستاذ سل « الازدواج الوظيفي le dédoublement fonctionnel » . فالدول يمكن ان تكون ، اذن ، هيئات تشريعية دولية في بعض الاحيان ومن ثم تصدر عن ارادتها القاعدة القانونية لان هذه الارادة ، هذه المرة ، هي ارادة دولية تكون بمثابة مشرع دولي غير مستقل او متميز الوجود ، بطبيعة الحال، ولكنه قانونا موجود حيث يضع قواعد للمجتمع الدولي اي قواعد قانونية دولية وكل ذلك بتفعيل نظرية « الازدواج الوظيفي » .

١٩ . تقدير المحاولة

ان اية هيئة من هيئات الدولة ، وليكن رئيس الدولة ، حين يوقع على « معاهدة ــ قانون » او الممثل الدبلوماسي حين يوقع على اتفاق بعد مؤتمر دولي ، فانهم يستمرون على اعتبار انفسهم دائما كممثلين لدولهم ويتصرفون ويريدون لهذه الدولة . « يجب اذن التسليم ، يقول الاستاذ فالين ، بان هذه الهيئة تعبر عن ارادة دولتها في نفس الوقت الذي تسهم في الهيئة التشريعية .

للجماعة الدولية .. . فالقول بان ارادة الدول هي مصدر هذه القواعد (الدولية) او القول ان هيئة الدولة، حين تسهم في اقامتها، هي في ذات الوقت هيئة لدولتها وهيئة للجماعة الدولية، فأننا نعبر بالضبط عن نفس الفكرة بصياغات مختلفة. ان نظرية الازدواج الوظيفي للاستاذ سل لا تظهر لنا اذن في تناقض مع المذهب الذي يرى ان ارادة الدول هي المصدر الوحيد للقانون الموضوعي الدولي »[1] .

ويسخر الاستاذ بردو من نظرية الازدواج الوظيفي حين يقول: من يجرأ على التأكيد بانه حين تعرض مسألة على الجمعية العامة للامم المتحدة او تناقش امام مجلس الأمن، فأن اعضاء هذه الهيئات ينسون الدول التي خولتهم ويتصرفون فقط وفق لوليز الجماعة الدولية [2] .

ثانيا ـ محاولة الاستاذ ايرو لايجاد مشرع دولي

٤٠ . متطلبات المحاولة

يؤكد الاستاذ إيرو ان الدولة (السلطة الاصلية) تخضع لقواعد القانون الدولي العرفية والمكتوبة . واذا كانت القواعد العرفية تفرض بذاتها على ارادة الدول، كما يقول الاستاذ إيرو[3] ، فكيف تفسر ان القواعد الدولية المكتوبة تفرض على الدول وتقيدها ؟ في الحقيقة ان هذه القواعد التي «تعلو» على الدول ليست إلا تعبيرا عن ارادة الدول . فالمعاهدة التي تعتبر الدولة مضمونها كقاعدة تحدد سلوكها تجاه الدول الاخرى هي ليست إلا تيجة لارادتين او اكثر للدول التي قررت اتباع قواعد معينة تكون مضمون هذه المعاهدة . واذا كانت المعاهدة تستند الى ارادة الدول فكيف تستطيع ان تلزمها او تقيدها ؟ فمن الصعب، في الواقع، ان نفسر كيف ان الشروط

(١) ڤالين : المذهب الفردي والقانون ، ص ٢٢١ .

(2) CF. G. Burdeau, Traité de Science Politique 2 éd. L. G. D. J. PARis , 1966 , P 368 note 10.

(٣) ايرو : النظام القانوني والسلطة الاصلية ، ص ١٧٨

المتفق عليها يفرض على الدول ما لم يكن ذلك عن طريق ارادتها نفسها • واذا كان خضوع للدولة للقانون الدولي يستند الى عمل ارادي للدولة ذاتها ، فهل من الممكن ، عندها ان تقول ان الدول لا تستطيع ،بعمل ارادي آخر ، ان تتحلل من التزامها ؟ ولكي يكون الامر غير ذلك فلابد ان تكون القواعد الدولية من صنع هيئة تعلو على الدول • بتعبير آخر يجب وجود قاعدة قانونية تعلو على ارادة الدولة المسهمة في الاتفاق تمنحها السلطة لوضع قواعد تفرض على الدول •

إنها قاعدة « المواثيق ملزمة PACTA SUNT SERVAND » يجيب الاستاذ إيرو[1] التي تبرر في كل الاحوال القيمة الدولية العليا للقواعد التي تضعها الهيئة المركبة • فهذه القاعدة تمنح ارادات الدول سلطة وضع قواعد تفرض على الدول وهي بهذا الشكل تحول هذه الارادات من مجرد توافق عابر (لارادات) الى ارادة هيئة •

٢١ • تقديـــر المحاولـــة

ان محاولة الاستاذ إيرو تفترض ان تكون قاعدة « المواثيق ملزمة » قاعدة قانونية لأنها هي التي تعطي القيمة القانونية للقواعد الدولية المكتوبة التي تضعها الهيئة المركبة • وان هذه القاعدة نفسها يجب ، من جهة اخرى ، ان تصدر عن سلطة ناجعة تعلو على الهيئة المركبة ، لأن هذه السلطة هي التي تعطي ، في آخر المطاف ، القوة الى قاعدة « المواثيق ملزمة » لكي تستطيع هذه بعد ذلك ان تمنح الهيئة المركبة القدرة في وضع قواعد تفرض على الدول • فاذا كانت الشروط المتفق عليها في عقد من عقود القانون الداخلي تفرض على المتعاقدين ، فلأن هناك قاعدة وضعية (المادة ١١٣٤ من المدونة المدنية الفرنسية مثلاً) تعتبر ملزمة قانوناً « الاتفاقات المبرمة بصورة مشروعة » • وقانونية قاعدة « المواثيق ملزمة » ، اليست محل شك كبير ؟ كلا يجيب الاستاذ إيرو .

(١) إيرو : النظام القانوني والسلطة الاصلية ، ص ١٧٥ — ١٧٦ .

قاعدة «المواثيق ملزمة» هي قاعدة قانونية حقيقية تؤهل الهيئة المركبة التي تضع القانون الدولي . « فالسلطات الدولية التي تعترف ، وفقا لنصوص الاتفاق ذاتها : بأنها مرتبطة ببعض القواعد ، فهي كذلك بفعل قواعد قانونية لان مبدأ الاتفاق قبه ، « المواثيق ملزمة » يعبر ، بفضل تدرج الانظمة ، عن الاولوية الضرورية لكل قاعدة دولية موجودة اجتماعيا »[1] .

إلا ان مشكلة العلاقة بين الانظمة يجب ان لا تؤخذ بنظر الاعتبار من الناحية المجردة والمنطقية ولكن ايضا من الناحية الملموسة والواقعية . فيجب معرفة درجة الوضعية او قوة الجذب التي يملكها احد الانظمة بالنسبة للاخر[2] .

الا ان النظام الاضيق في المرحلة الحاضرة للتطور التاريخي هو الذي يتمتع بدرجة نجاعة اكبر من النظام الاوسع . واذا افترضنا انه يأتي يوم وتقوم اتصالات مع سكان كواكب اخرى ، اتقول عندها بمجرد ذلك ، بوجود نظام قانوني ما بين الكواكب وان النظام القانوني الارضي يخضع له ؟ هذا ما يؤدي اليه منطق المبدأ « العقلاني » لتدرج الانظمة . لذا فان البناء النظري ، ومهما كان منطقيا ، فلا يمكن الاخذ به ما لم يتوافق مع حقيقة الوقائع .

ونحن لا ننكر ، من جهة ثانية ، ان القواعد التي تكون مضمون معاهدة هي قواعد قانونية . لكن اذا كانت كذلك فليس لان قانونيتها تستند الى قاعدة « المواثيق ملزمة » ، بل لانها تصدر عن سلطات ناجعة : الدول . فالقواعد الدولية هي ، في الحقيقة ، قواعد داخلية للاستعمال الخارجي . ومن هنا تتأتى قانونيتها .

(1) ايرو : النظام القانوني والسلطة الاصلية ، ص ١٧٣

(2) انظر : دلفيكيز : فلسفة القانون (بالفرنسية) ، باريس ، ١٩٥٣ ، ص ٢٨٥ .)

وحتى اذا سلمنا بأن مبدأ تدرج الانظمة يعبر عن اولوية القواعد الدولية وان هذه هي قواعد قانونية ، فان ذلك لا يثبت مع هذا قانونية القاعدة : « المواثيق الملزمة » • المواثيق ملزمة ، فليكن • إلا ان ذلك مجرد فرضية لا يمكن اثباتها ولا يمكن تبريرها إلا من الناحية الاخلاقية او السياسية اما قيمتها القانونية فيجب ان يسلم بها لكن لا يمكن اثباتها[1] •

في الحقيقة لا يمكن اثبات قانونية القاعدة « المواثيق ملزمة » طالما لم يثبت وجود هيئة عليا (سلطة قاجعة) تصدر عنها • إلا ان هذا غير ممكن ، لان وجود سلطة قاجعة تعلو على الدول المختلفة يؤدي الى تكوين دولة فيدرالية عالمية ، الامر الذي يعني نهاية القانون الدولي وحلول قانون عام داخلي للدولة الجديدة محله •

فاذا كان من المستحيل التسليم بوجود سلطة تعلو على الهيئة المركبة ، واذا كان من الصعب التسليم بقانونية قاعدة « المواثيق ملزمة » التي كان من المفروض ان تصدر عن هذه السلطة ، فلا نرى عندها كيف ان هذه القاعدة يمكن ان تمنح ارادات الدول القدرة على وضع قواعد تفرض على الدول • فالهيئة المركبة ليست إذن اعلى من الدول وبالتالي ليس باستطاعتها ان تفرض عليها تقييدا لا تستطيع التخلص منه • فالهيئة المركبة ليست ، في الواقع ، شيئا آخر غير مجرد توافق عابر لارادات مشتركة • وعليه فان ارادة الهيئة المركبة لا يمكن ان تفرض على الدول الا اذا ارادت هذه ذلك بغية تطمين غاية او هدف مشترك • وفي هذه الحالة هي تلتزم ، في الحقيقة ، بتقييد سلطتها في ميدان محدد تجاه الاخرين ، الا انها تتقيد ذاتيا • والتقييد الذاتي الارادي ، وهنا الحالة ، هو سفسطة كما يرى بحق الاستاذ ايرو تقسه[2] •

---

(1) انظر : انزيلوتي ، محاضرات في القانون الدولي (بالفرنسية) باريس ، ١٩٢٩ ، ص ٤٤ •

(2) ايرو : النظام القانوني والسلطة الاصلية ، ص ١٠٤ •

اما فيما يتعلق بالقواعد العرفية الدولية ، فأن السؤال الذي طرح هو كيف نفسر ان القواعد العرفية تفرض ذاتها على ارادة الدول •

هل نعتبر العرف كارادة ضمنية للدول ؟ ان الاستاذ إيرو[1] لا يسلم بهذا الحل لانه يرجع العرف ، وبصورة مصطنعة تماما ، الى القانون المكتوب بحيث لم يعد العرف مصدرا مستقلا للقانون الدولي • اذن هل نعتبر ، مع الاستاذ إيرو : العرف مسامحا من قبل الدول ؟ لكن هذا لا يمكن ادراكه • فاذا كان من الممكن ادراك العرف كمسامح من قبل السلطة في القانون الداخلي • فأن الامر ليس كذلك في الميدان الدولي • فعلى الصعيد الداخلي، وخاصة في علاقات القانون الخاص ، فأن العرف يتجسم عن طريقة تصرف الافراد ، اشخاص القانون • ومن الممكن ، في هذه الحالة ، ان نعتبر العرف مسامحا من قبل سلطة الدولة • وعندها فأن العرف سيكون مصدرا مستقلا للقانون الداخلي مسامحا من قبل مصدر آخر متميز واهم بكثير : المشرع • إلا ان الدول هي اشخاص القانون الدولي ، ومن علاقاتها وطريقة تصرفهما ينجم العرف • بناء عليه لا يمكن ادراك ان العرف ، على الصعيد الدولي ، يمكن ان يسامح من قبل الدول ، لان ذلك يعني ان الدول تتسامح طريقتها في التصرف • ولا يمكن الافلات من هذه النتيجة غير المنطقية اذا اعتبرنا العرف مسامحا من قبل الهيئة المركبة الجزئية او العالمية • لأن هذه الهيئه لا تعبر ، في الحقيقة ، الا عن الارادات الخاصة للدول •

وحتى اذا افترضنا ان العرف يمكن ان يعتبر مسامحا من قبل الهيئة المركبة ، فأن هذه لها المكنة دائما بان تلغيه[2] • وعندها فمن قبيل الوهم الكلام عن تقييد سلطة الدولة من قبل القانون الدولي العرفي •

---

(١) ايرو : النظام القانوني والسلطة الاصلية ، ص ١٧٧ .
(٢) انظر : ايرو ، النظام القانوني والسلطة الاصلية ، ص ١٧٧ ــ ١٧٨

الفرع الثاني

حقيقة القانون الدولي

٢٢ • قانون فقهاء

اذا كان « كل فقيه دولي يرتبط بمدرسة فلسفية ـ قانونية تهيمن على تعاليمه » كما تقول الاستاذ سل ، فليس هناك مثيل لميدان الفقه الدولي حيث تصطرع فيه المذاهب والنظريات لاعطاء تفسير شامل لحقيقة « القانون الدولي » • ولم تنجح هذه المذاهب والنظريات في تحقيق ما ارادته لانها استندت الى مسلمات اساسها المعتقدات والانحيازات الفكرية • فقد اختلفت، اشد الاختلاف فيما بينها ، هذه المذاهب الفقهية ، كما اختلفت اشد الاختلاف مع حقيقة الواقع الدولي • فمن يبنى نظريا القانون الدولي غير من يضعه في الواقع ، بحيث ان منظري القانون الدولي يفسرون اعمال الدول دون ان يأخذوا نواياها بنظر الاعتبار • وهكذا اصبح من الممكن ايجاد بناء نظري او مذهبي للقانون الدولي دون اية علاقة مع التعامل معه من قبل الدول • وكما هو في الفقه ، فان القانون الدولي يستند على معتقد او علوية المصلحة الجماعية • وكما يطبق فعلا من قبل الدول ، فهو اداة لسياسة اي انه يستخدم لتحقيق مصلحة خاصة • و « الدول التي هي اكثر احتراما ، في الظاهر ، للقاعدة الدولية ، لا تتردد في تجاهلها عندما تكون سيادتها في الميزان »[1] •

ومن الاختلاف بين وجهة نظر اولئك الذين يضعون نظريا القانون الدولي واولئك الذين يخلقونه ويوجه اليهم ، ينتج ، كما لاحظ الاستاذ بردو، ان « الضمير الدولي » الحقيقي هو في اكاديمية لاهاي وفي معاهد كارنيجي وجمعيات القانون الدولي العديدة ، اما صوته فضعيف جدا في وزارات

(١) بردو : المطول في علم السياسة ، ج١ ، المرجع السالف الذكر ، ص ٣٦٧ هامش ٨ •

الخارجية • والامثلة كثيرة على هذا الطلاق بين فقه القانون الدولي والتعامل الدولي • يكفي ان نسوق مثلا واحدا له دلالته الحاسمة لانه يتعلق ببناء القانون الدولي • فالفقه باغلبيته الساحقة يدين فكرة السيادة والتي يعتبرها المسؤولة عن كل التصدعات في البناء الدولي •

الا اننا نقرأ في الفقرة الاولى من المادة الثانية من ميثاق الامم المتحدة بأنه اقيم على « المساواة في السيادة لكل اعضائه » • فلم يبق اذن شيء من العديد من الكتب والمقالات والندوات التي ادانت السيادة • لاشيء مطلقا ، ولم يأخذ مسؤولو القانون الدولي الوضعي بالاعتبار تحذير الفقه[1] •

٢٣ • قانون مجزء

والسمة الثانية للقانون الدولي هو انه « قانون مجزء » يفتقد الى الوحدة والانسجام • فلا يوجد بين الدول التي تكون ما اصطلح على تسميته بالمجتمع او الجماعة الدولية ، مجموعة من القواعد القانونية والمؤسسات المترابطة والمتناسقة كما هو الحال بالنسبة للقانون الوضعي الداخلي • والسبب في ذلك يعود الى افتقاد المشرع الدولي وبالتالي الى افتقاد وحدة الرؤيا السياسية في « المجتمع الدولي » • فما نجده على الصعيد الدولي هو « خليط مشوش » لمواضيع منظمة بشكل مفصل الى جانب بعض المواضيع التي لا تحكمها الا مباديء عامة غير فاعلة بسبب عموميتها • يكفي ان نتذكر في هذا الصدد ما انجز على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي مقارنة بما يجب انجازه على الصعيد السياسي حيث تتطير الدول من ذلك لانها تعتقد ان في ذلك مساً بسيادتها او باستقلالها •

وفي الحقيقة لا يوجد ، كما لاحظ الاستاذ بردو « قانون دولي » بل « قواعد دولية » • وهذه القواعد لا تنتظم في وحدة متجانسة تشكل نظاما

---

(١) انظر : بردو ، المطول ، ج١ ، ص ٣٦٦ ــ ٣٦٨ •

قانونيا متناسقا ولا تلزم ، الا نادرا ، الجماعة او المجتمع الدولي باكمله . فمجاميع الاتفاقات الثنائية او المتعددة الاطراف لا تشكل نظاما قانونيا متناسقا لافتقاد المشرع الدولي الحقيقي[1] .

٢٤ . قانون في خدمة الدول

ما دامت الدول تتمسك بسيادتها ، رغم كل محاولات الفقه لانكار السيادة ، فلا وجود ممكن للقانون الدولي . وان استعارة القانون الدولي اشخاصا من الدول لممارسة الاختصاصات التشريعية والتنفيذية والقضائية « الدولية » ، لا يمكن ان تؤدي الى تنازل هذه الدول عن سيادتها . اذ لابد من وجود سلطة دولية تعلو على الدول وتفرض نفسها بشكل مستقل عنها[2] . وهذا لا يمكن تحقيقه طالما يفتقد المجتمع الدولي لمشرع متحرر من الانانيات ومحايد فيما يأمر به . فوجود الدول وحرصها على المحافظة على استقلالها واهتمامها بمصالحها الوطنية والمنافسات الحادة فيما بينها ، كل ذلك يشكل العائق الاكيد لاقامة قانون دولي جدير بهذا الاسم . ان « ما نسميه اليوم القانون الدولي ، يقول الاستاذ بردو ، هو بكل بساطة قانون وطني للاستعمال الخارجي . فهو مجموعة قواعد دون انسجام ولا مبدأ موجه غير الذي يمكن استخلاصه من المصلحة الخاصة للدول . وتكون الحكومات الوطنية وحدها سيدة بالنسبة لمضمونها وعلى مشيئتها يتوقف سلطانها »[3] .

لاشك انه ليس من العدالة بمكان ان تنكر قيمة المجهودات الفقهية في محاولتها لاقامة وحدة القانون الدولي واولويته . الا ان كل ذلك ليس الا « خداع رؤيا » لا يصمد امام مواجهة الواقع ... و « اذا رفضنا ان نجد القانون الدولي في حلم الاساتذة ... فيجب الاعتراف عندها بأنه ليس الا

(١) انظر : بردو المطول ، ج١ ، ص ٣٦٩ — ٣٧٠ .
(٢) انظر : بردو ، المطول ، ج١ ، ص ٣٧٦ .
(٣) بردو : المطول ، ج١ ، ص ٣٧٧ .

امتدادا للقانون الداخلي من شأنه ان يسهل على الدول ، في بعض القطاعات، علاقاتها المتبادلة »[1] .

وللدول ، كما لوحظ ، سياسة قانونية خارجية بالضبط كما ان لها سياسة خارجية عسكرية ، اقتصادية او ثقافية . هذا يعني ان لها « سياسة تجاه القانون وليس بالضرورة محددة بالقانون » . فهي تسعى لتؤثر عليه وتتعامل معه لخدمة مصالحها الوطنية[2] .

صحيح ان كثيرا من الدساتير ، قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها ، كرست في نصوصها علوية « القانون الدولي » على القانون الداخلي . لكن الا نرى في ذلك مجرد تأكيدات شفهية ونموذج متعارف عليه حيث ان ضرورة المصادقة على المعاهدات تبقي للدول الحرية في التخلص من ذلك بحجة ضرورة المهايأة التكتيكية للقانون الداخلي مع القاعدة الدولية[3] .

٢٥٠ . قانون في خدمة السياسة

واذا كان القانون الدولي يقوم ، بالنسبة للفقهاء على الايمان بعلوية المصلحة الجماعية ، فأن هذا القانون ليس ، بالنسبة للدول ، الا اداة لسياسة ، اذ يستخدم من قبل الدول لخدمة مصلحة خاصة[4] . لذلك فان علماء السياسة يتجاهلون « القانون الدولي » ويدرسون العلاقات التي يحكمها تحت عنوان « العلاقات الدولية » . حقيقة انه لا يمكن انكار هذه العلاقات ، الا انه من التعسف ان نستخلص منها قانونا بينما هي تقيم علاقات قوى[5] . واذا كانت المعطية الاولى للنظام الدولي هي علاقات القوى ، فليس

---

(١) بردو : المطول ، ج ١ ، ص ٣٧٩ .
(٢) انظر : دينه ، القانون الدولي العام ، ص ٨١ .
(٣) انظر : بردو ، المطول ، ج ١ ، ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩ .
(٤) انظر : بردو ، المطول ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .
(٥) انظر : بردو ، المطول ، ج ١ ، ص ٣٧٧ هامش ٣ .

من المستغرب ، اذن ، ان نجد في الفقه الدولي العديد من الاتجاهات التي ترى انه قانون في خدمة السياسة .

واذا كانت السياسة تهيمن على الحياة الدولية فليس غريبا ان نجد عندنا من فقهاء القانون الدولي ، في الغرب ، يجعلون من هذا الاخير اداة للعمل السياسي . وتجد مثل هذا الاتجاه واضحا في الفقه الانكلوسكسوني في انكلترا وفي الولايات المتحدة . فهناك من الكتاب من يعتقد بان لا وجود للقانون الدولي الا في خدمة السياسة العامل الاساس ان لم يكن الوحيد للعلاقات الدولية . فالوظيفة الاساسية للقانون الدولي « هي ان يساعد في الحفاظ على سيادة القوة والتدرجات المقامة على اساسها » . وينتقد اولئك الكتاب فقهاء القانون الدولي لانهم مازالوا مستمرين « في التأكيد بصورة مبالغ فيها على القواعد التكنيكية وفصلها عن السياسة كعامل مهتم للقرارات »[1] .

---

(1) انظر : دينه ، القانون الدولي العام ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .

خاتمـــــة

ان وجود القانون الدولي معناه وجود نظام قانوني دولي اي مجموعة القواعد القانونية النافذة في زمن معين على الصعيد الدولي . ولكي يوجد النظام القانوني فلابد من وجود سلطة دولية تعلو على سلطات الدول وتضع قواعد النظام القانوني الدولي وتسهر على ضمان مجمل نجاعته . وهذه السلطة « العليا » يجب ان لا تكون مدينة بوجودها لأي من الانظمة القانونية الوطنية ، بل ان السلطة الدولية وبالتالي النظام القانوني الدولي هو الذي ينسق بين هذه الانظمة القانونية الوطنية ويحدد صحة قراراتها . وعليه لكي يكون هناك نظام قانوني دولي حقيقي فلابد ، اذن ، من سلطة حقيقية دولية لها وسائلها الخاصة لتنفيذ قراراتها وان لا تتوقف تلك الوسائل على ارادة الغير . الا ان الواقع الدولي لا يؤيد امكانية وجود سلطة دولية تفرض نفسها على الدول الاخرى وبالتالي يلقي الشك على وجود نظام قانوني دولي . فكل مرة اريد فيها ايجاد سلطة دولية ، كان التوجه على ان تكون وليدة توافق ارادات الدول . الا ان السلطة الدولية لا يمكن ان تقام على توفيق بين سلطات موجودة ، وانما تفرض على هذه السلطات . هذا يعني ان النظام القانوني الدولي لا يمكن ان يقام على مجموعة من السياسات الوطنية ، بل على رؤية سياسية خاصة به . وهذا ما يفتقر اليه القانون الدولي .

الدكتور منذر الشاوي
عضو المجمع العلمي العراقي
استاذ سابق في كلية القانون بجامعة بغداد

ديـــوان
أبـــي طالب بن عبد المطلب
في صنعتين

بقلــــم
الشيخ محمد حسن آل ياسين
(عضو المجمع)

كان أبو طالب بن عبد المطلب – كما يعلم دارسو التاريخ والمعنيون بعصور الأدب العربي وأجياله وطبقاته – زعيماً بارزاً من زعماء مكة ، وشاعراً مجيداً من شعراء قريش ، ونصيراً مخلصاً للرســالة المحمدية المقدسة في عهدها الأول الحافل بالأخطار والمحن والآلام .

وكان شعره في التصنيف العام للشعر العربي معدوداً في دائرة الشعر الجاهلي الأصيل ؛ في خصائصه وأساليبه ؛ وصوره وتراكيبه ؛ وفصاحة لفظه ؛ وسلامة سبكه وحبكه ، كما هو شأن شعر المشاهير من شعراء تلك الحقبة من الزمن . ولكنه امتاز عليهم جميعاً بما حمله شعره الى جانب التمثيل الصادق لأدب ذلك العصر في هيكله الشامل وخطوطه العريضة ؛ من ارتباط وثيق بالأحداث التي يعنى بها المهتمون بقضايا التاريخ عموماً وبتفاصيل يوميات السيرة النبوية الشريفة في مطلع البعثة على وجه الخصوص .

ولهذا كله كان ديوان شيخ الأباطح تحفة نفيسة من تحف التراث الخالد الوضّاء ، ومصدراً قيماً من مصادر مفردات اللغة واشتقاقاتها واستعمالاتها ؛ وممثلاً أميناً للشعر الذي أتيــح له أن يواكب نهاية عصر وبداية عصر ؛ فيعبر في مجمل ملامحه وأفكاره وتطلّعاته ومعطياته ؛ عن ذبول فترة مظلمة دابرة ؛ واطلالة عهد مشرق جديد .

إن شاعر هذا الديوان الذي نتحدث عنه هو « شيخ قريش ورئيس مكة » « وسيد بني هاشم في زمانه » (١) و «شيخ الأباطح » (٢) : عبدمناف (٣) ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لويّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان (٤) .

كان جدُّه هاشم بن عبد مناف وارثَ أمجاد آبائه العظام سادة مكة ، وقد أقرّ له قومه بالرئاسة والزعامة ذوي أمور الرفادة والسقاية (٥) . وكان « أول مَنْ سنّ الرحلتين لقريش رحلتي الشتاء والصيف » (٦) ، « فأخصبت قريش بذلك . . . . وحسنت حالها وطاب عيشها » (٧) . وكان «أول مَنْ أطعم الثريد بمكة ، وانما كان اسمه عَمْراً ، فما سُمّي هاشماً الا بهشمه الخبز بمكة لقومه » (٨) لما ألمّت بهم المجاعة ولم يدع لديهم القحط ما تُسَدُّ به الأرماق .

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١/٢٩ و ١٥/٢١٩ .
(٢) تاريخ الطبري : ٥/ ١٤٩ في شعر معاوية الذي يخاطب به عمرو بن العاص.
(٣) هكذا سمي في السير والمغازي : ٦٩ وسيرة ابن هشام : ١/١١٣ وطبقات ابن سعد : ١/ق١/٥٦و٣/ق١/١١ وتاريخ الطبري : ٢/٢٣٩ و٥/١٥٣ وشرح نهج البلاغة : ١٥/٢١٩ . وقال ابن حجر في الاصابة : ٤/١١٥ « اسمه عبدمناف على المشهور ، وقيل : عمران ، وقال الحاكم : اكثر المتقدمين على ان اسمه كنيته » .
(٤) سيرة ابن هشام : ١/١ ــ ٢ .
(٥) سيرة ابن هشام : ١/ ١٤٣ .
(٦) سيرة ابن هشام : ١/١٤٣ وطبقات ابن سعد : ١/ق١/٤٣ وتاريخ الطبري : ٢/٢٥٢ .
(٧) شرح نهج البلاغة : ١٥/٢٠٢ .
(٨) سيرة ابن هشام : ١ / ١٤٣ وتاريخ الطبري : ٢ / ٢٥٢ .

وتوفي هاشم في ميعة صباه وعنفوان شبابه ؛ بغزة بفلسطين ، ودفن فيها ، وكان له من العمر عشرون سنة ؛ وقيل : خمس وعشرون (٩) .

وورث عبد المطلب — والد شاعرنا — هذه الأمجاد والمفاخر ، فكان اليه « ما كان الى مَنْ قبله من بني عبد مناف من أمر السقاية والرفادة . وشرف في قومه وعظم فيهم خطره ، فلم يكن يعدل به منهم أحد » (١٠) . وكان « أحسن قريش وجهاً ، وأمدّهم جسماً ، وأحلمهم حلماً ، وأجودهم كفاً ، وأبعد الناس من كل موبقة تفسد الرجال » (١١) ، « سيد قريش ، وصاحب عير مكة ، يطعم الناسَ بالسهل والوحوشَ في رؤوس الجبال » (١٢) . وهو الذي جدّد حفر بئر زمزم وأقام سقايتها للحجاج (١٣) ، وأول مَنْ حلّى باب الكعبة بالذهب (١٤) . ورزِق من البنين عشرة كما هو معروف ، وكان عبدالله والزبير وعبد مناف — أي أبو طالب — لأمٍّ واحدة (١٥) هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبدالله بن عمران بن مخزوم (١٦) ، وسائر ولده الآخرين لأمّهات شتّى .

وتوفي عبدالمطلب ؛ ورسول الله (ص) ابن ثماني سنين (١٧) ، وكان في كفالة جدّه ورعايته بعد وفاة ابيه عبدالله (١٨) . ولمّا « حضرت عبدَ المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله (ص) وحياطته » (١٩) .

---

(٩) سيرة ابن هشام : ١ / ١٤٤ وكامل ابن الاثير : ٢ / ١٠ .
(١٠) تاريخ الطبري : ٢٥١/٢ .
(١١) طبقات ابن سعد : ١/ق١/٥١ .
(١٢) سيرة ابن هشام : ٥١/١ .
(١٣) سيرة ابن هشام : ١١٦/١ و ١٥٠ وتاريخ الطبري : ٢٥١/٢ .
(١٤) سيرة ابن هشام : ١٥٥/١ .
(١٥) تاريخ الطبري : ٢٣٩/٢ .
(١٦) السير والمغازي : ٣٢ . ولم يرد (عبدالله) في سلسلة نسبها في شرح نهج البلاغة : ١/ ١٤ والاصابة : ١١٥/٤ .
(١٧) سيرة ابن هشام : ١٧٨/١ وتاريخ الطبري : ١٦٦/٣ .
(١٨) سيرة ابن هشام : ١٦٧/١ و ١٧٧ و ١٧٨ .
(١٩) سيرة ابن هشام : ١٨٩/١ وطبقات ابن سعد : ١/ق١/٧٤ — ٧٥ وتاريخ الطبري : ٢ / ٢٧٧ والاصابة : ٤ / ١١٥ .

وكان أبو طالب قد وُلِد قبل المولد النبوي الشريف بخمس وثلاثين سنة على ما ذكر ابن حجر (٢٠) ، ويؤيد ذلك ما رواه الرواة من أن عمره يوم وفاته في السنة العاشرة من البعثة « بضع وثمانون سنة » (٢١) .

وخلف أباه عبدَ المطلب في بني هاشم خاصةً وقريش عامة ، فكان « شيخهم والمطاع فيهم » (٢٢) . وهو أول من سنَّ القسامة في الجاهلية في دم عمرو بن علقمة ثم أثبتها السنة في الاسلام (٢٣) . وكانت السقاية بيده إرثاً له من آبائه ، ثم سلّمها لما شاخ وشغله أمرُ ابن أخيه بعد بعثته الى أخيه العباس بن عبد المطلب (٢٤) .

تزوج ابو طالب « فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف بن قصي » (٢٥) وكانت « أول هاشمية ولدت لهاشمي ، وهي التي ربّت رسول الله (ص) في حجرها ، وكان يدعوها أُمي » (٢٦) .

ورُزِق من البنين أربعة : طالباً وعقيلاً وجعفراً وعلياً ، ومن البنات : أمّ هانئ وجمانة وريطة ، وقيل : له ابنة اخرى اسمها أسماء (٢٧) .

ولمّا توفي عبدالمطلب وآلت شؤونه العامة والخاصة الى وارث مجده أبي طالب قام بانفاذ وصية أبيه بمحمد بكل أمانة وجدّ وحنان ، وولي أمرَ ابن اخيه ــ وكان له من العمر يومذاك ثمانية أعوام ــ بأفضل وجه وأكمله ، « فكان اليه ومعه » (٢٨) ، و « كان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده » ، وكان

---

(٢٠) الاصابة : ٤/١١٥ .
(٢١) طبقات ابن سعد : ١/ق١/٧٩ والحجة : ٦٥ والاصابة : ٤ /١١٨ .
(٢٢) شرح نهج البلاغة : ١١/١١٦ .
(٢٣) شرح نهج البلاغة : ١٥/٢١٩ .
(٢٤) شرح نهج البلاغة : ١٥/٢١٩ .
(٢٥) طبقات ابن سعد : ١/ق١/٧٧ ، و ٨/٣٤ و ١٦١ .
(٢٦) شرح نهج البلاغة : ١٥/٢٧٨ .
(٢٧) يراجع فيمن ذكرنا من البنين والبنات : طبقات ابن سعد : ١/ق١/٧٧ ، و ٨ / ٣٢ و ٣٥ و ١٠٨ وشرح نهج البلاغة : ١ / ١٢ ، و ١١ / ٢٥٠ والاصابة : ٤/٢٥٢ و ٣٠٣ و ٤٤٩ و ٤٧٩ ــ ٤٨٠ .
(٢٨) سيرة ابن هشام : ١/١٩٠ .

لا ينام الا الى جنبه، ويخرج فيخرج معه، وصب به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط . . . يخصه بالطعام (٢٩) »، ويخاف عليه « البيات اذا عرف مضجعه ؛ فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع ابنه علياً مكانه » (٣٠) .

ثم بعث الله تعالى محمداً برسالة الاسلام .

وثارت ثائرة قريش على هذه الرسالة الجديدة ورسولها الكريم، ومارست في سبيل صد هذا الاعصار المدمر لخيلائها وكبريائها — كل ألوان الحرب الساخنة والباردة ؛ وكل ضروب الارهاب والمطاردة والتعذيب والهمز واللمز والاتهام بالكذب والسحر والجنون ، وكانت هذه المجابهة من العنف والشدة بالدرجة التي لم يكن في قدرة حامل الرسالة أن يثبت ازاءها مطمئناً على سلامة حياته ، لولا أن قيض الله لذلك أبا طالب صاحب المقام الرفيع في قريش والزعامة في مكة والرئاسة في بني هاشم ، فنصر وأيد ؛ ودافع وحامى ؛ وبذل كل طاقاته وقدراته في دفع الأذى ورد الخطر عن الرسالة والرسول :

يقول ابن اسحاق : كان أبو طالب للنبي — ص — « عضداً وحرزاً في أمره ، ومنعة وناصراً على قومه » (٣١)

ويقول أيضاً : « فلم يزل أبو طالب ثابتاً صابراً مستمراً على نصر رسول الله — ص — وحمايته والقيام دونه حتى مات » (٣٢) .

ويختصر ابن ابي الحديد كل تاريخ ابي طالب في نصرة الاسلام في جملة واحدة فيقول : «ان من قرأ علوم السير عرف ان الاسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً » (٣٣) .

وفي السنة العاشرة من البعثة ثقل مرض هذا الشيخ الصبور الطاعن في السن ، وعجز بدنه عن تحمل كل تلك الأعباء والمشاكل وآثار الحصر

---

(٢٩) طبقات ابن سعد : ١/ق١/٧٥ .
(٣٠) شرح نهج البلاغة : ١٤/٦٤ .
(٣١) سيرة ابن هشام : ٢/٥٧ وتاريخ الطبري : ٢/٣٤٣ — ٣٤٤ .
(٣٢) شرح نهج البلاغة : ١٤ / ٦١ .
(٣٣) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٤٢ .

والمجاعة ، ثم توفي على اثر ذلك ، وكانت وفاته بعد خروجه من حصار الشعب بثمانية وعشرين يوماً ، وروي انها كانت في النصف من شوال (٣٤) ، قبل الهجرة بثلاث سنين (٣٥) . وكان بين وفاته ووفاة أم المؤمنين خديجة زمن قصير ، فتتابعت على رسول الله — ص — المصائب بوفاة خديجة وأبي طالب كما روى ابن أسحاق ، و « نالت قريش من رسول الله — ص — من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب . ويقول — ص — : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » (٣٦)

— ٢ —

كان أول مَنْ تصدّى لجمع أشتات شعر أبي طالب وصنع ديوانه — فيما نعلم — هو الأديب الشاعر اللغوي الراوية عبدالله بن أحمد بن حرب (١) ابن مِهْزَم بن خالد بن مهزم بن الفِزْر (٢) بن مهزم بن جُوَيْن بن مُجاسِر بن الصيِّق بن مالك بن مرّة ، العَبْدي — نسبة الى عبدالقيس (٣) — ، المشتهر بكنيته أبي هِفّان (٤) . «وكان مهزم في دولة بني العباس ، ومهزم الأول قُتِل مع خالد بن يزيد بمصر » (٥) .

---

(٣٤) طبقات ابن سعد : ١ / ق١ / ٧٩ والاصابة : ٤ / ١١٨ .

(٣٥) سيرة ابن هشام : ٢ / ٥٧ وتاريخ الطبري : ٢ / ٣٤٣ .

(٣٦) سيرة ابن هشام : ٢ / ٥٧ — ٥٨ وتاريخ الطبري : ٢ / ٣٤٣ — ٣٤٤ .

(١) هذا هو المتفق عليه في أسمه الثلاثي في جميع المصادر .

(٢) ورد في بعض المصادر بعد حرب : « بن خالد » ، وفي بعضها بعد حرب : « بن مهزم بن خالد بن الفزر » . وما اثبتناه هنا هو الذي أورده الكلبي في الجمهرة ، ونص ابن الأثير في اللباب : ٣ / ١٩٤ على كسر الميم وسكون الهاء وفتح الزاي من مهزم . ونص الحلي في خلاصة الاقوال : ٥٥ على ضبط الفزر « بالزاي بعد الفاء ، والراء اخيرا » .

(٣) جمهرة النسب : ٥٨٤ .

(٤) نص الحلي في خلاصة الاقوال : ٥٥ على كسر الهاء من هفان ، وورد في الاشتقاق لابن دريد : ٢٣٠ في أسماء القبائل : « هفان — فعلان — : من الهف وهو السحاب الذي لاماء فيه » ، وجاء في القاموس المحيط وتاج العروس — : « هفان — بالفتح ويكسر — : من أسمائهم » .

(٥) جمهرة النسب : ٥٨٤ .

وُلِدَ في الثلث الأخير من القرن الثاني الهجري ؛ ولكننا لم نقف على تاريخ معيَّن لذلك ، والشيء الوحيد الذي نعلمه أنه كان من ذوي الصلة بأبي نؤاس المتوفى فيما بين سنتَيْ ١٩٦–١٩٩هـ ومن رواة أخباره وشعره (٦).

والراجح أنه وُلِدَ بالبصرة (٧) حيث موطن الاسرة ومجمع دارها (٨) ، ونشأ بها دارساً متعلّماً ، ثم لامعاً مفضالاً ، حتى أصبح يشار اليه بالبنان ، وحمل بجدارة لقبَ « راوية أهل البصرة » (٩) في عصره . وانتقل بعد ذلك الى بغداد فكان له ذكر بارز ووجود مشهود في مجالسها الأدبية وحلقاتها الثقافية ، مما لا مجال للتوسع فيه في هذا البحث . ونشأت له صلات وروابط بعددٍ من رجالها الإداريين وادبائها اللامعين وشيوخ العلم المعروفين ؛ فكانتْ له الرواية عن بعضهم ، والمطارحة والمفاكهة مع بعض آخر ، والاعجاب والتقدير لبعض ثالث ، والنقد والمهاجاة لبعض رابع . كما روى عنه الكثيرون من شُدَاة اللغة والأدب وهواة الشعر وأخبار الشعراء (١٠) .

لقد روى أبو هفان – فيمن روى عنهم من رجال عصره – عن :

١ – أبي عُبَيْدة معمر بن المثنى ، المتوفى فيما بين سنتَيْ ٢٠٩–٢١٣هـ (١١) .

٢ – الأصمعي عبدالملك بن قُرَيب ، المتوفى فيما بين سنتي ٢١٠–٢١٧هـ (١٢) ؛ وكان سماع أبي هفان منه بعد عودته – أي الأصمعي – الى البصرة في سنة ١٨٨هـ .

---

(٦) طبقات الشعراء لابن المعتز : ٤١٠ .

(٧) ولذلك لقب بالبصري في عدد من المصادر ، وقال الخطيب البغدادي : « أحسبه من أهل البصرة ، سكن بغداد » ، ووصفه ابن حجر بـ « نزيل بغداد » .

(٨) قال النجاشي في رجاله : ١٥١ « بنو مهزم بيت كبير بالبصرة في عبد القيس » .

(٩) بغية الوعاة : ٢٧٧ .

(١٠) وردت اسماء بعضهم في ترجمة أبي هفان في المصادر ، ووردت اسماء آخرين منهم في أسانيد الروايات الادبية ؛ كما في موارد كثيرة من طبقات الشعراء لابن المعتز والاغاني لابي الفرج وايضاح الوقف والابتداء : ١ / ٥٠ وتاريخ بغداد : ٢ / ١٣٢ وانباه الرواة : ٣ / ٨١ وغيرها .

(١١) روى عنه في ديوان أبي طالب .

(١٢) روى عنه في ديوان أبي طالب . ونص على رواية أبي هفان عنه في تاريخ بغداد : ٩ / ٢٧٠ ونزهة الالباء : ١٤٠ ومعجم الادباء : ١٢ / ٥٤ وغيرها .

٣ ــ عمه خالد بن حرب المهزمي (١٣) .
٤ ــ عمه محمد بن حرب المهزمي (١٤) .
٥ ــ عمه علي بن حرب المهزمي (١٥) .
٦ ــ أبي عمرو قعنب بن المحرز الباهلي البصري و « كان أبو هفان يكتب عنه ويسمع منه » (١٦) .
٧ ــ أبي محلم السعدي ، المتوفى سنة ٢٤٨هـ (١٧) .
وكانت له الصلة والعلاقة بأمثال :
١ ــ أبي نؤاس الحسن بن هاني ــ كما تقدم ــ .
٢ ــ دعبل بن علي الخزاعي ، المتوفى سنة ٢٤٦هـ (١٨) .
٣ ــ الفتح بن خاقان ، المتوفى سنة ٢٤٧هـ (١٩) .
٤ ــ الجاحظ عمرو بن بحر ، المتوفى سنة ٢٥٥هـ .
٥ ــ عبيدالله بن يحيى بن خاقان ، المتوفى سنة ٢٦٣هـ ، ولأبي هفان شعر في ملحه (٢٠) .
٦ ــ أحمد بن محمد بن ثوابة ، المتوفى سنة ٢٧٣هـ ، ولأبي هفان شعر في ملحه (٢١) .
٧ ــ علي بن يحيى المنجم ، المتوفى سنة ٢٧٥هـ ، ولأبي هفان شعر في ملحه (٢٢) .

---

(١٣) روى عنه في ديوان ابي طالب .
(١٤) روى عنه في كتابه اخبار ابي نؤاس : ٤٩ و ١٠٨ .
(١٥) روى عنه في اخبار ابي نؤاس : ٤٩ و ١٠٨ .
(١٦) نور القبس : ٢١٩ .
(١٧) روى عنه في ديوان ابي طالب .
(١٨) الاغاني : ١٢٣/٢٠ وزهر الآداب : ١١٤/٤ .
(١٩) لأبي هفان ثناء خاص على الفتح والجاحظ واسماعيل بن اسحاق رواه ابن النديم في الفهرست : ١٣٠ .
(٢٠) طبقات ابن المعتز : ٤٠٩ ــ ٤١٠ .
(٢١) طبقات ابن المعتز : ٤١٠ .
(٢٢) معجم الادباء : ١٥ / ١٦٧ . ووردت رواية علي بن يحيى عن أبي هفان في تاريخ بغداد : ١٤٣/٤ .

٨ – اسماعيل بن اسحاق القاضي ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ (٢٣).

٩ – أبي العيناء محمد بن القاسم بن خلاد ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ ، ولأبي هفان شعر في هجائه (٢٤).

١٠– أبي العباس المبرد ، المتوفى سنة ٢٨٥هـ ، ولأبي هفان بيتان فيهما هجاء وتعريض بالمبرد (٢٥).

وصفه مترجموه فقالوا :

«أبو هفان من المشهورين المذكورين ، وشعره موجود بكل مكان » (٢٦) و « كان أخبارياً راوية مصنفاً » و « من جملة الشعراء المحدثين » (٢٧) ، و « كان له محل كبير في الأدب » (٢٨) ، وهو « راوية عالم بالشعر والغريب وشعره جيد الا أنه مقل » (٢٩) ، و « كان ذا حظ وافر من الأدب » (٣٠) ، « شاعراً لغوياً كثير الأخبار ، وله كتب وصنعة مشهورة » (٣١) ، وكان « من النحاة اللغويين الأدباء » (٣٢).

وذكروا له من المؤلفات :

١ – كتاب أخبار أبي نواس (٣٣) ، طبع في القاهرة سنة ١٣٧٣ هـ –١٩٥٣م.

٢ – كتاب أخبار الشعراء (٣٤).

---

(٢٣) الفهرست : ١٢٠ .

(٢٤) طبقات ابن المعتز : ٤٠٩ و ٤١٠ والفهرست : ١٣٩ .

(٢٥) طبقات ابن المعتز : ٤١٠ .

(٢٦) طبقات ابن المعتز : ٤١٠. وورد له شعر في المصادر المعنية بالشعر والأدب.

(٢٧) الفهرست : ١٦١ .

(٢٨) تاريخ بغداد : ٩/٣٧٠ .

(٢٩) سمط اللآلي : ١ / ٢٣٥ .

(٣٠) نزهة الألباء : ١٤٠ .

(٣١) لسان الميزان : ٣/٢٥٠ .

(٣٢) بغية الوعاة : ٢٧٧ .

(٣٣) الفهرست : ١٨٢ ، وقال : انه في «أخباره والمختار من شعره» .

(٣٤) معجم الادباء : ١٢/٥٤ وبغية الوعاة : ٢٧٧ .

٣ ــ كتاب الأربعة في أخبار الشعراء (٣٥).
٤ ــ كتاب أشعار عبدالقيس وأخبارها (٣٦).
٥ ــ كتاب شعر أبي طالب بن عبدالمطلب وأخباره (٣٧).
٦ ــ كتاب صناعة الشعر (٣٨)، وصفه ابن النديم بأنه كبير وقال: «رأيتُ بعضه» (٣٩).
٧ ــ كتاب طبقات الشعراء (٤٠)، ولعله كتاب «أخبار الشعراء» المتقدم الذكر.

وقد روى أبو العباس أحمد بن علي النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ مؤلفات أبي هفان التي ذكرها ــ ومنها شعر أبي طالب ــ عن مؤلفها بسندين:

الأول ــ عن أبي أحمد عبد السلام بن الحسين الأديب البصري، عن محمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ، عن يحي بن علي بن يحي بن أبي منصور المنجم المتوفى سنة ٣٠٠ هـ، عن أبيه المتوفى سنة ٢٧٥ هـ، عن أبي هفان.

الثاني ــ عن أبي الحسن ابن الجندي أحمد بن محمد بن عمران المتوفى سنة ٣٩٦ هـ، عن محمد بن القاسم بن محمد بن بشّار الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ، عن أبيه المتوفى سنة ٣٠٥ هـ، عن أبي هفان (٤١).

---

(٣٥) الفهرست: ١٦١.
(٣٦) رجال النجاشي: ١٥١ وهدية العارفين: ١/٤٤٨ وذيل كشف الظنون: ١/٨٨ والفوائد الرضوية: ١/٢٤٤ والذريعة: ٢/١٠٨.
(٣٧) رجال النجاشي: ١٥١ وخزانة الادب: ٤/٣٨٦ وهدية العارفين: ١/٤٤٨ وذيل كشف الظنون: ٢/٤٩ والفوائد الرضوية: ١/٢٤٤ والذريعة: ١٤/١٩٥.
(٣٨) معجم الادباء: ١٢/٥٤ وبغية الوعاة: ٢٧٧.
(٣٩) الفهرست: ١٦١.
(٤٠) رجال النجاشي: ١٥١ وهدية العارفين: ١/٤٤٨ وذيل كشف الظنون: ٢/٧٩ والفوائد الرضوية: ١/٢٤٤ والذريعة: ١٥/١٥٠.
(٤١) رجال النجاشي: ١٥١. وكان الصغاني قد رجع الى «شعر ابي طالب» كما في العباب (شهر) ولكنه لم يسم صانعه وجامعه، وذكر البغدادي «ديوان أبي طالب عم النبي ــ ص ــ» في مصادر كتابه خزانة الأدب ١/٩ وعنى به صنعة ابي هفان كما نص عليه في الخزانة ٤/٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٩.

توفي أبو هفان في سنة ٢٥٧ هـ (٤٢) ، ووهم ياقوت فأرخ وفاته سنة ١٩٥ هـ (٤٣) .

—٣—

ثم كان ثاني المعنيين بشعر أبي طالب — فيما بلغنا علمه — الأديب اللغوي الناقد المدقق أبو القاسم (١) علي بن حمزة ؛ البصري ؛ التميمي (٢) ، المولود في البصرة في أوائل القرن الرابع الهجري كما هو المستفاد من كونه لدة أبي الطيب المتنبي المولود في سنة ٣٠٣ هـ (٣) ومن حضوره مجلس أبي بكر الخياط النحوي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ (٤) .

درس وتعلّم في ابّان شبابه في البصرة ، ثم انتقل بعد ذلك الى بغداد وأقام بها ردحاً من الزمن ، ولمّا ورد المتنبي بغداد قادماً من مصر سنة ٣٥١هـ نزل عليه ضيفاً شهوراً عدّة وأنفق عليه ابن حمزة مدة مقامه عنده أكثر من ألف دينار (٥) ، ورافقه في سفره الى أرّجان لزيارة أبي الفضل ابن العميد (٦) .

---

(٤٢) لسان الميزان : ٣ / ٢٥٠ ، ويؤيد ذلك مارواه المرزباني في معجم الشعراء : ٥٠٣ من انه كان حيا في سنة ٢٥٦ هـ .

(٤٣) معجم الادباء : ١٢ / ٥٤ .

(١) هذا هو الصواب في كنيته كما كنى بها نفسه مكررا في كتابه التنبيهات وكما وردت في أصل معجم الادباء ، وقد صحفت الى (أبي نعيم) في بغية الوعاة : ٣٣٧ وروضات الجنات : ٥ / ٢٢٩ وفيما فعله محقق معجم الادباء : ١٣ / ٢٠٨ تبعا للبغية وخلافا لما في أصل الكتاب .

(٢) هكذا نسب في صدر مخطوطة ديوان أبي طالب ، وروى الميمني مثل ذلك في مقدمته للتنبيهات : ٦٣ (الهامش ذو الرقم ١) عن مخطوطة شرح أبي هلال العسكري على الحماسة .

(٣) مقدمة الميمني للتنبيهات : ٦٣ .

(٤) بقية التنبيهات : ٦٢ .

(٥) فهرسة ابن خير : ٤٠٤ ومعجم الادباء : ١٣ / ٢١٠ .

(٦) خزانة الأدب : ١ / ٣٨٦ .

وغادر علي بن حمزة بغداد بعد مقتل المتنبي ، فأقام بمصر مدة (٧) ، وساح في بلاد الشمال الافريقي (٨) ، حتى حط عصا التسيار في جزيرة صقلية مقيماً بها الى أن وافته المنية في شهر رمضان سنة ٣٧٥ هـ (٩) ، « وصلى عليه القاضي ابراهيم بن مالك قاضي صقلية ، و كبّر خمساً ، في الجامع » (١٠) ، ودفن هناك .

أخذ علي بن حمزة العلم عن عدد كبير من علماء اللغة والأدب اللامعين في ذلك العصر ، حتى بلغ درجة رفيعة من الفضل والمعرفة ، وأصبح يعدّ من « أعيان أهل اللغة الفضلاء المتحققين العارفين بصحيحها من سقيمها » (١١) ، و « من أعلام أئمة الأدب » (١٢) .

و كان من جملة مَنْ قرأ عليهم وروى عنهم :

١ ـ أحمد بن ابراهيم أبي هاشم القيسي ، أبو رياش ، من سكان البصرة ، توفي سنة ٣٣٩ هـ (١٣) .

٢ ـ أحمد بن ابراهيم بن معلّى بن أسد ، أبو بشر ، العمّي التميمي البصري (١٤) .

٣ ـ أحمد بن بكر ، أبو روق ، الهزّاني ، المتوفى سنة ٣٣٢ هـ (١٥) .

٤ ـ أحمد بن الحسين ، أبو الطيب ، المتنبي ، المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ، و كانت بينهما علاقة حب وثيقة وصلة ود حميمة ، وروى ابن المستو في

---

(٧) التنبيهات : ٣٢٥ .

(٨) التنبيهات : ٢٨٩ .

(٩) معجم الادباء : ١٣ / ٢٠٩ وبغية الوعاة : ٣٣٧ وروضات الجنات : ٥ / ٢٢٩ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٢ / ١٩٤ .

(١٠) معجم الادباء : ١٣ / ٢٠٩ .

(١١) معجم الادباء : ١٣ / ٢٠٨ .

(١٢) بروكلمان في تاريخ الأدب العربي : ٢ / ١٩٤ .

(١٣) روى عنه في ديوان أبي طالب والتنبيهات : ٩٦ و ٢٤٧ و ٢٥٨ و ٣١٩ وبقية التنبيهات : ٣٨ و ٦٤ ومواضع اخرى ، وسماه (شيخنا) في البقية : ٦٩ .

(١٤) روى عنه كثيرا في ديوان أبي طالب ، وفي التنبيهات : ١٦٣ .

(١٥) روى عنه في التنبيهات : ٨٣ والبقية : ٤٠ و ١٦٤ و ١٦٧ .

عن علي بن حمزة قوله : « صحبتُ أبا الطيب ستين ونصف (كذا) لا أفارقه فيها ليلاً ولا نهاراً ؛ ولا يحتشمني في شيء » (١٦) ، وقرأ ابن حمزة « عليه شعره الى آخر الكافوريات » ببغداد عند اقبال المتنبي من مصر (١٧) .

٥ ــ عبدالعزيز بن يحي بن أحمد بن عيسى ؛ أبو أحمد ؛ الجلودي البصري ؛ المتوفى سنة ٣٣٠ هـ (١٨) .

٦ ــ عبدالله بن جعفر بن درستويه ؛ أبومحمد ؛ المتوفى سنة ٣٤٧ هـ (١٩)

٧ ــ عبدالواحد بن أحمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة ؛ أبو أحمد (٢٠) حفيد ابن قتيبة المعروف

٨ ــ عبدالواحد بن محمد ؛ أبو الفرج ؛ الأصبهاني (٢١) .

٩ ــ علي بن أحمد أبو الحسين ؛ المهابي ؛ المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، وكان يسكن مصر (٢٢) .

١٠ــ علي بن محمد ؛ أبو الحسن ؛ الوهبي (٢٣) .

١١ــ محمد بن الحسن؛ أبو بكر؛ ابن مقسم؛ العطار؛ المتوفى سنة ٣٥٤ هـ (٢٤) .

١٢ــ محمد بن مزيد بن محمود ؛ أبوبكر؛ ابن أبي الأزهر؛ الخزاعي ؛ المتوفى سنة ٣٢٥هـ (٢٥) .

١٣ــ المروزي ؛ أبوسعيد (٢٦) .

١٤ــ هارون بن موسى؛ أبومحمد ؛ التلعكبري؛ المتوفى سنة ٣٨٥ هـ (٢٧) .

---

(١٦) النظام : ١ / ٢٠١ .

(١٧) فهرسة ابن خير : ٤٠٤ .

(١٨) روى عنه في ديوان ابي طالب والتنبيهات : ٢٨٩ والبقية : ٦٢ و ٦٣ .

(١٩) روى عنه في التنبيهات : ١٤٢ .

(٢٠) روى عنه في التنبيهات : ٨٢ و ٨٥ و ٨٧ ومواضع اخرى منه .

(٢١) روى عنه في بقية التنبيهات : ٣٩ .

(٢٢) روى عنه في التنبيهات : ٣٢٥ .

(٢٣) روى عنه في التنبيهات : ٧٩ و ٣١٦ والبقية : ٥٤ .

(٢٤) روى عنه في بقية التنبيهات : ٣٨ .

(٢٥) روى عنه في التنبيهات : ١٤٢ .

(٢٦) روى عنه في التنبيهات : ٨٣ .

(٢٧) روى عنه في ديوان أبي طالب .

وأصبح علي بن حمزة ـ بفضل هؤلاء الشيوخ الأجلاء ، وبما بذل من جهد وهمّة في المتابعة والاتقان والتحقيق ـ علماً بارزاً من أعلام اللغة والأدب . وكان من الطبيعي جداً أن يسعى اليه الطلاب والرواة في كل الحواضر التي أقام فيها لكي ينهلوا من نميره ويرتووا من غديره ، ولكننا لم نعرف منهم الا :

١ ـ أبا الفتح عثمان بن جنّي ، المتوفى سنة ٣٩٢هـ (٢٨) .

٢ ـ أبا الفتوح ثابت بن محمد ، الأندلسي ، النحوي ، المتوفى سنة ٤٣١هـ (٢٩) .

وكان من المتوقع من علي بن حمزة وقد بلغ هذه المرتبة العليا من المعرفة أن يدوّن آراءه ورواياته وتحقيقاته وتعليقاته ، في مصنّفات تتداولها الأجيال وينتفع بها المعنيون والدارسون على مرّ العصور . وقد قام بهذه المهمّة العلمية أفضل قيام ، وأنّف عدداً من الكتب القيمة المشحونة بالفوائد والمفعمة بالنفع والعطاء ، وكان منها :

١ ـ التنبيهات على أغاليط الرواة في كتب اللغة المصنفات (وهو أهم مؤلفاته وأشهرها) : تنبّه فيه على ما ورد من أوهام وأغاليط في عدد من كتب اللغة المعروفة الكثيرة الشيوع والتداول ، وقد عرفنا منها :

أ ـ التنبيهات على أبي العباس المبرد في « الكامل » .

ب ـ التنبيهات على أغلاط كتاب « اختيار فصيح الكلام » لثعلب .

ج ـ التنبيهات على ما في كتاب « الغريب المصنّف » لأبي عبيد .

د ـ التنبيهات على أغلاط أبي يوسف في كتاب « إصلاح المنطق » .

هـ ـ التنبيهات على ما في « المقصور والممدود » لابن ولّاد المصري .

وقد نشر الشيخ عبدالعزيز الميمني هذه التنبيهات الخمسة في مجلد واحد في مصر سنة ١٣٨٧هـ .

---

(٢٨) معجم الادباء : ١٣ / ٢١٠ .

(٢٩) فهرسة ابن خير : ٤٠٤ ، وقد روى ثابت هذا عن ابن حمزة شرحه لديوان المتنبي .

و – التنبيهات على ما في « نوادر » أبي عمرو الشيباني .
نشره الدكتور عبدالقادر عبدالجليل في مجلة كلية الآداب / جامعة البصرة ، في سنة ١٩٨١م .
ز – التنبيهات على « نوادر » أبي زياد الكلابي الأعرابي .
ح – التنبيهات على كتاب « النبات » لأبي حنيفة الدينوري .
نشرهما الدكتور خليل ابراهيم العطية – ومعهما التنبيهات على ما في نوادر أبي عمرو الشيباني – باسم « بقية التنبيهات على أغلاط الرواة » في بغداد سنة ١٩٩١م .
ط – كتاب الرد على الجاحظ في « الحيوان » .
ي – ردود على الأصمعي .
ك – ردود على ابن الأعرابي (٣٠) .
ل – ردود على ابن دريد (٣١)، أو: أغلاط « الجمهرة » لابن دريد (٣٢)
م – أغلاط « المجاز » لأبي عبيدة (٣٣) .
٢ – كتاب « الآباء والأمهات والبنون والبنات » (٣٤) .
٣ – كتاب « الدارات » (٣٥) .
٤ – ديوان شعر أبي طالب (٣٦).

---

(٣٠) ذكر ياقوت هذه الردود الثلاثة (ط ، ي ، ك) في معجم الادباء : ١٣/٢٠٨ و ٢٠٩ .
(٣١) معجم الادباء : ١٣ / ٢٠٨ .
(٣٢) خزانة الأدب : ١ / ١٢ . وذكره علي بن حمزة نفسه في التنبيهات : ٢٩٠ والبقية : ١٥٨ .
(٣٣) خزانة الأدب : ١ / ١٢ .
(٣٤) ذكره المؤلف في التنبيهات : ١١٠ و ٢٤١ و ٢٨٧ و ٣١٤ وفي البقية : ١٤٥ . ووصفه الميمني بانه « كتاب جليل » واخبر بوجود نسخة مخطوطة منه في مكتبة كوبرولوزاده في تركية .
(٣٥) ذكره مؤلفه في بقية التنبيهات : ١٢٢ .
(٣٦) خزانة الأدب : ١ / ٢٦١ والسيرة النبوية لاحمد زيني دحلان : ١ / ٨٢ – ٨٣ والذريعة : ٩ / ق ١ / ٤٢ .

٥ — ديوان شعر علي — ع — (٣٧) .

٦ — شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (٣٨) ، ويُعَدُّ علي بن حمزة أول شارح له .

٧ — كتاب « العشرات » (٣٩) : جمع فيه الكلمات التي وردت كل واحدة منها بعشرة معان .

٨ — كتاب « المناكحات » (٤٠) .

—٤—

ونعود الآن بعد هذه الوقفة العجلى على الخطوط الرئيسة لترجمة الشاعر وصانِعَيْ شعره ، الى وقفة عجلى ثانية نستعرض فيها مجمل نصوص الديوانَيْن أو الديوان بروايتَيْه القيمتين ، لتتجلي بعض خصوصيات هذين العملين ، ونسجِّل أبرز مايمتاز به كل واحد منهما في طريقة العرض ومحور الاهتمام وضمائم الشرح والتعليق :

١ — بلغ مجموع شعر أبي طالب في صنعة أبي هفان أربعمائة وستة أبيات وستة عشر مشطوراً من الرجز .

وبلغ مجموعه في صنعة ابن حمزة خمسمائة وواحداً وتسعين بيتاً ومشطورين من الرجز .

وقد روى كلٌّ منهما قطعاً وأبياتاً لم يروها الآخر ، أحصيتُ منها في أصل أبي هفان مائة بيت وبيتاً من الشعر وستة عشر مشطوراً من الرجز لم يروها ابن حمزة ، وكذلك ورد في أصل ابن حمزة شعر كثير لم يروه ابو هفان .

٢ — لم يرتِّب أبو هفان شعر الديوان على قاعدة ثابتة ومنهج محدَّد ، ولعله اختار الالتزام بتقديم الأهم فالأهم من قصائد الشاعر ، ولذلك ابتدأ

---

(٣٧) ذكره مؤلفه في التنبيهات : ١٥٥ .

(٣٨) ذكره مؤلفه في التنبيهات : ١٣١ .

(٣٩) ذكره مؤلفه في التنبيهات : ١٢٨ و ١٥١ والبقية : ١٣٥ .

(٤٠) ذكره مؤلفه في التنبيهات : ١٣٤ و ١٥٣ و ١٥٧ .

بلاميّة أبي طالب الشهيرة التي عدّها ابن سلام أبرع ما قال أبو طالب من الشعر ؛ ووصفها بأنها « صحيحة جيّدة » (١) ، وقال الحافظ ابن كثير : انها « قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها الا من نُسِبَتْ اليه ، وهي أفحل من المعلّقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى » (٢) . وبلغت هذه القصيدة في رواية أبي هفان (١١١) بيتاً ؛ وفي رواية ابن حمزة (١١٥) بيتاً ، وأورد ابن هشام منها (٩٤) بيتاً وقال : « هذا ما صحّ لي من هذه القصيدة » (٣) ، وذكر البغدادي : انها « قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت » (٤) .

أمّا ابن حمزة فيبدو أنه قد رتّب شعر الديوان على التسلسل التاريخي لنظم ذلك الشعر ، ابتداء بأبيات أبي طالب في رثاء أبيه عبدالمطلب ، ومروراً بما نظمه أبو طالب في خروج النبي (ص) في صباه معه الى الشام ؛ وفي قصة الراهب بحيرا واستضافته ركب قريش ، وما نظمه بعد ذلك فيما يتعلّق بشؤون البعثة النبوية وانطلاقة الدعوة ومواقف قريش وسائر مشركي مكة منها ؛ خلال السنوات الاولى من البعثة الى وفاة أبي طالب في السنة العاشرة .

٣ — وخلاصة القول في التعريف بهاتين الصنعتين :

ان أبا هفان كان معنياً — في الأعم الأغلب — بشعر الشاعر وما تضمّنه من لغة ونحو وغريب ؛ وبما يستدعيه ذلك من شرح وتمثيل واستشهاد ، على طريقة قدامى السلف من صُنّاع الشعر العربي .

أما ابن حمزة فقد عُني — وفي الأعم الأغلب أيضاً — بشعر الشاعر مرتبطاً بالحدث أو المناسبة التي قيل فيها ذلك الشعر .

وبهذا كان العمل الأول أقرب الى اللغة والأدب ، والثاني ألصق بالتاريخ والسيرة الشريفة .

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ١/ ٢٤٤ — ٢٤٥ .
(٢) البداية والنهاية : ٣ / ٥٧ .
(٣) سيرة ابن هشام : ١ / ٢٩٩ .
(٤) خزانة الأدب : ١ / ٢٥١ .

ومع ذلك كله ، ففي عمل أبي هفان معلومات تاريخية لايستهان بها ، وفي عمل ابن حمزة فوائد أدبية ولغوية لايستهان بها أيضاً .

ونروي – فيما يأتي – بعضاً من تلك الفوائد اللغوية والأدبية التي أوردها هذان الباحثان اللغويان البارعان :-

١– صنعة أبي هفان

ورد في البيت ٢ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : « لأمور التّلاتِل » ، قال أبو هفان : « تَلْتَلَ فلان فلاناً : اذا هزّه . والتّلاتل : الشدائد » .

في البيت ١٨ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : « صورة وتماثِل » قال : « أراد : تماثيل » .

في البيت ٢٠ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : « الى مُفْضى الشِّراج القَوابل » ، قال : « والشِّراج : ما يتعلّق بعضُه ببعضٍ من الإكام ؛ واحدتها شَرْجَة . والقَوابل : المتقابلة » .

في البيت ٢٨ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : «ومشيهم حول البِسّال» قال : « أراد : البيت الحرام ؛ من البَسْل ، وهو من الأضداد » .

في البيت ٣٢ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : « ولمّا نُطاعِنْ دونه ونُناضِلِ » ، قال : « أنشد الرواة : (نناضل) من النضال بالسهام والنَّبْل ، و (نناصل) أجود الروايتين أي نقاتل بالمناصل وهي السيوف » .

في البيت ٣٩ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : « غير ذرب مُؤاكِل » ، هكذا رواها أبو هفان بالهمز وقال في شرح ذلك : « مُؤاكِل : يستأكِل » ؛ وزاد ابن بري – كما في اللسان / أكل – : « أي يستأكل أموالَ الناس » ؛ ورواها البغدادي في الخزانة : (مُواكِل) وجعلها من الاتّكال .

في البيت ٤٣ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : «جزاء مُسيءٍ لايُؤخَّر عاجِلِ » ، قال : « خَفَضَ (عاجل) على الجِوار كـ « جُحْر ضَبٍّ خَرِبٍ » وكقول العجّاج :

كأنَّ نسجَ العنكبوتِ المُرْمَلِ

في البيت ٤٩ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : « فَنَاجِ أبا عمرٍو »
قال : « المناجاة : الكلام في سرٍّ ، قال الراجز :

يـا قـومَنـا لا تَنْـجُـونْ
إنَّ مَـعَ النَّجْـوى الهُـونْ -

في البيت ٥٠ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : « ويُقْسِمُنا بالله » ، قال : « يريد : يُقْسِم لنا ، تقول العرب : هو يَحْلِفُكَ ويحلف لك » .

في البيت ٥٤ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : « مُبْغِضٍ ذي دَغاوِلِ » ، قال : « الدَّغْوَلَة : المُنْكَرَة » .

في البيت ٦٠ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : « وتُخْفي عارِقات الدَّواخل » أي البواطن ، قال : « العارقات : من عَرَقْتُ العَظْمَ » .

في البيت ٦٢ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : « من الخُصُوم المَسَاجِل » قال : « مَسَاجِل : يتساجلون الكلامَ بينهم والخصومةَ كتنازُعِ السِّجَال ، قال الراجز :

ياسَعدُ يـا ابنَ عُمَـرٍ يـا سَعْـدُ
هـل يُرْوِيَنْ ذَوْدَكَ نَـزْعٌ مَعْـدُ
وساقيـانِ سَبِـطٌ و جَعْـدُ
مُـرْدٌ ولا يُرْوِيـكَ الا المُـرْدُ
اذا هُـمُ تـآزروا واشتـدّوا
حسبتَهم جِنّـاً اذا مـا جَـدّوا
كأنَّ أثبـاجَ وِثـارٍ تَغْـدو
أوْبُ خَسَاهـا والسِّجَالُ مَـدُّ » (١)

---

(١) الرجز لأحمر - وتصحف في اللسان الى احمد - بن جندل السعدي ، وقد وردت المشاطير الثلاثة الاولى منها في تركيب (معد) في لسان العرب وتاج العروس ، والثاني والثالث في الصحاح ، والثاني بمفرده في المقاييس .

في البيت ٦٦ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : « قَيْضاً بنا والغَيَاطِل» والغياطل بنو سَهْم، قال: « القَيْض: المُقَايَضَة وهو الاستبدال . والغَيْطَلَة: الشجرة ، قال الأصمعي : انما سُمِّيت البقرةُ غَيْطَلَةً لأنَّها تُولَد في الشجر » .

في البيت ٧٢ من القصيدة ١ / قول أبي طالب :«وَشَايِظ كانت في لؤي بن غالب » ، قال : « الوَشِيظَة : ما تعلَّق بالقوم وليس منهم » .

في البيت ٧٩ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : «لاقحاً غير باهل» ، قال : « سُمِّيت باهلة لأنها بَهَلَتْ إبلَها فلم تشدّ أخلافَها » .

في البيت ٩٢ من القصيدة ١ / قول أبي طالب : « على رغم العدوّ المُخَايِل » ، قال : « الرواية بالخاء من الخَبْل ، وبالحاء : المُكايِد الذي يمدُّ له حَبْلَ الكِياد » .

في البيت ٣ من القصيدة ٤ / قول أبي طالب : « حَزِيم على جُلّ الامور » ، قال : « حَزِيمٌ يريد حازماً » .

في البيت ٤ من القصيدة ٤ / قول أبي طالب : « وجهه يَتَرَبَّدُ » ، قال : « التَّرَبُّدُ : احمرار الوجه في تَوَرُّم » .

في البيت ٧ من القصيدة ٤ / قول أبي طالب : «ويبني ويَمْهَد» ، قال : «يمهد : يَضَع ، والمَهْد والمِهَاد — جميعاً — : الأرض والفراش » .

في البيت ٨ من القصيدة ٤ / قول أبي طالب : « طِلاَعَ المدى » ، قال : « يقال حَلَبَ القَعْبَ طِلاَعاً : أي اعتلى على مَلئه » .

في البيت ١٩ من القصيدة ٤ / قول أبي طالب : « لديك البيان لو تكلَّمْتَ أسْوَدُ » ، قال : « قالوا : أراد الأسود بن عبد العزّى . وقالوا : أراد الذيل . وقالوا : أراد الحَجَرَ الأسود ؛ أي انَّه لو تكلَّم لأتبا بفضلنا » (١) .

---

(١) وقال السهيلي في الروض الانف : ٢ / ١٢٩ « اسود : اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله ؛ فقال أولياء المقتول هذه المقالة فذهبت مثلا » .

في البيت ٢ من القصيدة ٥ / قول أبي طالب : « ومُستَوسِن الناس لايعلم » من السِّنَة كوَسنان ، وأنشد شاهداً على ذلك قول عديّ بن الرِّقاع :

وسنــان أقصــدة النعــاس فرنَّقــت
فــي عينــه سِنَــةٌ وليــس بنائــم

في المشطورين ١ – ٢ من القصيدة ١٢ / قول أبي طالب : « قد شرَّفا . . . وغَطرفا » ، قال : يقال « بازٍ غِطريف وغِطراف : للكريم » .

في المشطور ١١ من القصيدة ١٢ / قول أبي طالب : « وموقف في الحرب أسنٍ موقفا » ، قال : « يريد : أسنٍ به موقفا ، وروى أبو محلِّم : أبئسْ موقفا : أي أعظِمْ به بأساً ، قال الشاعر :

فأبأسْتَ قوماً وأبأسْتَ جــارا

في البيت ٨ من القصيدة ١٣ / قول أبي طالب : « وصاحباً . . . وخُلَّةً لاتخونُ » أي خليلاً ، وقال : « قال أبو محلِّم في قوله :

خلاَلَتُــــه كأبــي مَرْحَــبٍ (١)

أراد : بأبي مَرْحَب ؛ أي مودَّتُه بلسانه في قوله : مَرْحَباً وأهلاً ، أي ليس فيه غير ذلك » .

في البيت ٢ من القصيدة ١٤ / قول أبي طالب : « جاشِم » ، قال : « أي متكارِهٌ على السَّيْر » .

في البيت ٣ من القصيدة ١٤ / قول أبي طالب : « من الخُور » ، قال : « أي من نتاج الخور وهي الغزار » .

في البيت ٤ من القصيدة ١٤ / قول أبي طالب : « قيل له : وَبْر » ، قال : « الوَبْرَة : دابة تكون بجبال تهامة ، وتجمع وَبْراً ووباراً ، قال جرير :

تَطَلّى وهــي سيئــة المُعَرّى
بصنِّ الوَبْــر تحسبــه مَلاَبــا

(١) الشطر للنابغة الجعدي ، وهو في شعره : ٢٦ ، وصدره فيه : وكيف تواصل من اصبحت .

في البيت ١٠ من القصيدة ١٤ / قول أبي طالب : « الا أنْ برَسٌ له ذِكْر » ، قال : « الرَّس : الذِّكْرُ الخفيّ ؛ أُخِذَ من الرَّس وهو القَبْر والبئر » .

في البيت ٤ من القصيدة ١٥ / قول أبي طالب : « عليهم التَّرْك » أي بَيْض الحديد ، أشار أبو هفان الى قول لبيد : (وتَرْكاً كالبَصَل) وقال : « شُبِّه البيض بالبَصل قيل لاستدارته ؛ وقيل لأنه طبقات » .

في البيت ٢ من القصيدة ١٦ / قول أبي طالب : « حِذارَ الوَتاير » ، قال : « الوَتيرة : الطَّريقة ، وقال قوم : أراد الأوتار » ؛ ونبَّه على أن الوتاير إن أُريد بها الأوتار كانت جَمْعاً على غير قياس ، ونظَّر له بجمع هراوة على هُرِيّ – وهو جمع على غير قياس أيضاً – ، وروى قول الراجز :

سوف تُلاقي بانطَويٍّ رِيّا
إنْ لم تصادف عِندها هِزْرِيّا
ذا حُمُرٍ يقطِّع الهُرِيّا

في البيت ٥ من القصيدة ١٦ / قول أبي طالب : « ولكنْ أزيرُ . . . كما زأرَ » ، قال : « ترَكَ الهَمْزَ » يعني هَمْزَ زار وأزار .

في البيت ٢ من القصيدة ١٧ / قول أبي طالب : « وإن حُصِّلَتْ أشرافُ كل قبيلة » ، قال : « حُصِّلَتْ : مُيِّزَتْ » ، قال الشاعر :

ألا رَجُلٌ جزاه اللهُ خيراً
يدلُّ على مُحَصِّلةٍ تبيتُ
ترجِّل جمَّتي وتقُمُّ بيتي
وأُعطيها الإتاوةَ إنْ رضيتُ (١)

---

(١) ورد أول البيتين – بلا عزو – في التهذيب : ٤ / ٢٤٢ وتركيب (حصل) في لسان العرب وتاج العروس .

« المُحَصَّلة : يعني المميَّزة للذهب من الفضة في المعدن . وتَقَمُّ : تكنس . والإتاوَة : الخَرَاج » .

في البيت ١٧ من القصيدة ١٨ / قول أبي طالب في وصف الخيل : « قصير الحزام طويل اللَّبَب » ، قال : « قصير الحزام : أي ليس بمنتفخ الجوف ، طويل اللبب : واسع الصدر » .

في البيت ٥ من القصيدة ١٩ / قول أبي طالب : « كذبتم وبيت الله يثْلَم رُكنُه » ، قال : « ويُروى : (يُنْثَم ركنه) أي ركن البيت ، ويثلم ركنه : أي ركن محمد ص — » .

في البيت ١٠ من القصيدة ١٩ / قول أبي طالب : « فإنّا متى ما نَمْرِها بسيوفنا نُجالِح » ، قال : « نُجالِح : أي نُكاشِف ، ويقال : نصبر على حالَيْن . والمِجْلاح من النُّوق : التي تصبر على الحرّ والبرد » .

في البيت ١٤ من القصيدة ١٩/ قول أبي طالب : « بكل طِمِرَّة » ، قال : « طَمِرَ الجُرحُ : اذا انتفخ ونتأ ونَزا . وطامِرُ بن طامر : البُرْغوث لأنه كثير الوثب » .

في البيت ١٦ من القصيدة ١٩/ قول أبي طالب في وصف الدِّرع : « مُفَاضَة . . . كهَزْهاز الغدير المُسَلْسَل » ، قال : « المُفاضة : الواسعة التي تنصبُّ على لابسها كانصباب الماء الفائض . وهَزْهاز : كثير الاهتزاز قال الراجز :

قـد وردتْ مثـلَ اليَمَانـي الهَزْهازْ

تدفـع عـن أعنـاقهـا بالأعجـازْ

أعيَتْ على مُقْصِدِنـا والرَّجّازْ (١)

---

(١) وردت المشاطير الثلاثة — بلا عزو — في تركيب (قصد) في لسان العرب وتاج العروس ، والأولان في الجمهرة ١ / ٩٣ وشرح المفضليات للأنباري : ٥٦٢ وتركيب (هزز) في أساس البلاغة ولسان العرب وتاج العروس .

«أي وردتْ ماءً تجفّفه الرياح يهتزُّ اهتزاز السيف اليماني . ويكثر لبنُها فلا ننحرها . ومُسَلْسَل : حَسَنُ المَرِّ» .

في البيت ١٧ من القصيدة ١٩ / قول أبي طالب : « مَغَاوِيــل » ، قال : « مغاويل : يُنْقِصُون كُلَّ عِزٍّ بعزّهم » .

في البيت ١ من القصيدة ٢٠ / قول أبي طالب : « وبِتَّ وما تُسَالِمُكَ الهُمُوم » ، قال : « يقال : بات الرجل : اذا آواه الليل وإن لــم ينـم ، قال امرؤ القيس :

فبــاتَ وبــاتَتْ لـــه لــيلـــةٌ
كليلــة ذي العــائـــر الأرمـــدِ

في البيت ٢ من القصيدة ٢١ / قول أبي طالب : « وسامِرُ اخرى قاعد لم يُنَوَّم » ، قال : « السَّمير : ظِلُّ القمر ، ثم قيل سامر ؛ لأنهم كانوا يهربون إليه اذا سمروا من حَرِّ القمر . وهو أيضاً : الفَخْت . ويقال لدارة القمر : الطُّفَاوة ، وأنشد :

كــأنهــا البــــدر في طفــاوتـــه
وهــالــةُ الشـمس حيــن نفجؤُها

وهالة الشمس : دارتُها ، قال رؤبة :

يــا هــالَ ذاتَ المنطــق التَّمْتـامِ
وكــفّــكَ المخــضّــب البَنــامِ

أراد امرأةً فسمّاها هالةَ لنُورها . وأرادَ البَنَانَ فأبْدَل » .

في البيت ٥ من القصيدة ٢١ / قول أبي طالب : « وإنْ تَنْشُدوا في كلِّ بَدْوٍ ومَوْسِمِ » ، قال : « نشدوا : ذَكَروا ؛ من نَشَدْتُكَ اللهَ . المَوْسِم : الجَمْع ؛ لأنّه يَسِمُ الأرضَ بالوَطْء » .

في البيت ١٢ / من القصيدة ٢١ / قول أبي طالب : « نوائح قتلى تدّعي بالتّسدُّم » ، قال : « من قولهم : نادِمٌ سادِمٌ : أي حزين ، هذا قول أبي عبيدة ، وقال الأصمعي : سادِمٌ إتْبَاعٌ » ثم روى عن أبي زيد أن للإتباع اصولاً في كلام العرب ، وأنشد شاهداً على صحة الإتباع :

أقْبِحْ بِهِ مِن وَلَدٍ وأشْقِحْ
مثلَ جُرَيِّ الكلبِ لم يُفَقِّحْ

في البيت ١ من القصيدة ٢٢ / قول أبي طالب : « أقَمْنَ بِمَدْحاة الرياح الرّمائم » ، قال : « رمائم : تكنس كلّ شيءٍ ، والمِكنَسة تُسَمّى مِقَمَّة ومِرَمَّة . ويُروى : (الرياح التوائم) أي ثنتين ثنتين . ويُرْوى : (الزّمازِم) وهي التي لها صوت لا يُفْهَم » .

في البيت ٢ من القصيدة ٢٢ / قول أبي طالب : « أنْزَفتُ دمعي » ، قال : « أنزفتُ : حمّلته على ذاك » .

في البيت ٤ من القصيدة ٢٢ / قول أبي طالب : « بهَضْب الرّجائم » ، قال : « الرّجائم — جَمْعُ رَجيمة — : جبال تَرْمي بالحجارة ؛ فسمّاها بفعلها ؛ وقَلَبَ فقال (رجائم) وكان يجب : راجِمة ورَوَاجِم » .

في البيت ٨ من القصيدة ٢٢ / قول أبي طالب : « بلاء قاتم » ، قال : « قاتم : مُغَطّى ؛ كأنّ عليه قَتاماً » .

في البيت ٢ من القصيدة ٢٧ / قول أبي طالب : « زَوَاهق حُسَّمٌ » ، قال : « زَواهق : قريبة الآجال . . . ويكون الزاهق : الممتلىء شحماً » واستشهد على الزاهق بقول زهير :

. . . . . ومنها الزاهق الزَّهِمُ

٢ — صنعة علي بن حمزة

ورد في البيت ٢ من القطعة ٧ / قول أبي طالب : « انه شَجَبا » ، قال ابن حمزة : « شَجَبَ : هَلَكَ ، والشَّجْب : الهَلاك » .

في البيت ١٠ من القصيدة ١٣ / قول أبي طالب : « يُبْزى محمدٌ » ، قال : « يُبْزى : يُسْلَم ، ويُبْزى : يُقْهَر ، وقال الشاعر :

وانـــي أخـــوك الدائـــمُ العهد لـــم أحُـــلْ

إنِ ابْـــزاك خصـــمٌ أو نَبَـــا بك منـــزلُ

في البيت ٣ من القصيدة ٢٦ / قول أبي طالب : « أدَعُ الرقاحـــة لا أريد نَماءها » ، قال : « الرقاحة : التجارة والتَّثمير ، هذا قول الجاحظ » والرِّقاحة ـ عند أهل العربيَّة ـ : الإصلاح ، وأنشدوا للحارث :

يتـــرك مـــا رقَّـــح من عيشه يعيـــث فيـــه هَمَجٌ هامِـــجُ

في البيت ٩ مـــن القصيدة ٢٨ / قـــول أبي طالب : « وأيْدٍ أُترتَ بالقُسَاسِيَّة الشهب » ، قال : « قال أبو رياش :

القُسَاسيَّة منسوبة الى قُسَاس جبلٍ يتخذ منه الحديد. وتُرِتْ وأُترَّتْ : قطعت، وأنشد :

يقول وقد تُرَّ الوظيـــفُ وساقُها ألستَ ترى أنْ قد أتيتَ بمؤيدِ

في البيت ٣ من القصيدة ٤٣ / قول أبي طالب : « لالٍّ محمدٍ راعٍ حفيظ » ، قال : « الإلُّ : العهد ، ويُروى : (لِآلٍ) ، والآلُ ها هنا : الشخص » .

في المشطور ٢ من القطعة ٥٨ / قول أبي طالب : « قد اتَّسَقْنَ لا يجدْنَ سائقا » ، أوردا بن حمزة قوله تعالى : (والقمر اذا اتَّسَق) وروى عن ابن عباس : ان اتِّسَاقه اجتماعُه ، ثم ذكر المشطور المذكور شاهـــداً على ذلك .

وبعــد :

فهذه اشارات موجزة ولمحات مقتضبة سقناها للتعريف بشاعر هــذا الديوان النفيس ؛ وبصانِعيَّه العالِميَّن المعروفَيْن ؛ وبما أودع فيه هذان الباحثان الفاضلان من شروح قيمة وتعليقات نافعة وفوائد ذات شأن للمهتمين باللغة والأدب : مضافاً الى ما ضــمّ الديوان – بروايتَيْه – من معلومات تاريخية وافرة تخص السيرة النبوية الشريفة في عهد البعثة الأول في مكــة المكرمة . وقد زاد من قيمة هذا العمل التزام الجامعيّـيْن كليهما في معظم مروياتهما بذكر أسانيد تلك الروايات أو الكتب التي نقلا منها ما أوردا فيه.

ولمّا كان المثل العربي المأثور يؤكّد ان الرائي غير السامع ؛ فانّنــا نترك التفاصيل الممتعة لهذين العملَيْن الأدبيَّيْن الجليلَيْن الى حين نشر الديوان بنصّيه المذكورَيْن ، ونرجو أن نوفّق الى ذلك – ان شاء الله – في وقت غير بعيد . والله تعالى ولي التوفيق .



المصـــادر والمراجــــع

أخبار أبي نؤاس / لأبي هفان المهزمي	القاهرة ١٣٧٣ هـ
الاشتقاق / لابن دريد	القاهرة ١٣٧٨ هـ
الاصابة / للحافظ ابن حجر	القاهرة ١٣٥٨ هـ
الأغاني / لأبي الفرج الأصبهاني	بيروت ١٤٠٦ هـ
انباه الرواة / للقفطي	القاهرة ١٣٧٤ هـ
ايضاح الوقف والابتداء / للأنباري	دمشق ١٣٩١ هـ
البداية والنهاية / للحافظ ابن كثير	القاهرة ١٣٥١ هـ
بغية الوعاة / للسيوطي	القاهرة ١٣٢٦ هـ
بقية التنبيهات / لعلي بن حمزة البصري	بغداد ١٩٩١ م
تاج العروس / لمحمد مرتضى الزَّبيدي	القاهرة ١٣٠٦ هـ
تاريخ الأدب العربي / لبروكلمان ــ الترجمة العربيــة ــ	القاهرة ١٩٦١ م
تاريخ الامم والملوك / للطبري	القاهرة ١٩٦٣ م
تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي	بيروت (طبعة مصوَّرة)
التنبيهات على أغاليط الرواة / لعلي بن حمزة البصري	القاهرة ١٣٨٧ هـ
الجمهرة / لابن دريد	الهنـــد ١٣٤٤ هـ
جمهرة النسب / للكلبي	بيروت ١٤٠٧ هـ
الحجّة على الذاهب / لفخار بن معدّ الموسوي	النجف ١٣٥١ هـ
خزانة الأدب / للبغدادي	القاهرة ١٢٩٩ هـ
خلاصة الأقوال / للحلّي	طهران ١٣١١ هـ
الذريعة / للطهراني ــ الجزء التاسع ــ	طهران ١٣٧٤ هـ

ذيل كشف الظنون / لاسماعيل البغدادي | تركية ١٣٦٤ هـ
الرجال / لأبي العباس النجاشي | الهنـد ١٣١٧ هـ
روضات الجنات / للخوانساري | ايـران ١٣٩٢ هـ
زهر الآداب / للحصري القيرواني | القاهرة ١٩٢٥ م
سمط اللآلي / للبكري | القاهرة ١٣٥٤ هـ
السير والمغازي / لمحمد بن اسحاق | دمشق ١٣٩٨ هـ
سيرة / ابن هشام | بيروت ١٣٩١ هـ
السيرة النبوية / لأحمد زيني دحلان ــ هامش السيرة الحلبية ــ القاهرة ١٣٥١ هـ
شرح المفضليات / للأنباري | بيروت ١٩٢٠ م
شرح نهج البلاغة / لابن أبي الحديد | القاهرة ١٣٧٥ هـ
طبقات / ابن سعد | ليـدن ١٩١٨ م
طبقات الشعراء / لابن المعتز | القاهرة ١٩٥٦ م
طبقات فحول الشعراء / لابن سلام | القاهرة ١٣٩٤ هـ
العباب الزاخر / للحسن الصغاني | المطبوع والمخطوط
الفهرست / لابن النديم | طهران ١٣٩١ هـ
فهرسة / ابن خير الاشبيلي ــ الطبعة الثانية ــ | ؟ ١٣٨٢ هـ
الفوائد الرضوية / للقمي | طهران ١٣٢٧ هـ ش
القاموس المحيط / للفيروزابادي | القاهرة ١٣٥٧ هـ
الكامل / لابن الأثير | القاهرة ١٣٤٨ هـ
اللباب / لابن الأثير | القاهرة ١٣٥٦ هـ
لسان الميزان / للحافظ ابن حجر | الهنـد ١٣٢٩ هـ
معجم الادباء / لياقوت | القاهرة ١٩٣٦ م
معجم الشعراء / للمرزباني | القاهرة ١٣٥٤ هـ
نزهة الألباء / لابن الأنباري | بغـداد ١٩٥٩ م
النظام / لابن المستوفي ــ الجزء الأول ــ | بغـداد ١٩٨٩ م
نور القبس / لليغموري | بيروت ١٩٦٤ م
هدية العارفين / لاسماعيل البغدادي | تركية ١٩٥١ م

العلـم والتقانـة (التكنولوجيا) وقضـيـة الامـن القومـي

الاستاذ الدكتور علي عطية عبد الله
عضـو المجمـع العلمي العراقـي
استاذ الفيزياء في جامعة بغداد

مقدمة

يؤكد التطور الحضاري الانساني عبر مراحل التأريخ المتعاقبة ، ومن خلال تعقب العصور الانسانية ما قبل التأريخ وما بعده (أي قبل بدء تدوين التاريخ وما تلا ذلك) معتمدين الدراسات الأثارية ، على ان العلم لعب دوراً مهماً في بناء القاعدة الاساسية للمعرفة الانسانية التي منها إنطلقت وتاثر التصاعد الحضاري . كما أن تطبيقات العلم ومراحل تطورها حتى أصبحت علماً يبدو قائماً بذاته هو علم تطبيق وتطوير التقنيات واساليب استخدامها الذي يدعى بالتقانة عربياً وبالتكنولوجيا أجنبياً : هو الأخر أثر بسعة ووضوح في عملية تنامي وتطور الحضارة الانسانية . . . فاذا قلنا إن العلم هو الوسيلة الاجابة على سؤال لماذا وكيف بالنسبة للطبيعة المحيطة بالانسان بما فيها من ظواهر متنوعة ، منها ما هو مفيد ومنها ما هو مضر للانسان ، وذلك من خلال جمع الملاحظات وإختبارها وفقاً لوسائل الاختبار المتاحة ، وذلك بقصد التحري عن الحقيقة ، والتغلب على المجهول ، فان التقانة هي تسخير العلم بمكتشفاته في خدمة البناء الحضاري للانسانية ، وفي واقع الأمر فأنه من الصعب جداً الفصل تماماً بين العلم والتقانة لان الحقيقة العلمية قد تحدد بالفكر والملاحظة ومن ثم الاختبار أما عملياً بشكل مباشر أو التأكد بشكل غير مباشر ، أو قد تحدد نتيجة كشف عملي

بالممارسة ثم إخضاعها للشرح والمعلومات المعرفية ومن ثم وضع نظرية علمية لها وهكذا . . لذا فالعلاقة بين العلم والتقانة علاقة جضوية ولعب الحس او الادراك الانساني دوره في بناء هذه العلاقة ، وكلما تقدم العلم وتقدمت التقانة كلما زاد التداخل بينهما ، ولكن التطور المتقدم جداً لتطبيقات نتائج البحوث العلمية أظهر رجحاناً للتقانة ولو ظاهريا ، على العلم ، الا أن القضية تبقى متلازمة بمعنى لايمكن الفصل بين العلم والتقانة إطلاقاً وانما نتائج أيٍّ منهما تعزز دورهما باتجاه التطور والنمو الى أمام . فاذا كانت المعلومات العلمية تعبّر عن تراكم المعرفة الانسانية فان التقانة تمثل مهارة الانسان في الاستخدام الأمثل للمعلومات المعرفية المتراكمة لديه وفتح القنوات أمام التطور العلمي والمعرفي .

ورغم أنّ البناء الحضاري عمل انساني بطبيعته إلا أنّ لكل أمّة دورها في ذلك مهما كان حجم ذلك الدُور صغيراً لكنّ الأمم العظام تعدّ قائدةً للمسيرة الانسانية الحضارية ، وطالما أن الحضارة مفهوم إنساني يعبر عن انشطة الانسان المتنوعة ويأخذ مستوياته التطورية من خلال مستوى تطور هذه الانشطة التي هي الأخرى تعبر عن ما يبذله الانسان على مستوى الفرد والمجتمع من جهد ممزوج بالإبداع والأبتكار ، فأنه يمكن القول أنّ الحضارة بدأت مسيرتها مع بداية مسيرة الانسان ، وهنا يمكن أن يقال أن إكتشاف الانسان للزراعة والنار ومؤالفة بعض الحيوانات لخدمة أغراضه الحياتية والاجتماعية يمثل بداية تسطير أول حرف للحضارة ، والمفهوم المعطى هنا للحضارة يتجاوز شمولياً مصطلح البداوة والحضارة المتداول ، لانه برأينا حتى البداوة هي جزء مرحلي من مسيرة الانسان باتجاه ما نحن عليه من حضارة ، فالحضارة شيءٌ نسبي كما أنّ الحقيقة نسبية كذلك .

وتأسيساً على ذلك فحضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل والحضارة الاغريقية ثم الصينية والهندية جميعها ساهمت في وضع أول

صرح متقدم للحضارة الانسانية ، ثم جاء العرب المسلمون لينتقلوا بهذا الصرح إلى أمام بعد الدراسة والفهم العميق لما سبقهم من حضارة ومن ثم الاضافة والتطوير وفي جميع حقول العلوم والمعرفة، ولما كان موضوع دراستنا يتعلق بقضية العلم والثقافة والأمن القومي للامة العربية ، فأن الحديث عن دور الامة في بناء الحضارة الانسانية يتطلب الربط بين حاضر الأمة بمافيه من مطبات وبين ماضيها بما فيه من قمم ، علّنا نحدد مستلزمات وضع أسس بناء المستقبل للامة وبما يعزز وحدتها وإرادتها ويضعها في موقعها اللائق بها بين الأمم . . .

من هذا المنطلق نقول ويقول معنا المنصفون في العالم وعلى رأسهم بعض المستشرقين الغربيين ، كان للعرب دور اساسي وهام جداً في وضع قاعدة حضارية بنيت على اسس العلم والمعرفة عجلت بانطلاقة الغرب الحضارية بحوالي ثلاثة قرون ، ويمكن أن نقدر أهمية هذا الاعتراف أكثر اذا ما علمنا أنّ تراكم المعلومات هو اساس الاسراع في عجلة البناء الحضاري وعليه ترتكز قاعدة بناء الثقافة (التكنولوجيا) .

تشير الدراسات الآثارية الموثقة عالمياً إلى أنّ حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل تُعدُّان أقدم حضارات العالم (اليونسكو) ، حيث تطورت علوم الرياضيات والفلك والطب في هذا الجزء من العالم تطوراً كبيراً نسبة الى ما كان عليه بقية العالم في هذا المجال ، فالثابت الأن هو أن البابليين كانوا على علم بالمتواليات الهندسية والعددية وأستخدموا النظام الستيني ، كما كان لديهم مستوى من المعرفة بشأن النسبة والتناسب ، كذلك فان المصريين القدامى إهتموا بهذا العلم وبذلوا جهداً متميزاً في هذا المجال : حيث تشير الحفريات الآثارية في منطقة برد أحميس (١٧٠٠ ق . م) إلى إستخدامهم معادلة الدرجة الأولى ذات المجهول الواحد مع الترميز للكمية

المجهولة كما هو عليه الحال في علم الجبر اليوم . . كما أن آثار العرب القدامى (عراقيون ومصريون) في البناء ونظم الري وتشريع القوانين (مسلة حمورابي) تؤكد حقيقة المستوى الحضاري الذي كانوا عليه . . إن الكتابة المسمارية (في العراق) والهيلوغرافية (في مصر) وما تبعها من تطور يدل على أن مستوى التعليم كان مرموقاً ، كما أن مستوى البناء والافكار الهندسية المستخدمة فيه (الجنائن المعلقة في العراق ، والاهرامات في مصر وسد مأرب في اليمن والزقورة في العراق) يوضح ويؤكد رقي المستوى الثقافي عندهم . . ومما يزيد هذا تأكيداً اكتشافات التحريات الآثارية في وادي النيل وجود مدارس متخصصة في العلوم الاساسية واوجود مكتبات جيدة تضم عشرات الالوف من الرقوم الطينية تعود للنصف الأول من الالف الثالث قبل الميلاد . حيث وجد أن مكتبة آشور بانيبال الشهيرة في نينوى أغنى مجموعة من نوعها في العالم وتضم في حدود (٢٥٠٠٠) من الرقوم الطينية ، كما أن في وادي النيل قامت جامعات للعلم والتعلم منها جامعة طيبة وجامعة الاسكندرية التي كانت منارة علمية متميزة حتى الفتح العربي الاسلامي في القرن السابع الميلادي ، كما أن جامعات أخرى ظهرت في الشام (الجزء الآخر من العرب قبل الاسلام) ومن أهمها جامعة إنطاكيا وجامعة حران .

أما بعد الدعوة الاسلامية حيث أمترج الفكر العربي بفكر الرسالة الألاهية إمتراجا تفاعلياً من خلال تهذيب الفكر العربي وتعميقه حيث إنتقلت به رسالة السماء الخالدة الى مستوى جديد من الوعي والادراك والاستجابة لما هو أقوم وأصوب على مستوى البناء الانساني ، ومما زاد في مستوى الفكر العربي علواً هي مسؤولية حمل رسالة رب الكون إلى بني الكون جميعاً حيث التفاعل الحضاري مع أمم لها دورها الحضاري على مستوى الانسانية فأخذت هذه الامم من معين الفكر الاسلامي المعمق للفكر العربي لتهذب مفاهيمها وتعمق طرائقها في

التعامل الانساني ، ونتيجة إندماجها الحضاري مع المنطلق الحضاري الجديد كانت الدولة العربية الإسلامية ثقافة وفكراً وعلماً حصيلة تفاعل حضاري ضخم في ظل مبادئ انسانية سامية أطلقت الفكر الانساني من عقاله ليبدع ويتفكر حتى وصل ذلك الى النزوة عند وصول الدولة العربية الاسلامية الى القمة خلال العهد العباسي عندها نشطت حركة العلم والمعرفة ، حيث أتسم العمل العلمي والتعليمي بالشمولية والعمق وذلك بسلوك السبل الأتية :

١ — ترجمة الكتب اليونانية والهندية الى العربية ودراستها بعمق واستيعاب

٢ — التفاعل مع كبار علماء السريان وغيرهم ممن درسوا العلوم اليونانية والهندية ونقلوها الى العربية . . .

٣ — بناء المدارس الخاصة بالتعليم وفق منهج واضح حيث إنتشرت المدارس العديدة في أرجاء الدولة العربية الاسلامية أبان الخلافة العباسية وبعدها، نذكر على سبيل المثال لا الحصر المدرسة المستنصرية وجامعة القرويين وجامعة الزيتونة والجامع الازهر . . الخ . .

وبعد ترجمة الكتب العلمية المهمة من السريانية والهندية واليونانية الى اللغة العربية وذلك لاتاحة الفرصة للعربي المسلم للاطلاع على ما هو عليه مستوى العلوم والمعرفة عند الأمم الأخرى ، تكونت لدى الدولة العربية الاسلامية حصيلة لابأس بها من العلماء الذين ، وبعد استيعابهم لعلوم ومعارف زمانهم ، بدأوا حملة في تأليف الكتب العلمية في فروع العلوم والمعارف المتنوعة حيث تكونت قاعدة علمية رصينة لإنطلاق حضارة العرب المسلمين الى أعلى مستوى حضاري بالنسبة للأمم الأخرى ، وقد كان على رأس هذه الحملة العلمية علماء ومفكرون كبار نذكر منهم الجاحظ والكندي والفارابي والبيروني وابن الهيثم وابن سينا وبن رشد والمسعودي والخوارزمي والبتاني وغيرهم كثير . .

وقد ساعد ذلك كثيراً العناية بدور النشر والترجمة حيث كان بيت الحكمة في عصر المأمون مثالاً حياً لاهتمام المسؤولين انذاك بالعلم والمعرفة حيث كان الخلفاء العرب المسلمون يدعمون العلماء والمفكرين ويشجعونهم . .

ورغم تبجح الغرب بأن بيكون هو واضع علم التجريب للتحري عن الحقيقة فان الانصاف يؤكد أن ابن الهيثم سبقه الى ذلك بقرون وان كتب ابن الهيثم في البصريات والهندسة والتي ترجمها الغرب ودرّسها في جامعاته تؤكد دور ابن الهيثم في ما عمله العالِم الغربي بيكون . . ان العرب المسلمين كانوا في طريقهم لبناء علم وثقافة متقدمة بعد أن تراكمت لديهم المعلومات العلمية والمعرفية ، الا أن سقوط دولتهم عام ١٢٥٨ ميلادي وما تبع ذلك من نزاعات على مستوى دويلات اسلامية أثر كثيراً على ما كان متوقعاً للعرب المسلمين من حضارة متقدمة ؛ ورغم سقوط الدولة العربية الاسلامية وما قام به هولاكو من تدمير للحضارة . . فان زخم الحضارة التي وصلت قمتها في عصر المأمون دفع بالعديد من العلماء العرب المسلمين إلى الاستمرار بابتكاراتهم وإبداعاتهم العلمية وأنّ معظم العلماء العرب المسلمين الّذين سبقت الاشارة اليهم هم من نتاج هذا الزخم الحضاري .

والآن وفي ضوء ما تقدم من طروحات وفي ضوء ما نعيشه من واقع عربي وواقع علمي على مستوى البناء الحضاري ودور العلم والثقافة في ذلك ؛ فان الاستنتاج الموضوعي المنصف والمدرك لواقع الحال العربي يؤكد حقيقة تخلف الامة العربية في جميع مجالات العلوم والمعرفة والفكر والثقافة وبمستوى يكشف حجم الكارثة الحالية للامة . وما هو متوقع لها إن هي بقيت على ما هي عليه من تجزئة وتخلف وضياع فكري وتناقض في المصالح القطرية الضيقة المعبرة عن آنانية الانظمة والزعامات . . . وتحت ظل وضع كهذا فان الأمة ستبقى عائشة حالة فقدان الأمن والأمان وسلب السيادة والإرادة حيث ضياع الأمن القومي

و كارثة.إبقاء سيطرة.طغاة التسلط العالمي بقيادة الحركة الصهيونية والامبريالية الامريكية الجديدة على مقدرات الامة السياسية والاقتصادية والعلمية والتقانية ومن ثم سبات الامة و إنكماشها في ظل دويلات واهية تعيد الينا حال العرب بعد عام ١٢٥٨ م .. وهنا يأتي دور المخلصين من أبناء الامة من قادة ومفكرين ومثقفين ليعملوا وينبهوا بجد من أجل إنقاذ الامة وفق منهج علمي موضوعي ونهج مدروس الخطوات بعيداً عن فقدان الصبر والبصيرة يعتمد الشعب العربي اعتماداً حقيقياً في كل خطوة يخطوها وبمنظور قومي شامل معبر عن الامة وطموحاتها وحقها في موقع يليق بها على طريق بناء الحضارة الانسانية . . فالقول دون عمل جفاء يذهب ادراج الرياح والشعارات دون تطبيق واع خداع للمواطنين العرب تجرهم الى حالات الاحباط واليأس ، وكثر التبرير يفقد الانسان العربي تصديق ما يطرح من شعارات ، وتفقد الانظمة رافعة الشعارات مصداقية طروحاتها أمام الشعب ، إن معرفة حقيقة واقع الامة بدقه وامانه ومن منطلق مصلحة الامة العليا بعيداً عن النوازع الشخصية والفكرية الضيقة يساعد كثيراً على تلمس اشكالية الوضع العربي على مستوى العلوم والتقانة ومن ثم على مستوى الأمن القومي . . . ويتطلب هذا تشخيص واقع الحال ومن ثم التفتيـــش وفق نهج علمي مدروس عن مستلزمات وأساليب إصلاحه . . . وسنحاول في الفقرات التالية التطرق الى ما يجب عمله بعد تشخيص الواقع الذي تعيشه الامة ولو بايجاز . . فالعلوم والتقانة وعلاقتهما ببناء اسس الأمن القومي يُعدُ من المواضيع المهمة وتشعباته كثيرة ، كما أن دراسة ذلك تتطلب معلومات إحصائية قلما يجدها الباحث بالدقة اللازمة على مستوى الوطن العربي . . . كما إنعكاساتها السلبية على الباحث الموضوعي والصريح والصادق القول ليست مأمونة الجانب ، الا أن الحرص على الامة يتطلب الحرص على قول مايجب قوله خدمة لمصلحة الامة العليا وإنارة الطريق أمام من لم ير الحقيقة سواء ارادياً أم رغم أنفه . . لذا فستكون الصراحة اساس منطلق هذه الدراسة

المتواضعة . . وهي وجهة نظر الا انها مبنية على خبرة وطنية وقومية ليست بالقليلة ، ومع ذلك فهي رأي لكنه لم يُبدَ لغرض الابداء انما لوضع النقاط على الحروف عسى أن يعمقه من له الرغبة في المساهمة للوصول الى ما هو في صالح الامة . ... فالمجتهد له أجر إن اخطأ وله أجران إن أصاب تلك هي حقوق الانسان العربي المسلم كما تؤكد السنة . . وأجرنا هنا وفي وضع عربي كهذا الذي نعيش هو الجرأة والقدرة على التعبير بالنسبة لاشكالية تمس الأمن القومي في ظل وضع عربي ربما غير آمن بالنسبة للانسان العربي مع الاسف . . ولكن سنقول ما يجب قوله رغم ذلك .

- لذا فالدراسة المتواضعة هذه تتضمن الآتي :

الفصل الأول : الواقع العربي على مستوى العلم والتقانة .

الفصل الثاني : خلاصة الواقع العالمي على مستوى العلم والتقانة للمقارنة .

الفصل الثالث : بعض المؤشرات الاساسية لاستراتيجية عربية لنقل العلوم والتقانة

الفصل الرابع : الخلاصة ، الاستنتاجات ، المقترحات ، الخاتمة .



الفصل الأول: الواقـع العربـي على مستوى العلـم والتقانـة

إن الحديث عن واقع العلم التقانة في الوطن العربي يتطلب التطـرق إلى :

ا ـ مؤسسات التعليم واقعها وطبيعة نظمها التربوية والتعليمية .

ب ـ مؤسسات البحث العلمي والإنتاجية للباحث العلمي ومستوى دعم البحث العلمي .

جـ ـ نتائج البحث العلمي ودورها في التنمية الاجتماعية بابعادها المتنوعة

ا ـ مؤسسات التعليم واقعها وطبيعة نظمها التربوية والتعليمية .

إن المقصود بمؤسسات التعليم هو المؤسسات التعليمية ما قبل الجامعـة والمؤسسات الجامعية . . فعلى مستوى التعليم ما قبل الجامعة يمكن القول أن التعليم العام يعاني مشاكل عديدة يمكن إيجازها بالآتي :

١ ـ التوازن بين نوعي التعليم العام (الأكاديمي والمهني)

٢ ـ التوازن بين فرعي التعليم العام الاكاديمي (الأدبي والعلمي)

٣ ـ التوازن بين فرص التعليم العام للبنين والبنات .

٤ ـ التوازن بين فرص التعليم لابناء المدينة وأبناء الريف وقد تختلف نسبة تأثير هذه العوامل من قطر عربي الى آخر الا أنها تلتقي في الاطار العـام .

كما أن هناك مشاكل أخرى يمكن أن تؤثر في طبيعة ونتاج التعليم العـام ومن ثم تؤثر على عملية بناء الانسان العربي علمياً وتقانياً يمكن أيجـازها بالآتي :

١ ـ المدرسة العربية بناء ومناخاً وادارة

٢ ـ المنهج العلمي التربوي من حيث المستوى واسلوب التطبيق

٣ ـ واقع المعلم العلمي والمادي والاجتماعي .

إنّ أيّ خلل في إعداد الطالب على مستوى التعليم العام ينعكس على التعليم الجامعي من حيث الكم والنوع.. وإن المعلم والمنهج وطرق التدريس لهم دورهم الاساسي في بناء واعداد الطالب ؛ فمواد التدريس وطرق التدريس وقدرة المعلم العلمية وبنائه تعد حجر اساس بناء الطالب علمياً وثقافياً وثقافياً وتربوياً.، فالمادة العلمية المتخلفة وطرق التدريس التلقينية وضعف مستوى المعلم وإنشغاله بشؤونه الاقتصادية تبنى إنساناً جامداً في تفكيره غير قادر على المبادرة والابداع والابتكار ..... وفي الواقع أن معظم مدارسنا التعليمية العربية ضمن التعليم العام تعاني من مشاكل عدم تطوير المناهج وطرق التدريس ومن ضعف اعداد المعلم .. لذا فاول لبنة على طريق بناء التعليم العالي هي لبنة هشة لاتحمل ثقلاً نوعياً مضافاً على مستوى التعليم العالي (الجامعي) .. إن دراسة تربوية وعلمية شاملة لهذا الواقع لم تتم كما يجب وان وجدت هنا وهناك على مستوى الوطن العربي فهي رهينة عقليات هي الأخرى فاقدة التطور ... فالمشكلة لا زالت قائمة حيث تفتقر غالبية الدول العربية ان لم تقل جميعها الى نظم تربوية عصرية معتمدة .. وأن سياقات عمل التعليم العام هو التشبه بما قسد من انظمة تربوية أجنبية في معظم الاحوال ..

أما على مستوى التعليم العالي (الجامعي) فان هناك عشرات الجامعات والمعاهد على مستوى الوطن العربي حيث تشير بعض الاحصائيات الى وجود حوالي تسعين جامعة وثمانين كلية مستقلة وسبعين معهداً تعليمياً (حسب إحصائية عام ١٩٩٠) .

واذا أخذ تقدير احصائيات عام ١٩٨٦ فان الوضع التعليمي العام يتلخص في :

١ ــ يبلغ عدد طلاب التعليم الابتدائي ٢٦ مليوناً عام ١٩٨٦ يتوقع أن يصل الى ٤٤ر٥ مليوناً عام ٢٠٠٠ م .

٢ – يبلغ عدد طلاب التعليم الثانوي والمهني (١٢) مليونا عام ١٩٨٦ يتوقع أن يصل الى ٢٣ مليوناً عام ٢٠٠٠ م .

٣ – مجمل الاستثمار في حقل التربية والتعليم في الوطن العربي لا يتجاوز ٦ ٪ كمعدل مقارنة بالدول الصناعية (١٠ ٪)

واذا أخذنا بإحصائية عام ١٩٨٦ حيث عدد نفوس الوطن العربي (٢٠٠) مليون نسمة واذا اخذنا نمو السكان بواقع ٣٪ فان عدد نفوس الوطن العربي اليوم في حدود (٢٤٢) مليون نسمة ويصبح عدد نفوس الوطن العربي عام (٢٠٠٠م) ٢٨٤ مليون نسمة أي عند عام (٢٠٠٠) تكون نسبة المواطنين في التعليم الابتدائي هي ٤٤د / ٢٨٤ = ١٦ ٪ وهي نسبة قليلة جداً كما تكون نسبة المواطنين في التعليم الثانوي والمهني عام (٢٠٠٠ م) هي ٢٣ / ٢٨٤ = ٨ ٪ وهي الأخرى نسبة ضئيلة جداً . . وحيث أن معظم هؤلاء لا يدخلون التعليم الجامعي لاسباب فنيه وعلمية ومادية ففي احسن الاحوال يدخل الجامعة حوالي ٦٠ ٪ من هؤلاء أي حوال ١٤ مليون أي ان ١٤ / ٢٨٤ = ٥٪ من نفوس الوطن العربي يحصلون على التعليم العالي عام (٢٠٠٠ م) وهي نسبة ضئيلة جداً اذا ماقورنت بالعالم المتقدم . . وتنسحب هذه النسبة الضئيلة على نسبة المؤهلين ذوي المؤهلات العالية التخصصية (الدراسة بعد الجامعية) حيث لا يمكن أن

تتجاوز ١٠ ٪ من خريجي الجامعات أي حوالي $\frac{١٤ \times ١٠}{١٠٠}$ = ٤ و ١ مليون

متخصص من مختلف الحقول والمعارف العلمية فاذا علمنا ان نسبة العلوم الاساسية والتطبيقية هي أقل من نسبة العلوم الانسانية عدديا فتصبح المعضله أكبر ، وحتى لو أعتبرنا ان ٥٠ ٪ من التخصصات علمية وأساسية وفنية وتطبيقية فأن هناك حوالي (٧٠٠٠٠٠) على مستوى الوطن العربي أي أن هناك

$$\frac{٧ و ٠}{٢٨٤} = \frac{٧}{٢٨٤٠} = ٢٥ و ٠ ٪$$

أي هناك (٢٥) عالماً لكل عشرة آلاف نسمة وهذا مؤشر إنحطاط وتخلف ... وتذكّر أن هذا لعام (٢٠٠٠) م ... ويتسم الوضع السكاني للوطن العربي بالايجابية على مستوى القوى العاملة ومعدل العمر فهناك ٤٥٪ من السكان في عمر ١٥ عاماً وهي قوة تطور وتقدم اذا ما أحسن استثمارها علمياً وفنياً من خلال الاعداد والتأهيل والتخصص . . كما تشير الدراسات الى ان هناك (عام ١٩٨٠) ٤٥ مليوناً معظمهم في حقل الزراعة ! ! فاذا أخذنا عام ١٩٨٠ لغرض المقارنة تشير دراسة قام بها الباحث العربي انطوان زحلان عام ١٩٨٥ قدمت الى ندوة السياسة التكنولوجية في الاقطار العربية الى أن عدد الخريجين في الوطن العربي يتضاعف كل ٢ر٥ سنة حيث ارتفع عدد الخريجين عام ١٩٨٠ الى ٤ر١ مليوناً وأن نسبة المتخرجين منهم في العلوم الاساسية والتطبيقية في حدود ٤٠٪، كما تؤكد هذه الاحصائية أن الجامعات العربية دربت حوالي (٦٠٠) ألف خريج في حقل العلوم الاساسية والتطبيقية بحلول عام ١٩٨٠ وأن ٥٠٪ منهم درسوا العلوم الاساسية والهندسية ، وإذا أخذنا الولايات المتحدة للمقارنة وهي حالة فريدة نجد ان عدد المهندسين والعلماء فيها عام ١٩٥٠ في حدود (٥٥٦٧٠٠) وصل الى ٧٠٠ر٥٩٤ر١ عام ١٩٧٠ أي بزيادة (٥٠٠٠٠) سنوياً ، ثم وصل عدد العلماء والمهندسين عام ١٩٨٠ إلى ثلاثة ملايين أي ضعف ما لدى الوطن العربي لنفس العام (١٩٨٠) ، من تحليل الارقام أعلاه نلاحظ أن عدد الخريجين في الوطن العربي تضاعف خلال عشر سنوات (١٩٧٠ — ١٩٨٠) وتقارب نسبة النمو هذه نسبة النمو في الولايات المتحدة حيث تضاعف عدد خريجي الجامعات الامريكية خلال عشر سنوات (١٩٧٠ — ١٩٨٠) أيضاً لكن اذا قورن وضع أمريكا العلمي والتقاني عام ١٩٥٠ ، حيث ان عدد العلماء والمهندسين الكلي في حدود (٥٥٦٧٠٠) ، مع وضع الوطن العربي ، حيث عدد العلماء والمهندسين الكلي في حدود (٧٦٠٠٠٠)

عام ١٩٧٠ ، أو الوضع العربي عام ١٩٨٠ حيث عدد المتخرجين من العلماء والمهندسين في حدود ٤ر١ مليون ، نجد أن البون الشاسع في مستوى التطور العلمي والتقاني كبيرٌ جداً . كما أن الناتج الاجمالي القومي لامريكا عام ١٩٥٠ بلغ ٢٨٥ مليار دولار أنفقت منه حوالي ٢ر٥ مليار دولار على البحث العلمي والتطوير عام ١٩٥٣ أي حوالي ٢٪ ، بينما بلغ الناتج القومي الاجمالي لاقطار الوطن العربي (٢٤٠) مليار دولار عام ١٩٨٠ وأن ما أنفق على البحث العلمي والتطوير عام ١٩٧٦ لايتجاوز ٣ر٠ مليار دولار ويمكن أن يقال انه لم يتجاوز ٥ر٠ مليار دولار عام ١٩٨٠ أي حوالى ٢و٠٪

أي حوالي $\frac{١}{١٠}$ مما أنفقته أمريكا عام ١٩٥٠ ، أن هذه الارقام توضح دور الدعم المادي للبحث العلمي والتطوير ، فعدد العلماء والمهندسين لا يعني شيئاً اذا ما بقي عدداً مجرداً ، فابداعاتهم وابتكاراتهم تنموا وتتطور في ظل مناخ علمي اساسه الواقع المادي المبني على دعم معنوي ومادي للعلماء والمهندسين أنفسهم وفق استراتيجية واضحة الاهداف والوسائل والاساليب الموصلة لتلك الاهداف ، وفي ظل سياسة علمية هادئة مستقرة لا بمعنى السكون وانما بمعنى التفاعل الواعي بين خطط ومراحل الاستراتيجية وبين العاملين على إنجازها في ظل مناخ علمي بناء يعطي للباحث العلمي حرية العمل والتفكير محترماً دوره من خلال احترام توظيف إختصاصه بعيداً عن التداخلات والملابسات والقفز الطفولي على كرامة العلماء والباحثين . .

إن العالم والمهندس كالشجرة المثمرة التي تعطى أمثل العطاء عند توافر التربة المناسبة والماء والمناخ المشجع والملائم لطبيعتها النفسية والانتاجية ، فاذا ما حشرت في مناخ غير ملائم لها فثمرها ناضب وربما تعقم وتذبل ثم تموت كذلك العالم والمهندس والمفكر بحاجة الى مناخ يطلق إبداعاته ويشده الى مهنته . . وهذا ما حدث في أمريكا واوربا حيث العلماء والمهندسون لهم مكانتهم في مجتمعهم على المستوى المادي والمعنوي وعلى مستوى القدرة على التعبير عن آرائهم من اجل الابداع والتطوير ، علاوة على دعمهم مادياً

دون تدخل بتفاصيل مهنتهم من قبل اناس لايدركون خصائص النفس البشرية بعامة وخصائص نفسية العلماء والمهندسين والمفكرين بخاصة . .

وأعتقد إن مشكلة الوطن العربي تتشابك او تتداخل فيها جميع ما ذكر من سلبيات أعلاه . . كما أن أمريكا عام ١٩٥٠ دولة موحدة أستثمرت جهود معظم العلماء المتميزين في العالم وخاصة من هاجر اليها من علماء كبار عام ١٩٤٠ ووضعت تحت تصرفهم اموالاً طائلة . . اما الوطن العربي فلا زال (حتى الآن) يعيش وضع التجزئة والتخلف وفي جميع المجالات ، كما يخضع لانظمة معظمها شبه عشائرية أو إقطاعية متخلفة ، لم ترع العلماء ولم تحترم دورهم . . . ولذلك فالكثير من علماء الوطن العربي ترك الى بلاد أوروبا وأمريكا بسبب الوضع السيئ الذي يعيشه الوطن العربي ، وتؤكد معظم الدراسات بشأن هجرة العلماء العرب على :

١ — عدم استقرار الوضع السياسي في الوطن العربي

٢ — عدم رعاية العلم والعلماء كما يجب بعيداً عن الدعاية الاعلامية والمحسوبية

٣ — ضعف الدعم المادي والمعنوي للعلماء .

٤ — ضعف الدعم المادي للتعليم العالي والبحث العلمي . .

٥ — عدم تقدير دور العلماء في بناء مجتمعاتهم حيث يرى هؤلاء العلماء أشباه العلماء والجهلة يضعون الخطط والسياسات العلمية الفاشلة وهم مجرد أدوات تلقّ لخطط وسياسات خاطئة يحشرون فيها حشراً .

إن ما تقدم هو خلاصة لواقع التعليم بشقيه العام والعالي وحال خريجيه ودورهم في بناء المجتمع العربي ونتنقل الأن الى وضع مؤسسات البحث العلمي والتطوير في الوطن العربي

كما هو معلوم تعد الجامعات المراكز الاساسية للبحث العلمي الا أنه بسبب دورها التعليمي أقتصر دورها البحثي بصورة خاصة على الدراسات العليا ، وفي العالم المتقدم تساهم الجامعات في حل الكثير من مشاكل المجتمع على المستوى الصناعي والأجتماعي والتربوي ، الا أنّ الجامعات في الدول النامية يكاد يقتصر دورها على التعليم بشقيه الأوّلى والدراسات العليا وأن دورها البحثي يتركز عادة على الدراسات العليا وقلما ترتبط تلك الموضوعات بمشاكل المجتمع الأساسية . . لذا فان هناك حاجة الى مراكز بحث علمي وتطوير . قد تكون مستقلة او ضمن مؤسسات أخرى . . . فعلى مستوى الوطن العربي هناك انواع متوعـة من صيـغ مراكز البحث العلمي والتطوير ، فقد تكون بصيغة مجالس بحث تمول البحوث داخل المؤسسات وتضع خطط البحث العلمي او تكون مجالس تتبعها مراكز بحوث متخصصة في مجالات علمية وهندسية وزراعية . . الخ وقد تكون مراكز بحوث مستقلة أو مراكز بحوث نوعية داخل مؤسسات صناعية أو زراعية وتشير الاحصائيات لعام ١٩٨٦ أن هناك في حدود (٢٠٠) مركز بحث علمي على امتداد الوطن العربي واذا ما اضفنا لذلك الجامعات والكليات المستقلة والمعاهد فيكون عدد المراكز التي تمارس البحث العلمي بدرجات متفاوتة بحدود (٤٤٠) واذا اخذنا احصائية عام ١٩٨٦ حيث هناك حوالي(٢٠٠) مليون مواطن عربي أصبح حوالي ٢٤٢ مليون مواطن عربي عام ١٩٩٣ على اساس معدل النمو السكاني يساوي ٣٪ . . أي أن

هناك $\frac{٤٤٠}{٢٤٢}$ = ٢ جامعة ومركز تقريباً لكل مليون مواطن . . . يقابل ذلك في فلسطين المحتلة هناك ٢٤ جامعة ومركز لكل مليون مواطن

والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو دور هذه المراكز البحثية في تنمية المجتمعات العربية ؟ أن الجواب على ذلك بدقة يتطلب اطلاع واسع على ما تقوم به هذه المراكز من دراسات وبحوث تتعلق بتطوير قدرات المجتمع على النمو والتقدم . . . إن المؤتمرات والندوات العلمية المتعلقة بالبحث العلمي والتقاني على مستوى الوطن العربي تؤكد على :

١ – ضعف الدعم المادي للبحث العلمي حيث لم يتجاوز (٢و٠–٥و٠)٪ من إجمالي الدخل القومي مقارنة بـ (٢ – ٣) ٪ في دول أوربا وأمريكا والكيان الصهيوني . .

٢ – ضعف إنتاجية الباحث العربي حيث لم تتجاوز ٥و٠٪ في أفضل الأحوال كمعدل . .

٣ – ضعف العلاقة ، عموماً ، بين موضوع البحث العلمي ومشاكل المجتمع التنموية .

٤ – ضعف الرابطة بين نتائج البحث العلمي والمجالات المناسبة لتطبيقها وذلك بسبب فقدان المؤسسات المنسقة بين مراكز البحوث والمؤسسات المناسبة للتطبيق . .

٥ – مرة أخرى فقدان مرتكزات المناخ العلمي المناسب والمشجع للباحث العلمي سواء على مستوى الدعم المادي ام على مستوى الدعم المعنوي علاوة على إحترام حريته في الابداع والابتكار .

٦ – ضياع معايير وضع الشخص المناسب في المكان المناسب

ج ـ نتائـــج البحـث العلمـي ودورهــا في التنميــة الاجتماعيــة .

يؤدي البحث العلمي المبرمج وفق أهداف ووسائل تحقيق للاهداف واضحة دوراً أساسياً وعظيماً في بناء المجتمع بناءً قوياً يرتكز على دعائم علمية وتقانية رصينة تغذيه دائماً باسباب النمو والتقدم والانطلاق . . وأن ما عليه بعض دول العالم المتقدم من تطور وازدهار حضاري أنما يعود الفضل فيه في الواقع الى ما أفرزه البحث العلمي على المستوين الاكاديمي والتقاني (التكنولوجي) من نتائج سخرت وفق منهجية علمية لخدمة التنميـــة الاجتماعية بأبعادها المتنوعة ، إلا أنّ هذا التسخير لايتم بصورة عفويـــة أو تلقائية ، بل يتم بالتنسيق بين مؤسسات البحث العلمي ومؤسسات الانتاج القومي أو الوطني . . وتحكم عادة عملية التنسيق هذه ضوابـــط وصيغ تعود بالفائدة على الطرفين البحثي والانتاجي ويمكن ذكر الاطـــار العام الذي ينظم تلك الضوابط والصيغ وبايجاز في الآتي :

١ ـ إيجاد علاقة تنسيقية بين مؤسسات البحث العلمي ومؤسسات الانتاج الوطني أو القومي من خلال لجان خاصة أو من خلال التمثيـــل المتبادل في المجالس العلمية والادارية لتلك المؤسسات .

٢ ـ مسح المشكلات الانتاجية سواء على مستوى الانتاج القائم أو على مستوى تطويره وتنويعه وتحسينه وزيادة الانتاجية .

٣ ـ عرض تلك المشكلات على مؤسسات البحث العلمي والتقاني لدراستها ومن ثم اخضاعها لاجراءات الدراســـة العلمية والبحث العلمي للتوصل الى نتائج تساهم في حل بعض المشكلات الانتاجية ...

٤ ـ مسح نتائج البحث العلمي والتقاني ودراستها من قبل لجان مشتركة من قبل مؤسسات البحث ومؤسسات الانتاج لاخضاع هذه النتائج الى عملية لتحديد التطبيق والمتابعة حتى آخر مراحل التطبيق في مجالات الافادة منهـــا او العودة للبحث العلمي في ضوء ما سيفرزه تطبيق هذه النتائج من بيانات وملاحظات سواء على المستوى الايجابي أم على المستوى السلبي . .

٥ ـ إيجاد قاعدة قانونية تنظم صيغ التعاون بين مؤسسات البحث العلمي

والتقاني ومؤسسات الانتاج ، كقاعدة العقود التي تحدد حقوق وواجبات كل مؤسسة تجاه الأخرى . .

تحدد إستراتيجية تطوير العلوم والتقانة في الوطن العربي المعدة من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قطاعات المؤسسات الانتاجية في الآتي :

أ ـ قطاع الصناعة ويشمل :

١ ـ الالكترونيات والمعلوميات والإتصالات .
٢ ـ الصناعة الكيميائية .
٣ ـ صناعة التعدين والمواد .
٤ ـ صناعة الآلات الميكانيكية والكهربائية والزراعية والغذائية (صناعات هندسية) .
٥ ـ صناعة الطاقة .

ب ـ قطاع الأمن القومي والصناعات الحربية .

ج ـ قطاع الزراعة والأمن الغذائي القومي .

د ـ قطاع الخدمات الاجتماعية ويشمل :

١ ـ النقل
٢ ـ التشييد (البناء)
٣ ـ الصحة
٤ ـ التربية
٥ ـ البيئة

هـ ـ قطاعات الانشطة الاجتماعية وتشمل :

١ ـ التنمية الاجتماعية
٢ ـ الاقتصاد والادارة
٣ ـ التنمية الثقافية

وتشير الدراسات الحديثة حول واقع العلم والتقانة في الوطن العربي الى أن عدد الباحثين من المواطنين العرب في مؤسسات البحث العلمي والتقاني خارج الجامعات العاملين في حقل الزراعة والموارد المائية بحدود (٣٩٦٠) منهم ١٨١٦ من حملة الدكتوراه و ٢١٤٤ من حملة الماجستير ويمثلون ٥ر٥٥٪ من إجمالي العاملين في حقل الزراعة والموارد المائية والصحة والبيئة والطاقة والصناعات والعلوم النظرية والتطبيقية. والذين يحملون (٧١٢٨) منهم (٣٤٥٨) حملة دكتوراه و (٣٦٧٠) من حملة الماجستير. والجدول (١) يبين ذلك

حقل التخصص	دكتوراه	ماجستير	المجموع	٪
١ـ الزراعة والموارد المائية	١٨١٦	٢١٤٤	٣٩٦٠	٥ر٥٥٪
٢ـ الصحة والبيئة	٠٢٤٤	٠٣٥٤	٠٥٩٨	٤ر٨٪
٣ـ الطاقة والصناعات	٠٥٩٥	٠٥٩٢	١١٨٧	٧ر١٦٪
٤ـ العلوم النظرية والتطبيقية	٠٨٠٣	٠٥٨٠	١٣٨٣	٤ر١٩٪
الاجمالي	٣٩٨٥	٣٦٧٠	٧١٢٨	١٠٠٪

جدول (١) يوضح توزيع الاطارات العلمية على قطاعات الانتاج والبحث العلمي .

كما سبق أن ذكر أن الوطن العربي أجمالاً أفضل من الولايات المتحدة الامريكية من حيث عدد العلماء والمهندسين من خريجي الجامعات اذا ما أخذ هذا العدد مجرداً وذلك عام (١٩٨٠) مقارنة بامريكا عام (١٩٥٠) .. لكن واقع الوطن العربي على مستوى التقدم العلمي والتقاني بخاصة والحضاري بعامة بعيداً الى الخلف عما هو عليه الوضع في أمريكا عام (١٩٥٠). : واذا اردنا أن نقارن وضع الوطن العربي مع الصين (كبلد نام نسبة الى امريكا واوربا) فالصين دربت خلال المرحلة الممتدة بين ١٩٥٠ و ١٩٦٠ (١٠٥٠٠) خريجاً ، في اختصاصات الكليات العلمية (١٣٠٠) وفي مجال

المعلمين (١٢٠٠) و (٥٥٠٠) من طلبة الجامعات و ٢٥٠٠ من طلبة الدراسات العليا ، كما دربت (٨٠٠٠) فني و (٢٠٫٠٠٠) عامل في مؤسسات الاتحاد السوفيتي سابقاً ، وتعد هذه الاعداد قليلة جداً اذا ما قورنت بمثيلاتها في الوطن العربي في تلك المرحلة ، الا أنه واضح جداً أن مستوى التطور العلمي والتقاني يتقدم كثيراً على ما هو عليه في الوطن العربي عام ١٩٨٠ . . لذا نعود لتؤكد القول أن تجزئة الامة وتخلفها على مستوى المؤسسات والانظمة هو اساس المشكلة . . لذا فتقويم الوضع العربي ضرورة ملحة لتجاوز ما هو عليه من تخلف فاضح ، لانه ليس مهماً أن تكون هنا او هناك نتوءات من التطور العلمي والتقاني على مستوى الوطن العربي بدون تعاون وتكامل قومي حقيقي في هذا المجال ، لان امكانات أي قطر عربي على المستويين المادي والبشري لاترقى إلى مستوى التحدي العلمي والتقاني والإنتاجي السائد عالميا الآن . . .

*

الفصل الثاني : الواقع النامي على المستوى العلمي والمستوى التقاني .

إن الحديث عن واقع العلم والتقانة عالمياً ليس بحاجة الى مصادر تؤكد القول لأنه واقع بيّنٌ وملموس يومياً ويمس حياة المواطنين ويداعب عواطفهم ومشاغلهم اليومية ، ونحن هنا نقصد الجزء المتقدم والمتطور عالمياً اما الجزء النامي من العالم فنحن منه بالاطار العام مع وجوب الاعتراف بان عدداً من دول العالم النامي هي الأخرى تسبق الوطن العربي وتتقدم عليه في حقلي العلوم والتقانة وكذلك في مجال الانتاج الصناعي .

فاذا أخذنا الجانب المتقدم من العالم حيث التطور الهائل في قدراته العلمية والتقانية والانتاجية ، فاننا نجمل أبرز حلقات هذا التقدم والتطور في الآتي :

١ – الانتاجية الهائلة من البحث العلمي والتقاني وفي جميع المجالات التي تمس المجتمع .

٢ – الانتاجية الكبيرة جداً في الصناعة والزراعة والطاقة .

٣ – الثورة الكبيرة في المعلومات والتقنيات المعلوماتية .

٤ – ثورة تقانية هائلة وعلى جميع مستويات التعامل الحياتي والاجتماعي . .

٥ – ثورة كبيرة في حقل الاتصالات الفضائية واكتشافات الفضاء .

٦ – ثورة عظيمة في حقل الحاسبات بعامة والحاسبات العملاقة بخاصة . .

وقد تم ويتم ذلك نتيجة عمل دؤوب ومخطط سبقه وضع يلخص بالآتي :

١ – نظم علمية وتربوية تعتمد التخطيط وفق استراتيجيات قصيرة المدى وبعيدة المدى تقوّم وفق منهجية علمية بعيداً عن الاعتباط .

٢ – إهتمام مادي ومعنوي بالمؤسسات العلمية والتربوية حيث صرفت مبالغ طائلة قد تبدو نوعاً من الهدر بالنسبة لذوي العقول الضيقة الأفق والقليلة الصبر والطارئة على العلم .

٣ ـ التركيز على تطوير الاطارات العلمية المتخصصة ودعمها مادياً ومعنوياً والاستفادة من علماء الدول النامية المهاجرين بسبب سوء نظم بلادهم وسوء حالتهم المادية والاجتماعية.

٤ ـ التركيز على أيّ اكتشاف علمي وملاحقة تطبيقاته الى آخر شوط للحصول على خط مضاف الى خطوط التطور التقاني الموجودة.

٥ ـ وضع تخصيصات مالية ضخمة للبحث والتطوير

ومن الامثلة على اهتمام العالم المتقدم بالبحث والتطوير وملاحقة أيّ أكتشاف علمي مهما بدى بسيطاً لأول وهلة نذكر الحالات الآتية على سبيل المثال لا الحصر: ــ

١ ـ اكتشاف نيوتن لقوانين الميكانيك التقليدي استثمرت في تطوير الصناعات الميكانيكية في القرن السابع عشر

٢ ـ اكتشاف آينشتاين للنظرية النسبية الخاصة والعامة استثمر في تطوير قدرات الانسان الآنية لغزو الفضاء

٣ ـ أكتشاف الكهرباء وقوة البخار استثمرت في انتاج الطاقة

٤ ـ أكتشاف الترانسزتر (النيقل) أستثمر في تطوير الصناعات الالكترونية الدقيقة وساهم في ثورة الاتصالات وفي الحاسبات.

٥ ـ أكتشاف النظائر المشعة وتصنيعها ساهم في تطوير القدرات الصحية التشخيصية والعلاجية حيث استثمر استثماراً مركزاً وخاصة بعد بناء المفاعلات النووية وانتاج مصادر اشعاعية حسب حاجة الاستخدام..

٦ ـ أكتشاف الاشعاع والنظائر المشعة وتصنيع ذلك أستثمر باتجاه تطوير الزراعة والثروة الحيوانية وذلك على مستوى الوقاية وزيادة الانتاجية ومقاومة الظروف القاسية

٧ – اكتشاف الانشطار النووي عام ١٩٣٩ أستثمر استثماراً هائلاً وصرفت عليه مبالغ طائلة من اجل استغلال الطاقة الهائلة المتحررة عن انشطار نواة اليورانيوم ٢٣٥ مثلاً وإستخدام هذه الطاقة الآن سلمياً وحربياً . .

٨ – ادى اكتشاف الأنشطار النووي الى اختراع المفاعل النووي كوسيلة تقانية السيطرة على الطاقة النووية المتحررة عن الانشطار وتوجيهها نحو التطبيقات السلمية . .

٩ – اكتشاف الاندماج النووى جعل العالم في سباق كبير من أجل التوصل الى استثمار الطاقة المتحررة عنه حيث لازال العمل قائماً تصرف مليارات الدولارات الآن من اجل ذلك .. لانه يمثل مصدر الطاقة الذي لا ينضب اذا ما وضع في حالة الاستغلال العملي والاقتصادي . .

هذه بعض الأمثلة وهناك العشرات في مجال الصحة ومجال الحياة كالهندسة الوراثية والتقانة الحيوية . . وبذكرها أردنا أن نجلب الانتباه الى :

١ – إن العمل العلمي والتقاني بحاجه ماسة الى العقلية النظيفة المتوازنة المدركة والملمة بحقائق تاريخ تطور العلم والتقانة وتفتش بهدوء عن أفضل الوسائل لذلك بعيداً عن الأعلامية غير الهادئة .

٢ – إن العمل العلمي والتقاني بحاجة الى مؤسسات وطنية ومستقرة تعمل وفق إستراتيجيات وخطط تقوّم في ضوء مراحل إنتاجية خاضعة لمعايير تعتمد المنهج العلمي في المعايرة والقياس وتعتمد الدراسات الميدانية لغرض التقويم والانطلاق نحو المرحلة التالية بعيداً عن القفز المزاجي والتشبث الواهي بالعامية .

٣ – وضع ميزانيات مجزية وفي مرحلة تبدو ضخمة مقارنة بالميزانية العامة ، ولا يمثل ذلك هدْراً ، لان مردود النتائج الايجابية للبحث العلمي والتطوير سيكون عظيماً مستقبلاً . .

٤ ــ خلق المناخ العلمي والسياسي والنفسي الجيد للعلماء والباحثين واحترام قدراتهم العلمية والابتعاد عن التلاعب بعواطفهم وضعفهم المادي وإنما جعلهم في حال لا يستوجب منهم ازدواج في الشخصية والمواقف تجاه ما يرونه صحيحاً ويصب في مصلحة الامة العليا وذلك بإيجاد وضع مادي ومعنوي لهم يشجعهم على قول ما يجب قوله دون وجل . فالعالم يجب أن يكون صادقاً في عمله وصادقاً مع المسؤول . .

إن الحديث عن العلم والتقانة ومسألة الأمن القومي يتطلب تحديد المقصود بالأمن القومي . . ما هو ؟ وما هي مقوماته ؟ ثم كيف يتحقق ؟ وكيف يرتبط بالعلم والتقانة ؟ وما هي مقومات العمل الواجب اداؤه من أجل تحقيق ذلك ؟ وفي الآتي سنتطرق بايجاز الى كل سؤال محاولين طرح إقتراح إجابة لأن الموضوع يتحمل أكثر من وجهة نظر عند التفاصيل ، مع ملاحظة ان الاختلاف في وجهات النظر لا يتعدى الطرق والوسائل التي تتبع مع وجوب إعتماد المنهجية العلمية في تحديد تلك الطرق والوسائل وليس الموقع السلطوي المتسم بالفوقية .. أو الرغبة في أرضاء قوى السلطة على حساب الحقائق أو على حساب المصلحة العليا للامة لانه مع الاسف يسود الوطن العربي بعض الانظمة التي لا ترى الا ما يعجبها أو يحقق طموحاتها الشخصية ، وفي كثير من الاحيان أن ذلك يتعارض مع المصلحة العليا الامة ... أو تخضع لسياسات دولية تتعارض وطموحات الامة المشروعة . . .

إن الأمن القومي بمفهومه العام يعني أن الامة تمتلك مستلزمات بناء الارادة المستقلة والرأى المستقل على مستوى التعامل مع الأمم الأخرى ، والدور الفاعل ، المؤثر بحرية والمتأثر بطوعية ، في بناء الحضارة الانسانية ، ولها القدرة على بناء مقومات القدرة الدفاعية وبفعالية للدفاع عن كيانها وقرارها المستقل في الشؤون الدولية . . فما هي تلك المستلزمات ؟

إن المستلزمات تلك تتلخص بالآتي :

١ ــ الأمن الغذائي أي إنتاج المواد الغذائية وتطوير وسائل حفظها ونقلها باتجاه الاكتفاء الذاتي في الأقل .

٢ ــ الأمن المائي أى تنظيم الثروة المائية قومياً وتحديد كمياتها وتطوير وسائل إنتاجها واكتشاف إحتياطيها . . .

٣ ـ الأمن الانتاجي أي محاولة حصول الاكتفاء الذاتي بنسبة مقبولة لانتاج السلع الضرورية للمواطن العربي . .

٤ ـ الأمن الطاقي أي إنتاج الطاقة من مصادرها المتنوعة مع كامل التنسيق في ذلك على مستوى الوطن العربي .

٥ ـ الأمن الصحي أي توفير مناخ صحي من أجل مواطن عربي ذي عقلية سليمة .

٦ ـ الأمن الدفاعي أي بناء مقومات ومستلزمات القدرة الدفاعية عن الوطن العربي ضد التدخل الاجنبي ، والحفاظ على قرار الامة المستقل .

هذه مقومات الأمن القومي الحقيقي فكيف تُحقق تلك المقومات ؟

لا جدال أن مستلزمات تحقيق ذلك تتلخص في نقطتين اساسيتين هما :

١ ـ إرادة قومية حقيقية

٢ ـ اعتماد العلم والتقانة إعتماداً حقيقياً .

وتتحقق الارادة القومية بارادة الشعب العربي أو بارادة قادة الامة المعبرين عن ارادة الشعب العربي كل في وطنه وعلى مستوى الامة بعيداً عن التدخل الاجنبي وتآمره . . وهذا فقط يتم عند توافر أنظمة عربية تمثل حقاً ارادة الشعب دون تسلط او تزييف . . فالارادة القومية لا تمثلها تشكيلات وليدة ارادات أجنبية أو ارادات مزيفة بل تبنى الارادة القومية برغبة الشعب العربي في الدفاع عن وجوده ومصلحته بوعيه وإدراكه . وهذه مسألة أساسية ومهمة وخطوة أولى باتجاه بناء الأمن القومي . . كما أن الأمن القومي هو حصيلة الأمن القطري ليس بالجمع وانما بالتفاعل النمي والبناء . . فهل ذلك قابل للتحقق ؟ إن الاجابة على هذا السؤال يجب أن تكون موضوعية لا عاطفية لذا فأن وضعاً كالذي نعيشه الآن لا يمثل الارضية الصحية والسليمة لنمو ارادة قومية حقيقية وأن أسباب ذلك غير

خافية على أحد . . لكن يجب أن لا يضعنا ذلك تحت وطأة الاحباط واليأس انما علينا أن نخلق الارضية الصالحة مستفيدين من تجربة الماضي ومما نحن فيه الان .. هذه ليست دعوة للتعايش مع انظمة عربية خانت الامة وتآمرت عليها يوم تعاونت مع الاجنبي لقتل أول تجربة عربية رائدة على مستوى التقدم العلمي والعمراني مع ملاحظة أن عظم الاهداف وحجم الخطط والايمان القومي العالي لا يخلو من حدوث بعض السلبيات عند محاولة التطبيق ، والمهم أن تتم الاستفادة من ذلك ، ومن لا يعمل لا يخطئ . أي مطلوب اكتشاف صيغ ووسائل جديدة من أجل بناء ارادة عربية سداها صدق الانظمة ولحمتها ارادة الشعب العربي . . . . وعند تحقق مثل تلك الارادة يأتي دور العلم والتقانة بابعاده القومية الملتحمة بقنواته القطرية تفاعلياً نوعياً لا جمعاً كمياً . . . فكيف يصار الى بناء قاعدة علمية وتقانية قومية تأخذ في حسباتها تحقق الأمن القومي ؟ هذا ما نتحدث عنه في الفقرة الآتية :

٢ ـ العلم والتقانة والأمن القومي .

كما سبق أن وضحنا في فقرات سابقة من الفصل الثاني أن للعلم والتقانة دوراً مهماً وأساسياً في بناء المجتمعات حضارياً ، وأن الأمم المتقدمة حضارياً الآن أدركت ذلك منذ عدة قرون (حوالي ٤٠٠ عام) ، ورغم أن هذه الأمم وبخاصة أوربا نقلت العلوم والمعارف من أمم أخرى على رأسها امتنا العربية المجيدة الا أنها لم تقف عند مستوى العلوم والمعارف آنذاك بل درست وهضمت تلك العلوم والمعارف واضافت لها ثم نمتها وأنبتتها في أرضها وصرفت جهداً مادياً ومعنوياً وجابهت كل مقاومات الافكار المناهضة للحركة العلمية ، مما ساعدها على بناء فكر علمي ومهارة تقانية نقلتها من عصر الظلمات الى عصر النور العالي في تقدمه وتطوره العلمي والتقاني . . وبعد أن تطورت هذه الأمم بدأت تتبع الخطط والاستراتيجيات القصيرة المدى والبعيدة المدى لنشاطها العلمي والتقاني وتربط ذلك بخططها القومية التنموية . . .

لذا فاننا بحاجة الآن ، كي نخطو خطوات متوازنة ومتسقة ، الى وضع إستراتيجية وطنية وقومية من أجل نقل العلوم والتقانات وتوطينها وإنباتها وفق مستلزمات وحاجات الأمة المتنوعة وصولاً الى الأمن القومي بما في ذلك الأمن العلمي والتقاني ، أي بناء حالة علمية وتقانية للامة تجعلها في وضع يفرض على الأمم الأخرى الرغبة في التعاون العلمي والتقاني مع الامة العربية وذلك من خلال مستوى تقدمها في هذا المجال أي خلق حالة التكافؤ في التعامل وترك حالة الإستجداء والعطف كما هو حالها الآن . . . فما هي المؤشرات الاساسية لتلك الاستراتيجية وما هي مستلزمات نجاحها وما هي أولوياتها ووسائل تحقيق أهدافها ومـا هي تلك الاهداف ؟ وقبل أن نحـدد الاجابـة على ذلك لابد من الاشارة الى مفهوم نقل العلوم والتقانة كما تحدده بعض الدراسات

١ ــ تدفق المعلومات العلمية والتقانية ثم استخدامها في بعض الاغراض وتجريبها ثم أعادة تقريمها واجراء التعديل عليها بقصد العودة الى استخدامها
٢ ــ نقل التقانة المتوافرة والناضجة بصورة معدّلة وفقاً لاحتياجات محددة
٣ ــ نقل التقانة خلال قنوات فعّالة وفق مضمون محدد يأخذ في الحسبان الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية مع إعتماد اسلوب أكثر فعّالية على درجة وإتجاه إستخدامها وأثرها على التنمية .

٤ ــ يضاف الى ما تقدم توافر القدرة الوطنية على إختيار التقانة الاكثر ملاءمة للقدرات الوطنية على الاستيعاب والتوظيف مرحلياً .

أما المؤشرات الاساسية لاستراتيجية عربية لنقل العلوم والتقانة ومن ثم بناء قاعدة علمية وتقانية تُعتمدُ للنهوض بالامة حضارياً على المستوى العالمي فتتلخص بالآتي :

أ ـ نظــم تعليمية وتربوية تتسم بما يلي : ـ

١ ــ القدرة على بناء الانسان العربي عاميا وتقانيا

٢ ــ ويتم ذلك بالإهتمام بتدريس العلوم من خلال الاهتمام في اعداد التدريسي اعداداً علمياً وتربوياً .

٣ ــ اعتماد وسائل التقانات التربوية الحديثة عند التدريس لتسهيل مهمة توضيح الموضوع للطلبة .

٤ ــ إعتماد الاجهزة العلمية كجزء مهم وحيوي في عملية تدريس العلوم وتوضيحها الأمر الذي يتطلب الاهتمام والاعتناء بها .

٥ ــ الاهمام بالتوعية العلمية لاعطاء العلم والتقانة أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وتأثيرهما على بناء الحضارة الانسانية .

٦ ــ الاهتمام بدور العناصر الفنية من خلال دعمهم مادياً واجتماعياً وإعتبار دورهم بمستوى دور التدريسي . .

٧ ــ توسيع باب التعليم العالي لاعطاء الفرصة للمواطنين العرب لبناء ذواتهم علمياً وتقانياً وذلك بالاكثار من الجامعات والمعاهد التعلمية العالية على أن يتم ذلك وفق خطط مدروسة على مستوى تهيئة مستلزماتها التدريسية ووسائل التدريس من مبانٍ ومختبرات . .

٨ ــ إعتماد برامج تعليمية علمية وتقانية عصرية في موادها التعليمية وفي طرق تدريس تلك المواد . .

ب ــ تنميــة تقانيــة متينة .

إن التنمية التقانية تعتمد على

١ ــ العناصر البشرية المستوعبة بعمق لمكونات العملية التقانية العلمية والتقنية والمدركة لعناصر تقويم واختيار التقانة المناسبة لحاجات المجتمع الآنيــة والقادرة على تطوير التقانة المختارة وتنميتها وأنباتها كماً ونوعاً لمجابهــة حاجات المجتمع المستقبلية .

٢ — تطبيق إقتصادي للمعرفة التقانية المتنامية من خلال بناء وتنمية قاعدة صناعية إنتاجية في المجتمع على اسس متوازنة .

٣ — البحث والتطوير حيث ترفد الاكتشافات الجديدة المجتمع بمعارف ومهارات قابلة للتحويل أو يمكن تحويلها الى اساليب إنتاج بعد إخضاعها إلى مجموعة واسعة من الانشطة التقانية والتنظيمية والانتاجية .

٤ — التعليم والتدريب والتأهيل باستمرار لتكوين المهارات للوصول الى الاستخدام الامثل للقدرات البشرية .

٥ — التخطيط العلمي لاساليب نقل التقانة وتحديد الاولوية لنوع التقانة وفق حاجة المجتمع مرحلياً ومستقبلاً .

٦ — دعم مؤسسات البحث العلمي ومؤسسات التعليم العالي واجهزة البحث والتطوير فيها وتوفير المناخات العلمية والمادية للعاملين فيها مع توفير مستلزمات العمل . . .

٧ — الانفتاح على المؤسسات والمعاهد العلمية والبحثية المتقدمة المماثلة في العالم المتقدم من خلال أتفاقيات ثنائية لتبادل الخبرة والمشاركة ببحوث وتبادل العلماء والباحثين لمدد تحدد بعقود .

٨ — تطوير اساليب وطرق ووسائل تكوين القوى البشرية العلمية ورفع مستواها المعرفي والمهني (تعميق المعرفة والمهارة) بما يساعد على إستيعاب وتوطين التقانة الحديثة وتطويرها بما ينسجم وحاجات المجتمع الآنية والمستقبلية .

٩ — تشجيع إنشاء بيوت الخبرة والاستشارة على المستويين القطري والقومي وإيجاد المناخات التنافسية الحرة البناءة .

١٠ — بناء قواعد وطنية وقومية للمعلومات باعتماد النظم الحديثة لرفد للمؤسسات البحثية والانتاجية وبيوت الخبرة والاستشارة بالمعلومات الضرورية والاساسية عند الحاجة .

١١ – وضع تشريعات خاصة بعملية نقل التقانة للاستفادة من تنفيذ عقود المشاريع مع الشركات الاجنبية المالكة للتقانة .

١٢ – ربط أنشطة مؤسسات العلم والتقانة بالمؤسسات الانتاجية وإيجاد مساهمة تبادلية بينهما في عملية التخطيط على مستوى العلم والتقانة وعلى مستوى الانتاج .

١٣ – تطوير وتوسيع قاعدة النشر العلمي والتقاني للجماهير وإعطاء أهمية خاصة لتعريب العلوم وترجمة مصادر العلوم الاجنبية عن طريق بناء دور للترجمة ودعم ما هو قائم منها .

١٤ – دعم إصدار الدوريات العلمية الوطنية والقومية والاكثار منها

١٥ – دعم وتشجيع الجمعيات العلمية والمهنية الوطنية والقومية . .

جـ – منطلقات اساسية واضحة .

كما أن أي استراتيجية عربية لنقل العلوم والتقانة يؤشرها ويحدد ملامح أبعادها طبيعة النظم التعليمية والتربوية القطرية والقومية والاطار الاساسي لعملية التنمية التقانية ، فأن تحديد منطلقاتها القومية تعد من أهم مؤشراتها ، فما هي تلك المنطلقات الاساسية؟ وما هي المسلمات الاساسية لتلك المنطلقات ؟ ان الدراسات في هذا المجال تحدد هذه المسلمات بالآتي :

١ – إن الوطن العربي وحدة متكاملة على المستويين البشري والاقتصادي

٢ – إن تجزئة الوطن العربي حالة غير طبيعية لا تنسجم ورغبة الشعب العربي في توحيد جهود الامة العلمية والتقانية ولا تنسجم مع رغبته في التكامل الاقتصادي والسياسي والدفاعي

٣ – إن حق الامة العربية في العلم والتقانة معرفة واستخداماً حق مقدس لا يجوز التهاون في مسه سلباً ، لانه يرتقي الى حقها في الحياة وفي التقدم والتطور شأنها شأن بقية أمم العالم .

٤ ـ إن صراع الامة مع أعدائها صراع حضاري قوامه القـدرة العلمية والتقانية . .

٥ ـ إن البعد الحضاري في عمق تاريخ الامة عامل محفز للامة لاعادة دورها الحضاري الانساني

ولكي تنطلق الاستراتيجية وفقاً لما تقدم لا بدّ أن تحدد أهدافهـا العامة واهدافها الخاصة فما هي تلك الاهداف ؟ أنها :

أ ـ الأهـداف العامـة :

يمكن إيجاز الاهداف العامة للاستراتيجية في بناء مجتمع عربي على مستوى الوطن العربي يتسم بالتقدم وبالتطور والازدهار وبانسان عالـي البناء العلمي والتقاني والثقافي المالك لحريته في التفكير والابداع والابتكار ، وبقيمه السامية العقيدية الضابطة للسلوك العام من أجل إنسانية ملتزمة تجـاه رب السموات والأرض من خلال عملها لدنياها ولآخرتها في الآن نفسة . . أي بناء أمة عربية عصرية في حضارتها فاعلة في بناء الحضارة الانسانية في ضوء رسالتها الخالدة ، خلاصة تفاعل رسالة السماء للعرب وللعالم مع رسالة العرب المبتدئة برسالة أبيهم إبراهيم عليه السلام .

ب ـ الاهداف الخاصـة :

أما الاهداف الخاصة للاستراتيجية فيمكن إيجازها بالآتي :

١ ـ بناء مرتكزات علمية وتقانية باتجاه بناء قاعدة علمية وتقانية قطرية وقوميـة .

٢ ـ تغذية المجتمع العربي بالمعارف العلمية والمهارات التقانية بقصد بناء الفكر العربي علمياً وتقانياً .

٣ ـ تكوين الانسان العربي تكويناً علمياً وتقانياً كونه الاداة الاساسية لعملية التغيير الاجتماعي والاقتصادي ولعملية التطوير العلمي والتقاني في المجتمع العربي

٤ ــ خلق وضع علمي وتقاني عربي يرفع مستوى التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية .

٥ ــ إتاحة الفرصة للامة العربية بعامة ولاقطارها بخاصة للمساهمة في بناء صرح الحضارة الانسانية حاضراً ومستقبلاً من خلال ذاتيتها العلمية والتقانيــة .

٦ ــ إقامة مراكز علمية وتقانية قومية ترفد الأقطار العربية بالبحوث والدراسات لمشاريع وبرامج علمية عربية مشتركة ولتأهيل وتطوير القوى البشرية العلمية والتقانية العربية .

إن إستراتيجية عربية لنقل العلوم والتقانة الى الوطن العربي بالاهــداف والمؤشرات والمنطلقات المشار إليها أعلاه لا بد أن تتطلب وسائل وصيــغ للتنفيذ ، كما أنها بحاجة الى تحديد أولويات كي تكون عملية التطبيق وواقعية التنفيذ . كما أن طموحات أية استراتيجية تحدد عادة بعناصر أساسية تلعب دوراً مهماً في إنطلاقة سير تنفيذها ، فما هي تلك العناصــر بالنسبة للاستراتيجية العربية ؟ أنها :

١ ــ الموارد المادية المتاحة

٢ ــ الموارد البشرية المتاحة والمستوى العلمي والتقاني المطلوب .

٣ ــ الحاجة الملحة للتنمية العلمية والتقانية

٤ ــ الارادة القومية ومستوى الايمان بالعمل العلمي والتقاني وطنياً وقومياً . .

٥ ــ وضوح الرؤية لخطط التنمية الوطنية والقومية على مستوى المستقبل القريب (٥ سنوات) والمستوى المستقبلي المتوسط (٥ ــ ٢٠ سنة) والمستوى المستقبلي البعيد غير المنظور (لاكثر من ٥٠ سنة) وهذه تتطلب توافر معلومات وإحصائيات دقيقة لا تتوافر الآن في الوطن العربي بعامة . . وهذا ما يؤكد ضرورة إعتماد منهج الدراسات المستقبلية في خططنا الوطنية والقومية .

إن أولويات الاستراتيجية تتحدد عادة وفقاً لمستوى توافر تلك العناصر .
إلا أن الحاجة الآنية الملحة للامة العربية تفرض أن اولويات تلك الاستراتيجة الآنية تتلخص بعناصر بناء الأمن القومي السالفة الذكر (ص٢١٦ و٢١٧) والموجزة في : —

١ — الأمن الغذائي . (٢) — الأمن الانتاجي . (٣) — الأمن الطاقي .
(٤) — الأمن الصحي (٥) — الأمن المائي (٦) — الأمن الدفاعي .

أي أن أية استراتيجية عربية للعلوم والتقانة يجب أن تحدد مراحل عملها ابتداءً بتلك الاولويات وفق برامج محددة وواضحة تعتمد صيغ ووسائل تنفيذ إجرائية وعملية . . وفي الفقرات التالية سنوجز برنامج كل واحدة من الأولويات أعلاه .

البرنامج

يتطلب تحقيق اهداف الاستراتيجية في ضوء اولوياتها المحددة أو المعتمدة صياغة برامج تتولى المؤسسات القطرية والقومية تنفيذها وفق صيغ تعاون وتكامل بينها . . أما البرامج بايجاز فهي :

١ — البرامج والانشطة ذوات العلاقة بالامن الغـذائي :

يمكن أن تتضمن البرامج :

١ — نقل التقانة والعلوم التي تهتم بتطوير المحاصيل الزراعية كما ونوعاً والتي تشمل علوم وتقانات الهندسة الوراثية والاستخدامات السلمية للطاقة الذرية علاوة على العلوم والتقانات الزراعية التقليدية التي لم تأخذ مداها الاوسع في الوطن العربي .

٢ — نقل العلوم والتقانات التي تهتم بمكافحة الأفات الزراعية بعامة وبالأخص استخدام الاشعاعات المؤينة في هذا المجال .

٣ — نقل واستخدام وتنمية العلوم والتقانات التي تهتم بدراسة الحاجة الضرورية للنبات من الماء والاسمدة وبخاصة استخدام النظائر المشعة في هذا المجال

٤ — نقل وتطوير التقانة النووية المستخدمة في حفظ المواد الغذائية .

ب ـ البرامج والانشطة ذوات العلاقة بالأمن المائي .

إن الأمن المائي يدخل في نطاق الآمن الغذائي ويمكن أن تتناول برامجه الآتي

١ ـ نقل العلوم والتقانات التي تساعد على إكتشاف وتحديد.. مصادر المياه في الوطن العربي وكذلك تحديد كمياتها واحتياطياتها ومنابعها وخصائصها على مستوى الإستعمال البشري والاستعمال الزراعي . . . وتلعب التقانة النووية الاشعاعية دوراً مهما في هذا المجال .

٢ ـ نقل التقانات والعلوم التي تستثمر مصادر المياه العربية استثماراً رشيداً على مستوى استخداماتها المتنوعة بما في ذلك تقانة السدود ومساقط المياه لتنظيم توزيع المياه والحصول على طاقة كهربائية

٣ ـ نقل وتطوير تقانة وعلوم تقنين استخدام المياه في الزراعة حفاظاً على الثروة المائية .

جـ ـ البرامج والانشطة ذوات العلاقة بالأمن الانتاجي السلعي (الصناعي)

إن التنمية الصناعية في الوطن العربي لاتزال متخلفة ودون طموح المواطن العربي في أغلب الاقطار العربية ، الأمر الذي يدعو الى بذل كل جهد من أجل تنمية صناعية متينة مبنية على منهجية علمية بعيداً عن التخبط . . ولذلك فأن البرامج والانشطة على مستوى نقل العلوم والتقانة المتعلقة بالتنمية الصناعية تشمل إنجازاً الآتي :

١ ـ نقل العلوم والتقانات التي تعنى بتصنيع المواد الأولية في الوطن العربي

٢ ـ إنشاء مراكز عربية تقانية تعنى بتدريب وتأهيل القوى البشرية العلمية الوطنية والقومية في حقل التصنيع وإنتاج المواد التصنيعية .

٣ ـ نقل العلوم والتقانات وتطويرها وانباتها والتي تهتم بدراسات الجدوى ووضع التصاميم الهندسية والبرامج الانتاجية للمؤسسة الصناعية

٤ ـ نقل العلوم والتقانات التي تدعم عملية البحث والتطوير وبناء قاعدة

علمية وتقانية تعنى بتطوير الصناعة إنتاجاً ونوعاً وصيانة : . وتلعب التقانة النووية دوراً مهماً في ذلك .

د ـ الأمن الطاقي (انتاج الطاقة بكفاية)

إن الطاقة مصدر لتطوير الحياة بعامة وتطوير المجتمعات الانسانية بخاصة ، والاهتمام بها وضمان كفاية المجتمع منها يعني الاهتمام بالحياة والحرص على استمرارها وضمان ديمومة تطورها وتقدمها لذا فان برامجها يمكن أن توجز بالآتي :

١ ـ نقل التقانة والعلوم التي تعنى باكتشاف وتطوير مصادر الطاقة المتنوعة كالطاقة النووية والطاقة الشمسية وطاقة الرياح وطاقة مساقط المياه وطاقة الكتل الحيوية والغازات الحيوية وطاقة المد والجزر . . الخ

٢ ـ نقل العلوم والتقانات التي تعنى بالكشف عن الثروات المعدنية في الوطن العربي لتحديد الممكن انتاجه منها وكميات الاحتياطي المضمون الإستخراج والمتوقع وخاصة تلك التي تدخل في الصناعة والتصنيع بما في ذلك الصناعة النووية للاغراض السلمية

٣ ـ نقل العلوم والتقانات التي تطور القدرات العربية في مجال مصادر الطاقة التقليدية (النفط والغاز) وذلك على مستوى تقانة تطوير الاستخدام الامثل وعلى مستوى إكتشاف كميات مضافة وعلى مستوى تطوير قدرات الحقول العاملة على الانتاج الاكثر

٤ ـ نقل العلوم والتقانات النووية التي تعنى بالاستخدام السلمي للطاقة الذرية وبخاصة تقانة المفاعلات النووية والمحطات النوويه لغرض انتاج النظائر المشعة والبحث العلمي ولانتاج الطاقة الكهربائية ولغرض تحلية المياه الصالحة للشرب وللزراعة .

٥ ـ نقل التقانة النووية المعنية بالكشف عن مكامن النفط والغاز وتسهيل مهمة الحصول على النفط والغاز من تلك المكامن التي تصعب على الطرق التقليدية

هـ ـ الأمن الصحي ..

إن الأمن الصحي لا يقل أهمية عن الأمن الغذائي حيث توافر وسائل الأمن الصحي يعني بناء شعب قوي البنية وسليم العقل والتفكير . لـذا فإن تطوير أجهزة الأمن الصحي الوقائية والعلاجية مهمة اساسيه وتتطلب برامج لنقل العلوم والتقانة المتعلقة بها يمكن تلخيص بعضها في الآتي :

١ ـ نقل العلوم والتقانة المتطورة في حقل الطب النووي التشخيصية منها والعلاجيـة . .

٢ ـ نقل العلوم والتقانة المتعلقة في إستخدامات الليزر في التشخيص وفي العلاج وفي الجراحة .

٣ ـ نقل وتطوير تقانة هندسة الاجهزة الطبية وصيانتها

٤ ـ نقل العلوم والتقانة المتطورة في علم الأمراض .

٥ ـ نقل العلوم والمهارات التقانية في علم الجراحات الكبرى الدقيقة .

٦ ـ نقل العلوم والتقانات في حقل استخدام الحاسبات في العلوم الطبية وعلى جميع مستويات التشخيص وتحديد حالات العلاج .

٧ ـ نقل العلوم والتقانة في حقل الهندسة الوراثية وعلوم الجينات .

٨ ـ نقل العلوم والتقانات المتطورة الحديثة في حقل العلوم الصيدلانيـة .

و ـ الأمن الدفاعي ..

إن تطور الحياة البشرية منذ النشوء رافقه صراع على البقاء تطور الى صراع بين الشعوب على المصالح ثم صراع بين الأمم أخذ ويأخذ صوراً مختلفة . . ومهما تطور الانسان حضاريا تبقى حالة التصارع قائمة وتدخل في مسميات متنوعة ، منها التنافس الاقتصادي والتنافس الثقافي والتنافس العلمي والتقاني والتنافس السياسي الذي اعلى مراحل تطوره هي الحرب . فطالما هناك ظواهر كهذه فلا بد أن تكون هناك قوى ظالمة وأمم مظلومة ولا يتوقف ظلم أمة على أمة الا بوجود توازن للقوى ومن ثم تعايش وفق المصالح المتبادلة . . من هنا يأتي دور الأمن الدفاعي الوطني أو القومي

وعليه فالحاجة ماسة الى بناء وضع دفاعي لكل قطر عربي ومن ثم بناء وضع دفاعي قومي يجمع بين الاوضاع الدفاعية القطرية بصيغة التفاعل الحي نحو ولادة موقف عربي دفاعي يحقق أمن الامة القومي بابعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتقانية والفكرية . . عليه فان برامج بناء مثل هذه الوضع تلمخص بالآتي :

١ — الاهتمام بنقل العلوم الاستراتيجية العسكرية على مستوى الدراسات والخطط والتوقعات المعززة والمدعمة بتقانة استخدام الحاسبات المتطورة في هذا الميدان

٢ — نقل علوم وتقانة الصناعة العسكرية في مجالاتها المتعددة التقليدية وغير التقليدية .

٣ — نقل علوم وتقانة استخدام الالكترونيات الدقيقة في الوسائل الدفاعية على مستوى الدفاع الجوي (القوة الجوية) وعلى مستوى التقانة الصاروخية .

٤ — العمل على نقل تقانة التطبيقات الليزرية في حلقات الصناعة الدفاعية والهجومية الدفاعية

٥ — نقل علوم وتقانة صناعة المتفرقعات بأنواعها المتعددة . .

٦ — نقل علوم وتقانة صناعة وبناء القدرة على تصنيع وسائل دفاعيه رادعة عند الضرورة .

إنّ هذه خلاصة بأهم برامج تنفيذ أولويات مستلزمات الأمن الدفاعي معتمدين استراتيجية لنقل العلوم والتقانات على مستوى الوطن العربي ومن ثم تطويعها وتطويرها وإنباتها عربياً

الا أن عملية النقل والتطوير والتطويع والانبات وفقاً لاولويات حاجات المجتمع العربي تتطلب مسبقاً توافر الحد الادنى من مستلزمات المناخ العلمي والبيئة العلمية والتقنية الملائمة لعملية إنطلاق ذلك ، ويمكن إيجاز تلك المستلزمات بالآتي :—

١ — اهتمام جاد ومسؤول وفق خطط مدروسة ومستقرة بمؤسسات

ذهنيات . ومنظمات العمل العربي المشترك واعطائها الدور القومي الذي ينسجم ومهامها العلمية والتقانية وبرامجها وبدقة .

٢ — التعامل بجدية مع هذه المؤسسات والهيئات والمنظمات سواء أكان ذلك على مستوى إعداد ووضع البرامج ومتابعتها أم على مستوى الايفاء بالالتزامات المادية المتفق عليها او على مستوى الالتزام بتنفيذ ما يقرر من برامج اولاً وتطبيق ما ينتج عن تلك البرامج ثانياً .

٣ — إنشاء مراكز قومية للبحث والتطوير تأخذ على عاتقها مهمة نقل العلوم والتقانة إلى الوطن العربي بالتعاون والتنسيق مع المؤسسات العلمية والتقانية الوطنية والقومية القائمة .

٤ — فسح المجال أمام العلماء العرب للانتقال بين المؤسسات العلمية والتقانية في الاقطار العربية بقصد تبادل الخبرة والمعلومات وإجراء بحوث علمية وتقانية مشتركة .

٥ — فسح المجال أمام العلماء العرب في المهجر للانتقال داخل أقطار الوطن العربي بحرية أو وفق إجراءات تسهل عليهم ذلك دون شعور بصعوبة ما ، وإيجاد الصيغ والوسائل التي تستخدم قدراتهم وخبراتهم العلمية والتقانية في التنمية العلمية والتقانية في الوطن العربي ، ويمكن أن يكون المركز العلمي والتقاني العربي المقترح إنشاؤه أو المنظمات العلمية والتقانية العربية النوعية الاماكن المناسبة للاستفادة من هؤلاء العلماء العرب على مستوى التخطيط والدراسات والبحث والتطوير والاستشارة .

٦ — فتح قنوات التعامل والتعاون بين المؤسسات العربية العلمية التعليمية والبحثية وبين مثيلاتها في العالم المتقدم وإيجاد إتفاقات ثنائية بينها على مستوى تبادل الخبرة والمعلومات والباحثين والاستفادة من الحوار العربي الاوربي* في هذا المجال . وبناء قاعدة شبكة معلومات تربط بين المؤسسات العربية وبينها وبين المؤسسات العالمية .

---

* هناك لجنة مشتركة بين الجامعة العربية والسوق الاوربية المشتركة تتحاور بشأن التعاون ولكن دون المستوى المطلوب

٧ – إنشاء صندوق عربي لدعم العلم والتقانة وبمبلغ لا يقل عن مليار دولار أمريكياً كبداية لدعم برامج ومشاريع قومية لتطوير القدرات العربية العلمية والتقانية

٨ – تخصيص مالا يقل عن ٢٪ من الدخل الوطني لكل قطر عربي لدعم مراكز البحث والتطوير فيه .

٩ – تنشيط وتعميق القاعدة الصناعية واعتماد البحث والتطوير فيها لتكون الارضية الصالحة لتنمية علمية وتقانية وطنية وقومية

١٠ – خلق حالة من الايمان والوعي بشأن أن التطور العلمي والتقاني وبناء القاعدة العلمية والتقانية لايتمان بنقل التقانة والعلوم كحالة من حالات تدفق المعلومات المجردة لتستخدم إستخداماً مجرداً ، بل يجب أن تتوافر لها عوامل القدرة على الاستيعاب والتطويع والملاءمة والتطوير ومن ثم الإنبات المعرفي والمهاري لها ، وقبل ذلك كله القدرة على حسن إختيار الملائمة منها وحسب الاولويات .

١١ – تخصيص المؤسسات الانتاجية الوطنية والقومية نسبة ٥٪ من ريعها السنوي لدعم البحث والتطوير داخلها وفي مؤسسات البحث العلمي الوطنية والقومية .

١٢ – تكاتف الدول العربية كأمة واحدة عند التعامل مع المنظمات الدولية العلمية والتقانية والتنموية للحصول على دعمها لمشاريع وطنية وقومية تخدم عملية بناء أسس القاعدة العلمية والتقانية في الوطن العربي ، وأن تنسق الجهود بدقة على مستوى المشاريع الوطنية والقومية ودور المنظمات الدولية في دعمها .

تضمنت الدراسة استعراضاً لدور الامة العربية في بناء القاعدة العلمية والمعرفية الانسانية ثم تم استعراض مفهوم الأمن القومي ومستلزمات وضع اسس بناء الأمن القومي المعتمدة على العلم والتقانة ودور العلم والتقانة في ترسيخ عناصر الأمن القومي ، والاستراتيجية العربية لنقل العلم والتقانة الى الوطن العربي وتطويعها وتنميتها وإنباتها من أجل ترصين بناء اسس الأمن القومي للامة . .

ومن تلك الدراسة الموجزة يمكن أن يستنتج الآتي :

١ ــ إن الأمة العربية أمة رائدة على مستوى البناء العلمي والمعرفي ، كان لها دورها في وضع أسس بناء الحضارة الانسانية الحالية وبامكانها أن تعيد دورها هذا في ظل وحدتها وتكامل عملها العلمي والتقاني والاقتصادي والسياسي والدفاعي

٢ ــ إن ارساء قواعد الأمن القومي على اسس علمية وتقانية وعلى امتداد الوطن العربي يتطلب تكاملاً قومياً على مستوى العمل العلمي والتقاني ويتطلب مراكز بحث قومية لهذا الغرض .

٣ ــ إن وحدة الامة وتكامل جهودها المتنوعة ضرورة اساسية لبناء أمن قومي حقيقي وأن تطوير قدرات الامة في مجال الغذاء والزراعة والصحه والطاقة والصناعة والتقانة الذاتية الرصينة وعناصر الدفاع القومي تعد أهم عناصر بناء الأمن القومي . . وإن هذا التطوير لايتم الاباعتماد العلم والتقانة منهجاً واساوب معالجة لقضايا الامة في هذا المجال .

٤ ــ إن انفتاح الامة على العالم المتقدم بوعي وبمسؤولية ضرورة لنقل العلوم والتقانة ومن ثم تطويع وتطوير تلك العلوم والتقانة وتنميتها وانباتها على أن يتم ذلك الانفتاح وفق إستراتيجية قومية واضحة الاهداف العامة والاهداف الخاصة والأولويات وبرامج تلك الاولويات . .

٥ ــ إن عملاً وطنياً وقومياً جاداً في حقل العلوم والتقانة مطلوب بالحاح من أجل انطلاقة جادة .

وفي ضوء ما تقدم من استنتاجات يمكن وضع المقترحات الموجزة الآتية :

١ ــ إعتبار العمل العربي المشترك دو المعبر مرحلياً عن الايمان بوحدة الامة العربية وان التجزئة حالة طارئة يجب تجاوزها بالصيغ العلمية المدروسة

٢ ـ استقرار عملية الاهتمام بالعمل العربي المشترك وإن حدث تغيير فليكن باتجاه زيادة الاهتمام ورفع مستواه .

٣ ـ صدور قرار سياسي يؤكد ما ورد في (١) و (٢) أعلاه ويلزم المؤسسات القطرية المعنية مراعاة ذلك بدقة .

٤ ـ إن اعادة النظر في أيّ عمل عربي مشترك يجب أن يتم وفق مبدأ الاهتمام وتعميق المسيرة لهذا العمل ورفع مستواه على مستويات البرامج والمشاريع والدعم المادي .

٥ ـ تبني الدراسات المستقبلية المعتمدة على العلم منهجاً لتقويم واقع العمل العلمي والتقاني الوطني والقومي وتحديد قدراته العلمية البشرية والاقتصادية بقصد وضع الخطط التنموية القصيرة المدى والبعيدة المدى وذات المدى غير المنظور عملياً ولكن بالامكان إستشرافه اذا توافرت الاحصائيات المطلوبة . .

٦ ـ العمل وبكل وسيلة ممكنة على ايجاد علاقة حية ومستمرة مع ابناء الوطن العربي من العلماء الذين غادروا أوطانهم واصبحوا مؤهلين كخبراء في حقل العلوم والتقانة ومجالات تطبيقها المتنوعة ويعيشون الآن في العالم المتقدم مع إعطائهم حرية الحركة بين أوطانهم ومواقع عملهم في الخارج .

٧ ـ الاهتمام بالعلماء والمتخصصين في أقطار الوطن العربي على المستوى المادي والمعنوي والاصغاء الى مقترحاتهم والافادة منها .

الخاتمة : إنّ ما تقدم من آراء وتحليلات بشأن العلم والتقانة ودورهما في بناء المجتمع العربي وتأمين الأمن القومي أريد لها الايجاز لان الغرض هو جلب انتباه المسؤولين والمتخصصين بشأن ضرورة الاهتمام بالعلم والعلماء والمؤسسات العلمية الوطنية والقومية لان العلم والتقانة ومؤسساتهما تلعب دوراً مهماً في بناء مقومات الأمن الوطني والأمن القومي ، وكمثال على ذلك تم التطرق الى الامن الغذائي حيث يلعب دوراً مهماً في استقلال

ارادة الأمة والأمن المائي حيث هناك تجاوز على ثروة الامة المائية ، والامن الصحي حيث لا زالت الامراض تفعل فعلها في معظم المواطنين العرب والامن الانتاجي حيث لا زال العرب يعتمدون على الاستيراد وحتى ابسط الأشياء ، والامن الطاقي حيث هناك احتمال نضوب مصادر الوقود الاحفوري (نفط ، غاز) وتطوير مصادر طاقية جديدة كالطاقة النووية والطاقة الشمسية ، الأمر الذي يدعو العرب للعمل بجهد متكامل في حقل المفاعلات النووية والمحطات النووية واستثمار ثرواتهم الوطنية المعدنية والكشف عنها وتصنيعها ، والأمن الزراعي حيث لازال العرب يستوردون أكثر من ٧٠ ٪ من حاجاتهم الزراعية والغذائية من الخارج مما يؤثر على سلامة وأمان الامة ويعرضها للضغط والابتزاز كما هو حاصل الآن .

إن الوضع الذي يعيشه العرب أفضل مؤشر على أهمية تعزيز دور العلم والتقانة من خلال الاهتمام بهما فعلاً وممارسة لا قولاً وإعلاماً ، وأن أية خطوة باتجاه هذا الاهتمام تبدأ بالاهتمام الحقيقي والعملي بالعلماء والفنيين وبمؤسسات العلم والبحث العلمي والتعليم والنظم التربوية التي تنشئ إنساناً مفكراً ومبادراً ومبتكراً ينعم في جو من الحرية والاكتفاء الاقتصادي ذاتياً كي ينصرف إلى عمله العلمي والتقاني باستغراق بعيداً عن ممارسة العطف عليه باسلوب يشوه شخصيته ويقتل فيه روح الشجاعة في المبادرة وقول ما يراه واجب القول ، خلق حالة الصدق في القول لديه ، لاحالة التصديق للصح والخطأ طالما مصدر ذلك المسؤول

إن حالة التشتت التي تعيشها الامة حالياً تظهر لنا ضعف التلاحم العربي وفقدان الأمن القومي لان عناصر ومقومات بناء الأمن القومي اما ضعيفة جداً أو غير موجودة فعلاً ، وإن مجرد استعراض للوضع العربي على المستوى العلمي والتقاني يمكن ملاحظة ما عليه الوطن العربي من تخلف وفي جميع قنوات ومجالات العلوم والمعارف والتقانات سواء اكان هذا التخلف في مستوى تطور فروع تلك العلوم والمعارف والتقانات أم في

مجال تطبيق نتائج بعض البحوث التي تجرى في الوطن العربي ، وينعكس ذلك عملياً وبكل وضوح على عناصر الأمن القومي التي سبقت الاشـارة إليها ، لذا فأن مصلحة الامة العليا تتطلب تجاوز حالات الضعف والتخلف هذه والإنطلاق مجدداً وفق أسس متينة وواضحة تتضمنها استراتيجيـة قومية وفق المؤشرات الاساسية والاولويات والمنطلقات التي سبقت الاشارة إليهـا .

إن الابقاء على حالة التشتت هذه ليست بصالح أيّ قطر عربي وليست بصالح أي نظام عربي (بغض النظر عن رأينا في هذا النظام أو ذاك) لان وهن الأمة بهذا الشكل يضعف موقف القطر على مستوى التعامل مع دول العالم وعلى مستوى بناء ذاته بناء قويماً على مستوى الاقتصاد وعلى مستوى الدفاع عن المصير . . عليه فالعودة الى الذات العربية الاصيلة في ضوء مبادئ الامة السامية ووفق صيغ علمية موضوعية على مستوى التعامل بين الاقطار العربية وسد باب التدخل بوجه الاجنبي ، هي سفينة نجاة الامـة ومن ثم نجاة وسعادة الانسان العربي ، إنها دعوة مخلصة من إنسان عايش شؤون الامة مدةً تعادل ثلثي عمره البالغ (٥٥) عاماً وكان يطمح أن يرى هذه الامة على عكس ما هي عليه . . ولكن لا زال الأمل يملأ قلبه والايمان بهذه الامة يدفعه التفاؤل بامكانية تجاوز المحنة عند توافر رجال المسؤولية لا رجال عدم الشعور بالمسؤولية . رجال نحن العربية لا رجال نحن القطرية ، فلننهض من كبوتنا فالجواد ينهض اذا ما كبا ونحن بانتظار نهـوض جواد الامة . . اللهم إنقذ الأمة كما أنقذتها من قبل .

بعض المصادر التي اعتمدت الدراسة عليها

١ ـ الاستراتيجية العربية لنقل العلم والتقانة ـ بعض المؤشرات الاساسية ، دراسة قدمتها الهيئة العربية للطاقة الذرية في ضوء قرار مؤتمر القمة العربي المنعقد في بغداد للمدة ٢٨ ـ ٣٠ / ٥ / ١٩٩٠ منشورة في كتاب الهيئة في اربعة عام ص ٤٢ عام ١٩٩٣ . .

٢ ـ تعليم العلم والتقانة وبناء الانسان العربي ، الاستاذ الدكتور علي عطية ، وقائع ندوة نمو العلاقة بين العلم والتكنولوجيا (التقانة) والمجتمع في الدول العربية ص ٣٧٩ / الدوحة ١ ـ ٤ /٩ / ١٩٨٧

٣ ـ واقع البحث العلمي في الوطن العربي
وقائع ندوة تطبيق نتائج البحوث لتنمية المجتمع العربي المنعقدة في بغداد للمدة ١١ ـ ١٤ / ٤ / ١٩٨٧ تحرير الاستاذ الدكتور علي عطية عبد الله

٤ ـ دور البحث العلمي في نقل التكنولوجيا (التقانة) لمنطقة الخليج العربي ـ وقائع الاجتماع الثاني لمسؤولي مراكز البحث العلمي ومؤسسات البحث العلمي في دول الخليج العربي أيلول ١٩٨٥ الظهران

٥ ـ تخطيط ونقل التقانة ، السيدة نضال الحمداني وآخرون ، ندوة نمو العلاقة بين العلم والتكنولوجيا (التقانة) والمجتمع في الدول العربية الدوحة / قطر ١ ـ ٤ / ٩ /١٩٨٧ .

٦ ـ وجهات نظر من العالم النامي ـ المجلس العالمي للاتحادات العلمية ١٩٨٠

٧ ـ التنمية التكنولوجية (التقانية) والتخطيط الانمائي في الوطن العربي الاستاذ الدكتور حسام مندور ، ندوة مشكلة التنمية التكنولوجية (التقانية) في الوطن العربي والتبعية التكنولوجية ١٨ ـ ٢٠ / ١١ /١٩٨٢

٨ ـ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الاستاذ الدكتور طه باقر الجزء الأول ١٩٧٣

٩ ـ الاعداد المهني للمدرس الجامعي ، الاستاذ الدكتور متي عقراوي ، وقائع المؤتمر الأول للتعليم الجامعي في العراق ١٩٧١

١٠ـ دور الجامعات في بناء المجتمع ، الدكتورة سعاد خليل ، وقائع المؤتمر الأول للتعليم الجامعي في العراق ١٩٧١ -

١١ـ محصلة العلم والتكنولوجيا في الوطن العربي ، الدكتور انطوان زحلان ، وقائع ندوة السياسة التكنولوجيا في الأقطار العربية بيروت ١٩٨٥ .

١٢ـ الارقام العربية ،مولدها ، نشأتها ، تطورها
الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٢

١٣ـ الكتاب العلمي العربي ، الدكتور جميل الملائكة ، مجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الثالث ، المجلد السابع والثلاثون ١٩٨٦

١٤ـ التخطيط للتعليم العالي الدكتور عبدالله عبدالدائم ، وقائع المؤتمر الاول للتعليم الجامعي في العراق ١٩٧١

١٥ـ العلم والتكنولوجيا (التقانة) في فلسطين المحتلة (١٩٨٠ ـ ١٩٨١) مؤسسة الدراسات الفلسطينية / بيروت ١٩٨٢

١٦ـ التعريب ووحدة المصطلح العلمي ، الدكتور علي عطية عبدالله ، مجلة اليمامة العدد ٨٦٨ ، الرياض ١٩٨٥ .

علم الدرجات الحرارية الواطئة جدا
(الزمهريـــــر)

الاستاذ الدكتور عبد المهدي طالب رحمة الله
قسم الفيزياء / كلية العلـوم / جامعة بغداد

منـذ سـنوات ومسالة حفظ الحياة في الدرجـات الحرارية الواطئـة جـدا (الزمهرير) تثير العديد من التساؤلات والتحدي امام العلماء فما هـو علـم الزمهرير وما هي مجالات تطبيقاتـه الاخـرى .

الزمهرير في اللغة شدة البرد ، والزمهرير هو الذي اعده الله تعالى عذابا للكفار في الدار الآخرة .
قال الله تعالى في سورة الانسان (اية ١٣) « متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا »

صدق الله العظيم

لقد خلق الله الارض ليستوطنها كل كائن حي ووفر لها اسباب الحياة المعروفة من حرارة وبرود وهواء وماء . . . لكن نظرة الى بقية مجموعة النظام الشمسي (شكل ١) ترينا تباين درجات الحرارة فهي تبلغ ١٠ ملايين م° (سلزيوسية) في باطن الشمس ونحو ٦٠٠٠ م° عند سطحها بينما تهبط الى نحو ١٨٠ م° تحت الصفر في الفضاء البعيد .

واذا كنا على الارض نعيش في مديات حرارية تتراوح بين ٦٠ م° و-٦٠ م° (١) فأن الملاحظ ان مديات درجات الحرارة العالية في الكون تفوق بشكل واضح مديات الدرجات الحرارية المنخفضة .

وحتى في المختبر فأن مديات الدرجات العالية تفوق نظيرتها الدرجات المنخفضة اذا عددنا الصفر السلزيوسي (٠ م°) هو الحد الوسطي او معدل منطقة الحياة فقد تمكن الانسان من بلوغ درجة حرارة تصل الى مئة مليون م° عند تفجير القنبلة الهيدروجينية بينما لم يتمكن ولن يتمكن (في المنظور الحالي) من خفض درجة الحرارة الى مادون — ٢٧٣ م° او ما يعرف بالصفر المطلق (شكل ٢) وفي هذه المديات المنخفضة من درجات الحرارة نشأ ما يعرف بعلم الزمهرير .

ماذا يعني الزمهرير ؟

اذا كانت الحرارة والبرودة امرين نسبيين فأن التبريد من الناحية الفيزيائية يعني تقليص الاختلاج او اللانظام (Entropy) على اساس ان الاخير داله لدرجة الحرارة . وهذا بحد ذاته امر هام من نواحي عديدة فهو يعني ان التبريد يكون سببا في وضوح الاشارات الالكترونية بسبب هبوط مستوى التشويش الالكتروني لكن الامر الاكثر اهمية هو ان ظاهرة تكميم الطاقة في معظم الخواص الفيزيائية للمادة تبدو جلية في الدرجات الحرارية الواطئة جدا فالحرارة النوعية للمادة تقترب من العدم عند اقتراب درجة حرارة المادة من الصفر المطلق وهذا يعني ان المادة تمتص اي كمية من الطاقة من مصدر خارجي لتظهرها على شكل انتقالات اهتزازية ذرية او جزيئية وهذه تعد الوسيلة المثلى لتحديد ماهية وخصائص المادة .

ان الحديث عن الدرجات الحرارية الزمهريرية يعني بالتحديد مديات حرارية تقع بين -١٠٠ م° و —٢٧٣ م° (اي الصفر المطلق) وهذا مايسمى بالمدى الزمهريري وقد يبدو الوصول الى هذه المديات الحرارية صعب المنال بطرائق التبريد المألوفة لكن طريقة تسييل الغازات التي يطلق عليها مجازا اسم الغازات الزمهريرية قد مهد السبيل للوصول الى درجات حرارية تقترب الى نحو نانو درجة فوق الصفر المطلق

نظـــرة تاريخيـــة :

كانت اولى المحاولات ما قام به العالم فرداي من تسيل لعدد من الغازات مثل الهيدروجين والميثان لكن محاولاته باءت بالفشل وكانت الانطلاقـــة الاولى في ميدان علم الزمهرير اكتشاف تأثير جول — تومسن عام ١٨٥٣ فقد سهل هذا الاكتشاف عمليات تسيل غازات الاوكسجين والهيدروجين والهليوم اضافة الى انتاج كميات تجارية من الهواء المسال ويتلخص مبدأ تأثير جول — تومسن على الافادة من الشغل المنجز داخل الغاز لخفض درجة حرارته فعندما يدفع غاز ما تحت ضغط عال يمر خلال عوائق (صمام مثلا) فأن درجة حرارة الغاز ستنخفض بشكل تام .

في عام ١٨٦٩ اكتشف العالم اندروز ما يعرف بدرجة الحرارة الحرجة التي لا تسال الغازات الا عند عبورها مهما سلط عليها من ضغط .

وجاءت الانطلاقة الثانية عام ١٩٠٢ عندما استعمل العالم كلود ماكنة التمدد للحصول على الدرجات الحرارية الزمهريرية ، واذا كان تأثيـــر جول — تومسن قد اعتمد على تمدد الغاز دون ادخال اي شغل خارجي فأن ماكنة كلود تهيئ الغاز داخل اسطوانة ذات مكبس وعندما يتحرك المكبس بحيث يزداد حجم الاسطوانة (او الغاز الذي بداخلها) عندئذ تقل نسبة التصادمات بين جزيئات الغاز ثم تنخفض الطاقة الكلية للغاز اي تنخفض درجة حرارته ، وتستعمل ماكنة كلود مرحلة ثانوية بعد ماكنة تأثير جول — تومسن لتسيل الغازات بأقل الكلف .

كانت الانطلاقة الثالثة في علم الزمهرير ما تقدم به العالم ديباي من اقتراح باستخدام الطرائق المغناطيسية كتقنية زمهريرية وهذه الطرائق سمحت في الواقع بالتقرب الى درجة الحد الادنى (الصفر المطلق) .

يعتمد مبدأ عمل الطرائق المغناطيسية على مغنطة ماح مغناطيسي (احد املاح الحديد مثلا) تحت تأثير مجال مغناطيسي يشبع العزوم المغناطيسية ويستقطبها باتجاهه بعد ان كانت عشوائية الاتجاهات وهذه الطريقة تعتمد على ازالة المغنطة الكظيمة كطريقة لخفض درجة الحرارة وتعطي مثل هذه الطريقة درجات حرارية تصل الى حد الملي كلفن .

ذكرنا ان الوصول الى المديات الزمهريرية يتم عبر تسييل الغازات الزمهريرية ويوضح الجدول الاتي درجات غليان اكثر هذه الغازات استعمالا

الغاز	درجة الغليان (م°)	نسبته في الهواء
الاوكسجين	– ١٨٣	٢١٪
النتروجين	– ١٩٦	٤٥ر٧٥٪
الهيدروجين	– ٢٥٣	–
الهليوم	– ٢٦٩	١٪

تطبيقات علم الزمهرير :

تعد بحوث الفضاء الاكثر استهلاكا للسوائل الزمهريرية حيث يستعمل الاوكسجين المسال في التفاعلات الكيمياوية بينما يستعمل النتروجين المسال للتبريد الاولي وللفحوصات الباردة وحتى لتبريد نماذج معينة من بدلات الفضاء ، اما الهيدروجين المسال فيستعمل وقوداً كيميائياً للصواريخ بينما يستعمل الهليوم المسال لعمليات التفريغ الزمهريرية للمركبات الفضائية لغرض التدريب .

وفي مجال علوم الحياة والطب فأن تقنيات علم الزمهرير هيأت سبل وامكانات لاحدود لها لحفظ الاجزاء الحية لفترات طويلة مثل حفظ حيامن الابقار لاغراض التلقيح الاصطناعي وحفظ الدم ونخاع العظام والغدد والانزيمات والانسجة فضلا عن معالجة بعض الامراض الجلدية واجراء

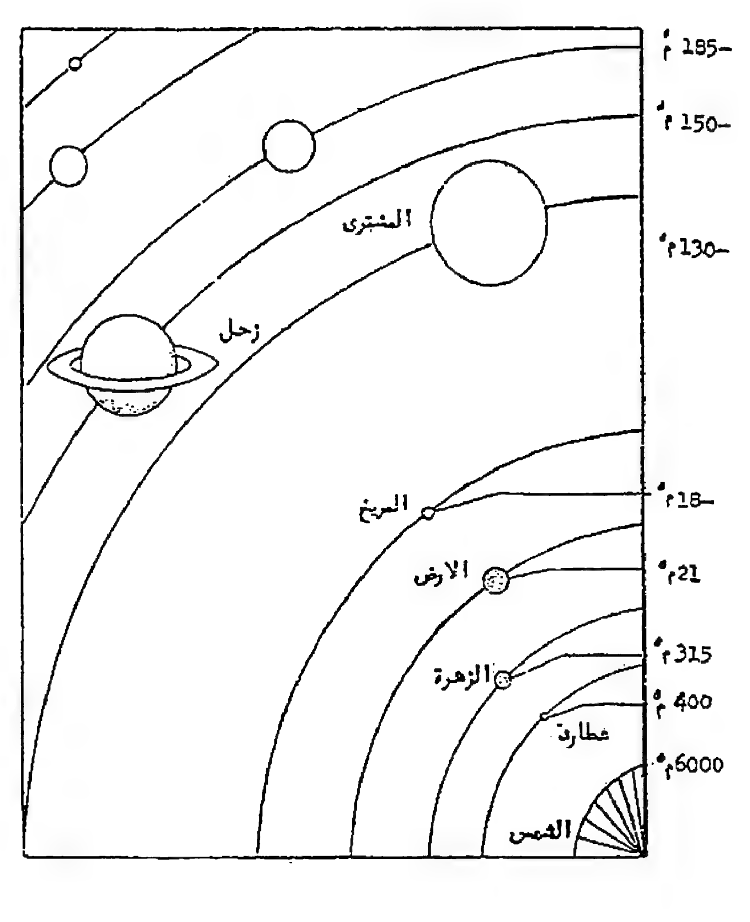
العديد من الجراحات الزمهريرية لا سيما المتعلقة بالعيون والدماغ (شكل ٣) كل هذا ادى الى نشوء علم جديد سمي علم الاحياء الزمهريري (Cryobiology) يعنى بدراسة العلاقة بين الاحياء ودرجات الحرارة الزمهريرية .

ولم يقتصر الامر على حفظ الاجزاء الحية ، فقد استغل هذا المبدأ لتنشأ صناعة حفظ الاغذية على نطاق واسع حيث وفرت السبل لحفظ الاطعمة بطرائق اقتصادية تسمح بنقلها عبر البحار دون ان تتلف .

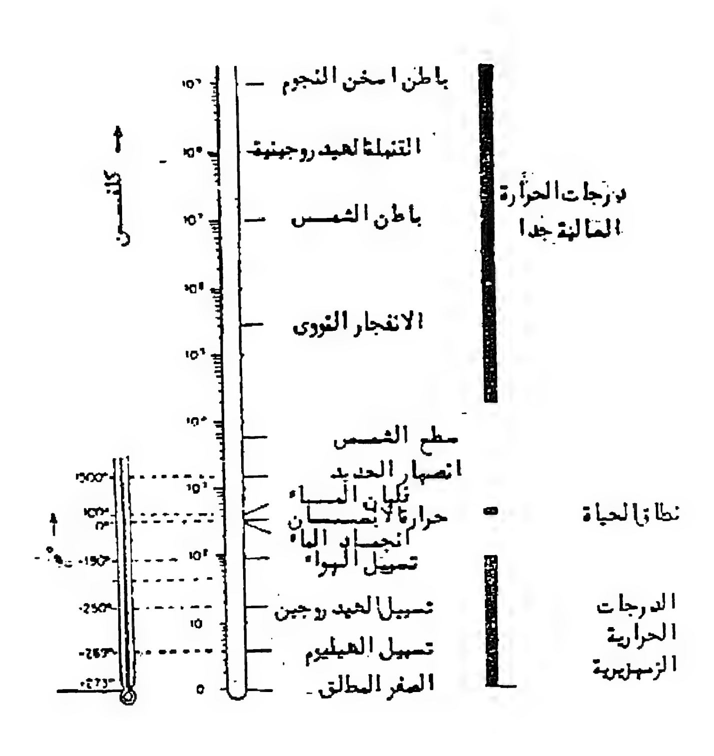
وفي مجال الصناعات الالكترونية والكيميائية وكذلك النووية فأن علم الزمهرير قد فتح آفاقا جديدة متطورة ونشير بشكل خاص الى اجهزة التوصيلية الفائقة ، فالمعروف انه باستخدام الهليوم المسال امكن الحصول على مغانط تولد مجالات مغناطيسية ذات شدات عالية لم تكن متوفرة قبلا كما ان السوائل الزمهريرية تستخدم على نطاق واسع في دراسة التلف الشعاعي الناتج عن تعرض المواد ولا سيما تلك التي تستخدم في بناء المفاعلات النووية .

ولعل من الطريف الاشارة الى ان النتروجين المسال يستخدم في بعض البلدان لمكافحة الحرائق او لوقف تدفق المياه في الشبكة العامة لتوزيع المياه لاغراض الاصلاح او اجراء التحويرات فضلا عن استخدامه لتجميد المياه الجوفية اثناء حفر او بناء الانفاق خاصة انفاق القطارات في المناطق التي يكون فيها مستوى المياه الجوفية عالياً .

تحدثنا عن طرائق توليد واستخدام الدرجات الحرارية الواطئة اما طرائق قياسها والميادين الفيزيائية التي تعتمد عليها فسنتركه لحديث اخر .

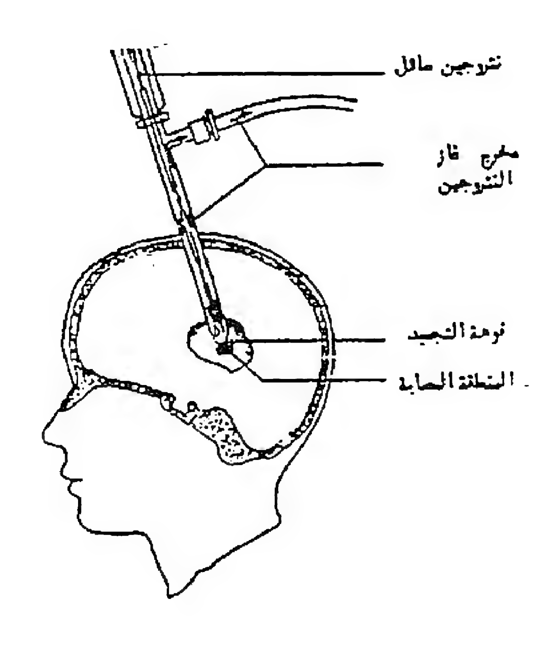

185- °م
150- °م
130- °م
المشتري
زحل
18- °م
العريخ
21 °م
الارض
315 °م
الزهرة
400 °م
عطارد
6000 °م
الشمس

ـ شكـل رقم (١) ـ



باطن اسخن النجوم
باطن الشمس
الانفجار النووى
سطح الشمس
انصهار الحديد
غليان الماء
حرارة الانسان
انجماد الماء
تسييل الهواء
تسييل الهيدروجين
تسييل الهيليوم
الصفر المطلق
درجات الحرارة العالية جدا
نطاق الحياة
الدرجات الحرارية الزمهريرية
كلفن
0
10

ـ شكـل رقم (٢) ـ


نتروجين سائل
مخرج غاز
النتروجين
فوهة التجميد
المنطقة المصابة

ـ شكل رقم (٣) ـ

References :

1 — white, G.F., Experimental techniques in low temperature physics, Clarendon Press, Oxford, 1959.

2 — Rose - Innes, A.G., Low temperature techniques. The English University Press Ltd., London, 1964.

3 — Borovik - Romanov, A.S., Low temperature Physics (Ed.), MIR Publisher, Moscow, 1985.

الكتب الـواردة والمهـداة
الى مكتبة المجمع العلمي العراقي
للدورات المجمعية ١٩٩٠ ــ ١٩٩٣

القسـم الاول

اعداد : صباح ياسين الاعظمي
مدير المكتبـات

★ الابحاث السامية في المحاكم الاسلامية

تأليف ، سيدي محمد المرير ، تطوان ، ١٩٥١ ، ق١ ــ ق٢ × ٢م٠

★ أدب الدنيا والدين

تأليف ، ابي الحسن المـاوردي ، حققه مصـطفى السـقا ٠ بيروت ، ١٩٨٥ ، ٣٤٨ صفحة ٠

★ اعلام الموقعين عن رب العالمين

تأليف ، ابن قيم الجوزية ، حققه وعلق عليه ، محمـد محي الديـن عبدالحميد ، طبع بيروت ١٩٨٠ ، ج١ ــ ج٤ × ٤م ٠

★ اعـلام النبـوة

تأليف ، ابي الحسن الماوردي، طبع اوفسيت ، بيروت ١٩٨٨ ، ٢٨٨صفحة

★ أنصاف الانصـاف

تأليف ، حميد الخالصي ، بغداد ١٩٨٦ ، ٥٥ صفحة ٠

★ بحوث المؤتمر الاول للاعجاز القرآني المعقود ببغداد

اعداد ، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ١٩٩٠ ، ٧٠٦ صفحة ٠

★ تأويلات اهل السنة

تأليف ، ابي منصور الماتريدي الحنفي ، تصحيح جاسم محمد الجبوري ، بغداد ١٩٨٣ ، ٨٢٤ صفحة .

★ التجريد الصحيح لاحاديث الجامع الصحيح

تأليف ، الحسين بن المبارك الزبيدي . بغداد ، ١٩٨ صفحة .

★ تراث الاسلام

تأليف ، ديوزوت ، شاخت ، ترجمة حسين مؤنس ، الكويت ٣٨٥ صفحة.

★ تراث الاسلام

تأليف ، فؤاد زكريا ، الكويت ١٩٨٨ ، ج٢ ، ٢٠٤ صفحة ، ن٢ .

★ التربية الدينية (الاسلام نظام الحياة)

من مطبوعات ، المنظمة العربية لمحو الامية وتعليم الكبار ، بغداد ١٩٨٢ ، ١١٢ صفحة .

★ تسهيل النظر وتعجيل الظفر في اخلاق الملك وسياسة الملك (مصطلحا ومعجما)

تأليف ، أبي الحسن علي بن محمد الماوردي ، تحقيق ودراسة رضوان السيد ، بيروت ١٩٨٧ ، ٣٤٠ صفحة .

★ تطور تفسير القرآن ــ قراءة جديدة

تأليف ، الدكتور عبدالحميد ، بغداد ١٩٨٩ ، ٢٤٨ صفحة .

★ تعبير الرؤيا

تأليف ، محمد بن ياسين بن عبدالله ، الموصل ١٩٨٨ ، ٢٣٧ صفحة .

★ التعبير عن الارادة في الفقه الاسلامي والفقه المدني

تأليف ، المحامي فريد فتيان ، الكويت ١٩٨٣ ، ١٤٧ صفحة .

★ التعميد المتنائي

تأليف ترجمة ، الشيخ رافد الشيخ عبدالله نجم ، بغداد ١٩٩٠ ، ١٦٣ صفحة .

★ تفسير مفردات الفاظ القرآن الكريم ــ مجمع بيان الحديث ــ
تأليف ، سميع عاطف الزين ، بيروت ١٩٨٤ ، ٩٧٤ صفحة .

★ تلخيص الخبير من تخريج احاديث الرافعي الكبير
تأليف ، ابن حجر العسقلاني . تحقيق وتعليق سعيد محمد اسماعيل ، مصر ، ج١ ــ ج٢ ، ج٣ ــ ج٤ × م٢ .

★ تلخيص صحيح مسلم
تأليف ، محمد بن ياسين بن عبدالله ، الموصل ١٩٨٨ ، ٢٣٧ صفحة .

★ تلقين الاعاجم الراغبين في تأويل الكتاب العربي المبين وما يعلم تأويله
تأليف ، ترجمة صلاح الدين بحشويه .
لبنان ١٩٨٤ ، ٨٤٢ صفحة .

★ تهذيب الاثار (مسند عبدالله بن عباس)
تأليف ، بأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة ١٩٨٣ ، ج٢ ، ١٤٢ صفحة .

★ تهذيب الاثار (مسند عمر بن الخطاب) .
تأليف ، بأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة ١٩٨٣ ج١ ــ ٣ × م٣ .

★ تهذيب الاثار (مسند علي بن ابي طالب)
تأليف ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة ١٩٨٣ ، ٤٨٨ صفحة .

★ تهذيب الاثار
تأليف ، ابي جعفر محمد بن جرير الطبري ، مطبعة المدني ، ١٩٨٢ ، السفر الاول والثاني × م٢ ، ٥٦٨ صفحة .

★ تهذيب الترغيب والترهيب
تأليف ، الامام الحافظ المنذري ، تحقيق ، عوني نعيم الشريف ، الاردن ١٩٩٠ ، ج١ ــ ج٤ × م٤ .

★ توحيد الخالق

تأليف ، عبدالمجيد عزيز الزنداني . بغداد ١٩٩٠ ، ج١ ــ ٣×١م ، ٤١٥ صفحة .

★ ثواب قراءة سور القرآن

اعداد ، مكتبة ابن النديم ، بغداد ١٩٩٢ ، ٦٤ ص .

★ الثورة المهدية في السودان (مشروع رؤية جديدة)

تأليف ، عبدالعزيز حسين الصاوي ، تحقيق ، محمد علي جاوين ، لندن ١٩٩٠ ، ٢٧١ صفحة .

★ الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي

تأليف ، ابي عيسى محمد بن عيسى بن سورة . تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، بيروت ، ج١ ــ ج٥ × ٥م .

★ جامع فهارس الثقاة لابن حبان البستي

تأليف ، حسن ابراهيم زهران . بيروت ١٩٨٨ ، ٥٨٢ صفحة .

★ الجامع المفهرس لالفاظ صحيح مسلم

تأليف ، الدكتور سعد المرصفي . الكويت ١٩٨٨ ، ج١ ــ ج٤×٤م .

★ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

تأليف ، شيخ الاسلام ابن تيمية ، القاهرة ، ج١ ــ ٤×٤م .

★ حاضر العالم الاسلامي

تأليف ، لوثروب تستووارد ، ترجمة ، عجاج نويهض القاهرة ١٣٤٣ هـ ، ٤٢٨ صفحة ، ج١ ــ ج٢×٢م .

★ حجة السنة

تأليف ، عبدالغني عبدالخالق . الكويت ــ دار التربية ، ٥٩٨ صفحة .

★ الحديث النبوي الشريف

تأليف ، محمد ضاري حمادي ، بغداد ١٩٨٢ ، ٥٠٨ صفحة .

★ الحلاج ، أراؤه الصوفية وموقف اعدائه ومناصريه فيها
تأليف ، الدكتور موسى بناي العليلي ، بغداد ١٩٩١ ، ٤٦ صفحة .

★ حلية الاولياء في معرفة مذاهب الفقهاء
تأليف ، سيف الدين ابو بكــر محمد بن احمد القفــال . تحقيــق ، الدكتور ياسين احمد ابراهيم دراوكه . الاردن ١٩٨٨ ، ج١ — ج٢×٨م.

★ دراسات لاسلوب القرآن الكريم
تأليف ، محمد عبدالخالق عظيمة ، القاهــرة ١٩٧٢ ، ج١ ق١ — ق٣ ، ج٢ ق١ — ق٣ ، ج٣ ق١ — ق٣ ، ج٤ ق٢ — ق٣ .

★ دراسات في تاريخ التشريع الاسلامي في موريتانيا
تأليف ، محمد المختار ولد أباه ، تونس ١٩٨١ ، ٢٩٣ صفحة .

★ دقائق الاشارات
تأليف ، الانصاري . بيروت ١٩٨٨ ، ٣٨٤ صفحة .

★ ذيــل الكاشف
أليف ، الحافظ عبدالرحيم العراقي ، تحقيق بوزان الصناوي . لبنــان ١٩٨٦ ، ٣٨٦ صفحة .

★ رسالة في التوحيد ، تحريف اليهود على الرسالات السماوية
تأليف ، بوثان معروف جياووك ، بغداد ١٩٦٦ ، ٥٧ صفحة .

★ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين
تأليف ، العارف بالله محيي الدين ابي زكريا . تحقيق عبدالله احمــد ابو زينة ، بغداد ١٩٨٥ ، ٥٤٣ صفحة ، ج١ .

★ شجرة إنساب الرسول محمد (ص)
تأليف ، زهير محمد صالح الخطاط ، الموصل ١٩٩١ .

★ شرح تجريد الامام الطوسي
تأليف ، علاء الدين علي بــن محمد القوشــجي ، ايــران ١٢٧٤ هـ . ١٤٧٠ صفحة .

★ شرح المسائل الدينية

تأليف ، حسن بن زين الدين القاصل ، ايران ، بدون ترقيم .

★ الشريعة والفقه والقانون

اعداد ، اكاديمية المملكة المغربية ، المغرب ١٩٨٩ ، ١٤٥ صفحة .

★ شحوس العرفاق بلغة القرآن

تأليف ، عباس ابو السعود ، مصر ١٩٧٨ ، ٢٩١ صفحة .

★ الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية

ترجمة الشيخ رافد عبدالله نجم ، بغداد ١٩٨٨ ، ٣٨ صفحة .

★ ضحى الاسلام

تأليف ، احمد امين ، القاهرة ١٩٣١ ج٢ ، ٣٦٣ صفحة .

★ طبقات الفقهاء الشافعية

تأليف ، محمد بن احمد العبادي . ١٩٦٤ ، ١٥٤ صفحة .

★ مرويات الصحابي سلمة بن الاكوع في الكتب الستة ومسند احمد وموطأ مالك

عشرة النساء

تأليف ، النسائي ، احمد بن علي ، بيروت ١٩٨٦ ، ٣٦٣ صفحة .

★ العقيدة والشريعة في الاسلام

تأليف ، اجناس مولديهر ، ترجمة ، محمد يوسف موسى ، القاهرة ١٩٤٦ ، ٣٨٨ صفحة .

★ العواصم من القواصم ، تحقيق في مواقف الصحابة

تأليف ، القاضي ابو بكر بن العربي ، تحقيق ، محب الدين الخطيب .

★ فلسفة الاسلام في تشريع الحريم والحمى والارفاف

تأليف ، حميد الخالصي ، بغداد ١٩٥٥ ، ٤٨ صفحة .

★ فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الارباب

تأليف ، ابي الفضل الطبرسي ، ايران ١٣٩٨ هـ . بدون ترقيم .

★ فهارس احاديث وآثار صحيح البخاري

اعداد ، محمد سليم ابراهيم ، بيروت ١٩٨٩ ، ١م — ٣X٣م .

★ القاموس الاسلامي

تأليف ، احمد عطية الله . القاهرة ١٩٧٠ ، ٣م ، ٦٢٨ صفحة .

★ كتاب الزهد الكبير

تأليف ، البيهقي . بيروت ١٩٨٧ ، ٤٣٩ صفحة .

★ كتب خلق الانسان مع تحقيق كتاب غاية الاحسان في خلق الانسان

تأليف ، السيوطي ، جلال الدين ، تحقيق ، الدكتور نهاد حسوبي صالح ، الموصل ١٩٨٩ ، ٢٢٤ صفحة .

★ الماوردي ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية

دراسة ، حازم طالب مشتاق ، بغداد ١٩٧٠ ، ٣٩ صفحة .

★ مرآة الاسلام

تأليف ، الدكتور طه حسين ، وعبدالحميد العبادي ، القاهرة ، ط ٦ ، ٢٦٧ صفحة .

★ مذاهب التفسير الاسلامي

تألفه ، اجنتش جول تسهر ، القاهرة ١٩٥٥ ، ٤١٨ صفحة .

★ المختصر في علم رجال الاثر

تأليف ، عبدالوهاب عبداللطيف ، مصر ١٩٥٢ ، ط٣ ، ٢٢٤ صفحة .

★ معجزة الاسلام التربوية

تأليف ، الدكتور محمود احمد السيد ، دار البحوث العلمية ١٩٧٨ ، ١٦٨ صفحة .

★ معجزة الارقام والترقيم في القرآن الكريم

تأليف ، عبدالرزاق نوفل . بيروت ١٩٨٣ ، ١٠١ صفحة .

★ معجم مصنفات القرآن الكريم

تأليف ، علي شواخ اسحق . الرياض ١٩٨٣ ، ج١ — ج٤X٤م .

★ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي
تأليف ، ونسنك ، ليدن ١٩٣٦ ، ج١ ــ ج٧×٢م •
★ مفاهيم قــرآنية
تأليف ، مدلوين ميرشنت ، الكويت ١٩٨٤ ، ٢٢٨ صفحة •
★ مفتاح الصحيحين البخاري ومسلم
تأليف ، محمد الشريف بن مصطفى التوقادي ، بيروت ١٩٧٥ ، ط٢ ، ١٩٢ صفحة + ٥٣ صفحة •
★ المكتفي بالوقف والابتداء
تأليف ، ابي عمرو الداني • تحقيق ، جابر بن زيدان مخلف • بغــداد ١٩٨٣ ، ٤٧٥ صفحة •
★ منهل الصفا في تخريج احاديث الشفا .
تأليف ، القاضي عياض • بيروت ١٩٥٦ ، ٢٥٥ صفحة •
★ ندوة العلماء الافارقة ومساهمتهم في الحضارات العربية الاسلامية
اعداد ــ معهد البحوث العربية • الكويت ١٩٨٥ ، ٣٧٤ صفحة •
★ نفحات صوفية
تأليف ، بوتان معروف جياووك • بغداد ١٩٩١ ، ١٠٤ صفحة •
★ النفحات الكستزانية
تأليف ، بوتان معروف جياووك • بغداد ١٩٨٧ ، ٩١ صفحة •

التربية وعلـم النفس

★ الاتجاهات الجديدة في التعليم الثانوي
تأليف ، محمود عبدالرزاق شفق • بغداد ، ٥٠ صفحة •
★ الاتجاهات الفكرية عند العرب
تأليف ، عبد المحافظة ، بيروت ١٩٨٧ ، ٢٧٦ صفحة •

★ اثر الفكر اليوناني
تأليف ، محمد عبدالغني المصري ـ دار عمار ١٩٨٤ ، ١٤٢ صفحة .

★ احلى الكلام
تأليف ، اميل ناصيف ـ لبنان ١٩٨٨ ، ٢٥٦ صفحة .

★ اسس المنطق والمنهج العلمي
تأليف ، الدكتور محمد فتحي الشنيطي ، ١٩٧٠ ، ٣٠٢ صفحة .

★ اشكالات المعالجة النفسية ـ علم النفس
تأليف ، فيصل عباس ، بيروت ١٩٨٣ ، ٢٤٨ صفحة .

★ الاصلاح والتجديد في التعليم العالي
اعداد ، فيليب التياشر ، ترجمة كمال رفيق الجراح ، هدى زاهد محمد بغداد ١٩٩٢ ، العدد ٣ ، ٤٨ صفحة .

★ الاصول الافلاطونية
تأليف ، فيدون ، ترجمة الدكتور علي سامي المنشار ـ القاهرة ١٩٦٥ ، ٣٨٤ صفحة .

★ اضواء الطب النفسي على الشخصية والسلوك
تأليف ، د. وليم .ك فنتجرمد ووليف ـ القاهرة ١٩٦٦ ، ٢٣٨ صفحة .

★ انتصار الحضارة
تأليف ، جيمس هنري برشد ، نقله الى العربية ، الدكتور احمد فخري ، القاهرة ، ٢٩٣ صفحة .

★ البحث العلمي
تأليف ، فلاديمير غاتون ، ترجمة يوسف ابي فاضل ـ بيروت ، بدون سنة طبع ، ١٧٤٥ صفحة .

★ بحوث المؤتمر العلمي الاول للجامعة المستنصرية
اعدته ، لجنة في الجامعة ، بغداد ١٩٨٦ ، ٦٧٢ صفحة .

★ البرجماتزم او مذهب الذرائع

تأليف ، يعقوب فسام ، بغداد ١٩٣٦ ، ٣٠٨ صفحة .

★ بين الدين والعلم والصراع بينهما

تأليف ، اندرودكسن وايت ترجمة اسماعيل مظهر . القاهرة ١٩٣٠ ، ٣١٢ صفحة .

★ تجديدات في التربية العلمية والتقنية

تأليف ، مثنى عادل احمد راغب ، بغداد ١٩٩٣ ، ج١ — ج٢×مج٢ .

★ التدريس

تأليف ، الدكتور فكري حسن ريان . القاهرة ، ١٩٧١ ، ٣٧٢ صفحة .

★ تراث الاسلام

تأليف ، شاخت بوزورث . الكويت ١٩٨٧ ، ٢٥٨ صفحة ، ق١ — ق٢ .

★ التربية عبر التاريخ منذ العصور القديمة

تليف ، الدكتور عبدالله عبدالديم . بيروت ١٩٨٤ ، ٦٧٢ صفحة .

★ التربية والتعليم في القرن الحادي والعشرين

تأليف واعداد : امانة اللجنة الدولية للتربية ، اليونسكو ، ترجمة ، فائزة مهدي محمد ، بغداد ١٩٩٣ .

★ التربية والعلم في هولندا ، حقائق وارقام

اعداد ، وزارة التربية الهولندية ، تحقيق ، هادي عباس علي . الدكتور كمال رفيق الجراح .

★ التساعية الرابعة لافلاطون في النفس

تأليف ، فؤاد زكريا ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ٣٤١ صفحة .

★ تشكيل العقل الحديث

تأليف ، كرين برنتون ، الكويت ١٩٨٤ ، ٤٢٤ صفحة .

★ تطور التعليم في فنلندة

اعداد ، وزارة التربية الفنلندية . ترجمة كمال رفيق الجراح ، هدى

زاهد محمد • بغداد ١٩٩٢ ، ١١٩ صفحة •

★ تطور التعليم في السويد

تأليف ، وزارة التربية والشؤون الثقافية ، ترجمة ، كمال رفيق الجراح ، ومنى عادل احمد ، بغداد ، ١٩٩٢ ، ٧٢ صفحة •

★ تطور التربية في الصين

اعداد ، مكتب التربية العربي لدول الخليج • الرياض ١٩٨٧ ، ٧٠ صفحة

★ التعليقات

تأليف ، الفارابي ، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور جعفر آل ياسين ، بيروت ١٩٨٨ ، ١٢٥ صفحة •

★ التعليم في ايطاليا

تأليف ، وزارة التربية الايطالية ، بغداد ١٩٩٢ •

★ التكملة في الحساب مع رسالة في المساحة

تأليف ، عبد القاصدين ، طاهر البغدادي ، تحقيق احمد سليم سعدان ، الكويت ، ٣٨٩ صفحة •

★ التنبؤ العلمي ومستقبل الانسان

تأليف ، عبدالمحسن صالح ، الكويت ١٩٨١ ، ٢٧١ صفحة •

★ توصيات الرسائل الجامعية التربوية

اعداد ، امل عبدالرحيم • بغداد ١٩٩٢ ، ١٢٥ صفحة •

★ ثقافتنا بين نعم ولا

تأليف ، غالي شكري ، بيروت ١٩٧٢ ، ٢٥٦ صفحة •

★ ثورة في عالم الفلسفة

تأليف ، حميد الخالصي • بغداد ، ١٩٦٥ ، ١٦٣ صفحة •

★ حاجات الانسان الاساسية في الوطن العربي

اعداد ، عالم المعرفة ، برنامج الامم المتحدة للبيئة • الكويت ١٩٩٠ ، ٤٨٠ صفحة •

★ الحـداثة

تأليف ، مالكم برادبري ، ترجمة مؤيد حسن فوزي . بغداد : ١٩٩٠ .

★ حقول علم النفس

تأليف ، الدكتورة مريم سليم ، وعلي زيعور . بيروت ١٩٨٦ ، ٢٤٤ صفحة

★ الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام

تأليف ، احمد احمد بدوي : القاهرة ، ١٩٧٢ ، ٣٥٦ صفحة .

★ رسالتان فلسفيتان للفارابي

تحقيق وتقديم ، الدكتور جعفر آل ياسين ، بيروت ١٩٨٧ ، ١٦٠ صفحة

★ الرموز وطريقة ايداعها باللغة العربية

اعداد ، اتحاد المجامع العربية ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ١٨٤ صفحة .

★ الرياضيات في الحضارة الاسلامية

تأليف ـ موريس شهبل ، طرابلس ، لبنان ، ١٩٨٨ .

★ الرياضيات في حياتنا

تأليف ، زلاتكا شبورير ، الكويت ١٩٨٧ ، ٣١٥ صفحة .

★ روح العلم

تأليف : عبدالله زكريا الانصاري ، الكويت ١٩٧٧ ، ٢٤٧ صفحة .

★ سبل تعميق بعض جوانب العملية التربوية في ضوء توجيهات السيد الرئيس صدام حسين

اعداد ، وزارة التربية ، بغداد ١٩٩٢ ، ١١٤ صفحة .

★ العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث

تأليف ، جون. ب. ديكنسون ، الكويت ١٩٨٧ ، ٣٢٨ صفحة .

★ عقول المستقبل

تأليف ، جون. ج تايلور ، الكويت ١٩٨٥

★ علم النفس التربوي

تأليف ، حامد عبدالقادر . القاهرة ١٩٦٦ ، ج١ ، ٣٠٧ صفحة .

★ علم النفس في مائة عام

تأليف ، ج.ل. فلوجل ، ترجمة لطفي فطيم ومراجعة السيد محمد خيري ، بيروت ١٩٨٨ ، ٣٢٠ صفحة .

★ موجز تاريخ العلم

تأليف ، هـ.ج ويلز ، ترجمة عبدالعزيز جاويد . القاهرة ١٩٦٧ ، ٤٤٧ صفحة .

★ المنهج وكتابة تقرير البحث

تأليف ، عبدالله محمود سليمان . القاهرة ١٩٧٣ ، ١٦٨ صفحة .

★ معنى النسبية

تأليف ، البرت انشتين ، ترجمة علي يوسف فرج ، الاردن ١٩٨٧ ، ١٩١ صفحة .

★ العلاقة الثقافية بين العراق وبلاد المغرب في العصر العباسي من خلال الرحلات

تأليف ، الدكتور محمد سعيد رضا ، بغداد ١٩٩١ ، ١٧٥ صفحة .

★ العرب والتربية والحضارة (الاختيار الصعب)

تأليف ، الدكتور محمد جواد رضا . بيروت ١٩٩٣ ، ٢٢٦ صفحة ن٢٠.

★ العلم والقيم الانسانية

تأليف ، ج. برونوسكي ، ترجمة عدنان خالد ، مراجعة الدكتور جميل الملائكة . بغداد ١٩٩٠ ، ١٩٨ صفحة .

★ الغزو الثقافي للشباب وصراع الاجيال . دراسة تطبيقية مقارنة بين جيل جون الامريكي ، وجيل البريكية

تأليف ، عبدالسلام سبع حماس ، بغداد ١٩٩٠ ، ٧٢ صفحة .

★ فلسفة اوجيست كونت

تأليف ، ليفي بريل ، نقله الى العربية ، محمود قاسم واخرون ، القاهرة ، ٣٧٦ صفحة .

★ فلسفة الاستقلال الثقافي في معركة التحدي الإخلاقي

تأليف ، حازم طالب مشتاق ، بغداد ١٩٨٥ ، مستل من مجلة التربية .

★ فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها الواقع.

تأليف ، سالم بغبوت ، بيروت ١٩٨٦ ، ٢٨٠ صفحة .

★ فلسفة الفن

تأليف ، الدكتور اسماعيل الصيفي . القاهرة ١٩٦٨ ، ٤٤٨ صفحة .

★ الفلسفة في الشرق

تأليف ، بول ماسون اورسيل . ترجمة محمد يوسف موسى مصر ١٩٤٥ ، ٢٢٧ صفحة .

★ فلسفة الكندي وآراء القدامى والمحدثين فيه

تأليف ، الدكتور حسام محيي الدين الإلوسي . بيروت ١٩٨٥ ، ٤٥٢ صفحة .

★ فلسفة اللذة والالم

تأليف ، اسماعيل مظهر ، مصر ١٩٣٦ ، ٢٥٨ صفحة .

★ الفلسفة لكل الناس

تأليف ، الدكتور عادل البكري ، بغداد ١٩٩٠ ، ط٣ ، ١٥٠ صفحة ، ن٢ .

★ فصول العقائد

تأليف ، حميد الخالصي ، بغداد ١٩٦٠ ، ٣٢ صفحة .

★ فصول من تاريخ التربية والتعليم في العراق.

تأليف ، علي آل بازركان . كتب بعض ملاحقه حنان علي البرزكان . مطبعة الاديب البغدادية ١٩٩٢ ، ٢٣٦ صفحة ، ن٥ .

★ فن الترجمة

تأليف ، الدكتور صفاء خلوصي ، بغداد ١٩٥٦ ، ٣٣٠ صفحة .

★ الفكر العربي المعاصر ومركزه في التاريخ
تأليف ، دي لامي اولدي ، نقله الى العربية وعلق عليه ، ابسماعيل البيطار ، بيروت ١٩٨٢ ، ٢٧٩ صفحة .

★ قـادة الفكر
تأليف ، طه حسين ، القاهرة ١٩٢٥ ، ١٣٢ صفحة .

★ القسطاس المستقيم
تأليف ، الامام ابو حامد الغزالي ، بيروت ١٩٥٩ ، ١٠٤ صفحة .

★ قلق الموت
تأليف ، احمد محمد عبدالخالق ، الكويت ١٩٨٨ ، ٢٥٥ صفحة .

★ قواعد المنهج في علم الاجتماع
تأليف ، أميل دور كايـم . ترجمـة محمود قاسم . القاهـرة ١٩٦١ ، ٢٩٦ صفحة .

★ مبادىء في مناهج البحث العلمي
تأليف ، فؤاد الصادق ، بيروت ١٩٨٨ ، ١٨١ صفحة .

★ مبادىء الفلسفة
تأليف ، أ.س. رابوبرت ، ترجمة ، احمـد امين ، القاهـرة ١٩٦٤ ، ٢٧٤ صفحة .

★ المتلاعبون بالعقول
تأليف ، هربرت .أ. شيللر ، الكويت ١٩٨٦ ، ٢٧٢ صفحة .

★ محاورة لافلاطون نياتيتوس عن العلم
ترجمة ، الذكتورة أميرة حلمي مطر ، القاهرة ١٩٧٣ ، ١٦٦ صفحة .

★ المدخل في البحث في العلوم السلوكية
تأليف ، الدكتور صالح بن حمد العساف ، الرياض ١٤٠٨هـ ، ٤٩٠ صفحة.

★ مدخل الى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي
تأليف ، الدكتور محمد عابد الجابري ، بيروت ١٩٩٤ ، ٤٧٧ صفحة .

★ مرض القلق
تأليف ، دافيد .ف. شيهان . الكويت ١٩٨٨ ، ٢٥١ صفحة .
★ الموسم الثقافي التاسع لمجمع اللغة العربية الاردنـي . عمـان ١٩٩١ ، ١٢٦ صفحة .
★ الموسم الثقافي لمعهد التربية للمعلمين بالكويت ١٩٨٥ ، ٤٤٥ صفحة .
★ الموسوعة الفلسفية المختصرة
تأليف ، فؤاد كامل ، بغداد ، ٦١١ صفحة .
★ معالم على الطريق
تأليف ، معن زيادة ، الكويت ١٩٨٧ ، ٢٥٥ صفحة .
★ المعلـم علـي
تأليف ، عبدالكريم غلاب ، بيروت ١٩٧١ ، ٤١٤ صفحة .
★ المعلوماتية والتربية
اعداد ، منظمة اليونسكو ، بغداد ١٩٩٢ ، ٣٧ صفحة .
★ مقدمة في الفلسفة العامة
تأليف ، يحيى هويدي . القاهرة ١٩٦٨ ، ٣٩٢ صفحة
★ الملف الاعلامي التربوي (التعليم الثانويي في العالم)
تأليف ، أميلي بلاك ، ترجمة كمال رفيق الجراح واخرون . بغداد ، ١٩٩٢ ، ٨٠ صفحة .
★ الملف الاعلامي التربوي (التعليم المتعدد الاختصاصات)
تأليف ، رودولف هتريك وولد . ترجمة كمال رفيق الجراح ، وهدى زاهد محمد صالح ، بغداد ١٩٩٢ .
★ الملف الاعلامي التربوي (التربية الغذائية في الثمانينات)
اعداد ، برنامج اليونيكو للتربية . ترجمة ، كمال رفيق الجـــراح ، وفائزة مهدي محمد ، بغداد ١٩٩٢ .

★ الملف الاعلامي التربوي (التعليم النظامي في البلدان النامية)
تأليف ، مريم باكلت ، أريك ، بريميرز ، ترجمة ، كمال رفيق الجراح وفائزة مهدي محمد ، بغداد ١٩٨٢ .

★ الملف الاعلامي التربوي (الادارة التربوية).
تأليف ، فريدريج هوز ، ترجمة كمال رفيق الجراح وهدى زاهد محمد صالح ، بغداد ١٩٩٢ .

★ الملف الاعلامي التربوي (طرائق التدريس في تعليم الكبار)
تأليف ، كونرادت السيدون ، ترجمة ، كمال رفيق الجراح وآخرون ، بغداد ١٩٩٢ .

★ الملف الاعلامي التربوي (التربية العلمية والتقنية)
اعداد ، قسم التربية العلمية في اليونسكو ، ترجمة كمال رفيق الجراح ، وفائزة مهدي محمد ، بغداد ١٩٩٢ .

★ الملف الاعلامي التربوي (التعليم الابتدائي)
تأليف ، اميلي بلاك ، ترجمة كمال رفيق الجراح وهدى زاهد محمد صالح ، بغداد ١٩٩٢ .

★ الملف الاعلامي التربوي (تدريب المعلمين اثناء الخدمة)
تألف ، سفاتو ياوك ، وبيتر اتشيك ، ترجمة كمال رفيق الجراح وآخرون بغداد ١٩٩٢ .

★ مناهج البحث في التربية وعلم النفس
تأليف ، ديو بولد ، فاندالين ، ترجمة ، محمد نبيل نوفل ، سليمان الخضري ، مصر ١٩٨٥ .

★ منطق الكشف العلمي
تأليف ، كارل بوبر ، ترجمة الدكتور ماهر عبدالقادر محمد علي ، دار النهضة العربية ، ١٩٢ صفحة .

★ المنطق ومناهج البحث

تأليف ، الدكتور ، ماهر عبدالقادر محمد علي ـ بيروت ١٩٨٤ ، ٤٥٤ صفحة .

★ من الاسطورة الى الفلسفة والعلم

تأليف ، ثامر مهدي . بغداد ١٩٩٠ ، ٢٥٣ صفحة .

★ منهج البحث العلمي

تأليف ، حسن عثمان . القاهرة ١٩٦٥ ، ٢١٥ صفحة .

★ الموجز في تاريخ العلوم عند العرب

تأليف ، محمد عبدالرحمن مرحبا ، تقديم ، الدكتور جميل صليبا ، بيروت ١٩٨١ ، ٢٨٣ صفحة .

★ نظريات التعليم دراسة مقارنة

تأليف ، جورج . أم غازدا . الكويت ١٩٨٣ ، ٤١٥ صفحة .

★ نيتشه ، البعد الاخلاقي والاستقلال الثقافي

تأليف ، حازم طالب مشتاق . بغداد ، ١٩٧٤ .

★ وحدة الثقافة الغربية وطموحات وحدة التحديات

تأليف ، محمد عابد الجابري واخرون . بيروت ١٩٩٤ ، ١٧٧ صفحة .

★ وقائع بحوث المؤتمر المكتبي الثالث

اعددا ، جامعة الموصل ، الموصل ١٩٧٦ ، ٣٢٢ صفحة .

★ الوقائع الكاملة للندوة العلمية ورقة عمل البيان السياسي للمؤتمر القطري العاشر . اعدته وزارة التربية ، بغداد ١٩٩٢ ، ٥٧ صفحة .

★ هكذا علمتني الحياة

تأليف ، الدكتور مصطفى السباعي ، القاهرة ١٩٧٢ ، ٢٧٢ صفحة .

كتب الفن

★ البطنة البرية

تأليف ، هنريك ابسن ، الكويت ١٩٣ صفحة ٠

★ ثلاث تمثيليات للتلفزيون

تأليف ، باري تشايفسكي ، ترجمة صلاح عز الدين ، مراجعة عبدالحليم البشلاوي ، القاهرة ١٩٧٧ ، ٢٢٣ صفحة ٠

★ الحارس (مسرحية)

تأليف ، هارولد بنتر ، بيروت ١٩٧٨ ، ٣٨٤ صفحة ٠

★ راشومون (مسرحية)

تأليف ، ديونوسوكي اكوتاجاوا ، ترجمة ، عبدالحليم البشلاوي ، القاهرة ، ١٤٥ صفحة ٠

★ الزواج (مسرحية)

تأليف ، جورج برناردشو ، ترجمة عبدالحليم البشلاوي ٠ القاهرة ٢٠٠ صفحة ٠

★ السونيات

تأليف ، وليم شكسبير ، ترجمة ، جبر ابراهيم جبرا ، بغداد ١٩٨٦ ، ١١٣ صفحة ٠

★ صيف ودخان (مسرحية)

تأليف ، تيس وليامز ، ترجمة عبدالقادر القط القاهرة ١٩٨٤ ، ١٥٩ صفحة

★ الشعر والرسم

تأليف ، فرانكلين د٠ روجرز ، ترجمة ، مي مصطفى ، بغداد ١٩٩٠ ، ٣١٠ صفحة ٠

★ الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية

تأليف ، الدكتور شوقي ضيف . القاهرة ١٩٧٩ ، ٣٣٣ صفحة .

★ عيوب التأليف المسرحي

تأليف ، وولتركسبر . ترجمة عبدالحليم البشلاوي القاهرة ، ٣٥٠ صفحة

★ الفن العسكري الاسلامي.

تأليف ، العميد الركن الدكتور ياسين سديد . بيروت ١٩٨٨ ، ٣٧٧ صفحة

★ الفن ومذاهبه في الشعر العربي

تأليف ، الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٨٧ ، ٥٢٣ صفحة .

★ الفنون الاسلامية

تأليف ، م.س. ديماند ، ترجمة احمد محمد عيسى مراجعة الدكتور احمد شكري . مصر ١٩٥٨ ، ٣٤٩ صفحة .

★ المخرج في المسرح المعاصر

تأليف ، سعد اردش ، الكويت ١٩٧٩ .

★ المسرح الحديث

تأليف ، أريك بنتي ، ترجمة محمد عزيز رفعت ، بيروت ٥٠٤ صفحة ، ج١ - ج٢ × م١ .

★ مسرحية السائقة

تأليف ، تشارلزم ونرو ، ترجمة انور المشري القاهرة ١٦٧ صفحة .

★ مسرحيات شوقي

تأليف ، محمد مندور . القاهرة ١٩٧٠ ، ١١٢ صفحة .

★ مع الموسيقى ، ذكريات ودراسات

تأليف ، الدكتور فؤاد زكريا . بغداد ١٨٧ صفحة .

★ مقدمة في العمارة القبطية

تأليف ، حجاجي ابراهيم محمد . القاهرة ١٩٨٤ ، ٢٠٥ صفحة .

★ الكلاسيكية الفنية للدراما

تأليف ، الدكتور محمد مندور ، القاهرة ١٩٨٣ ، ١٠٤ صفحة .

★ الكوميديا والتراجيديا

تأليف ، محمد احمد خلف الله . الكويت ١٩٧٩ ، ٢٦٩ صفحة .

★ من الادب التمثيلي اليوناني

تأليف ، طه حسين ، بيروت ١٩٧١ ، ٣٨٤ صفحة .

★ الموسيقا الاندلسية المغربية (فنون الاداء)

تأليف ، عبدالعزيز عبدالجليل . الكويت ١٩٨٨ ، ٢٧١ صفحة .

★ ميراث الريح (مسرحية)

تأليف ، ميرون لورنس ، ترجمة صلاح عز الدين ، القاهرة ١٤٧ صفحة.

★ النقد السينمائي

تأليف ، علي شلش ، القاهرة ١٩٧١ ، ١٣١ صفحة .

★ الينبوع (مسرحية)

تأليف ، يوجين أونيل ، ترجمة صلاح عز الدين القاهرة ١٩٧٧ ، ١٤٢ صفحة

كتب اللغــة العــربية

★ ابن خالويه وجهوده في اللغة مع تحقيق كتاب شرح مقصورة ابن دريد

دراسة وتحقيق ، محمد جاسم محمد الدرويش ، بيروت ١٩٩٠ ، ٥٩٩ صفحة

★ أطياب من كلام العرب

تأليف ، حسن فتحي ديندش . لبنان ، ١٨٣ صفحة .

★ افكار وآراء حول اللسانيات والادب

تأليف ، رومان ياكوبسن ، ترجمة ، عبدالجبار محمد علي وفاح صدام الامارة ، بغداد ١٩٩٠ ، ١٧٣ صفحة .

★ ألفية ابن مالك

تأليف ، محمد بن عبدالله بن مالك ، القاهرة ١٩٣٢ ، ٨٠ صفحة .

★ اساس البلاغة

تأليف ، ابي القاسم عمر الزمخشري ، القاهرة ١٩٦٠ ، ج١ — ج٢×م١ .

★ الاسلوب (دراسة بلاغية)

تأليف ، احمد الشايب ، مصر ١٩٣٩ ، ١٩٦ صفحة .

★ اسماء الاسد

تأليف ، ابن خالويه ، تحقيق ، محمود جاسم الدرويش ، بيروت ١٩٨٩، ٤٠ صفحة .

★ اضواء على لغتنا السمحة

تأليف ، محمد خليفة التونسي ، نسخة مصورة ، ٢٣٩ صفحة .

★ الافعـــال

تأليف ، ابي القاسم ابن القطاع ، بيروت ١٩٨٣ ، ج١ ، ٤٠١ صفحة .

★ الالفاظ المترادفة

تأليف ، ابي الحسن علي بن موسى الرابتي ، شرح ، محمد محمود الرافعي، نسخة مصورة ، ٤٨ صفحة .

★ الالفاظ الكتابية

تأليف ، عبدالرحمن بن عيسى الهمداني ، اعتنى بضبطه الاب لويس شيخو اليسوعي . مطبعة المعارف الجديدة ١٩١٣ ، ٢٣٩ صفحة .

★ الالفاظ الكتابية

تأليف ، عبدالرحمن بن عيسى الهمداني ، طبع في تونس ١٩٨٠، ٣٠٩ صفحة

★ الامـالي

تأليف ، ابي علي القالي ، اسماعيل ابن القاسم البغدادي بيروت ، ج١ — ج٢×م١ ، ٣٢٦ صفحة .

★ الامثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الاداب السامية الاخرى
تأليف ، عبدالمجيد عابدين ، مصر ١٩٨٩ ، ١٢٤ صفحة •

★ امثال العرب
تأليف ، المفضل بن محمد الضبي • تحقيق احسان عباس • بيروت ١٩٨٣ ، ٢٢٦ صفحة •

★ الاملاء المختصر في شرح ريب السير
تأليف ، ابي ذر مصعب بن ابي بكر الخشني تحقيق ، الدكتور عبدالكريم خليفة • الاردن ١٩٩١ ، ج١ — ج٣×٣م •

★ أوضح المسالك الى ألفية بن مالك
تأليف ، عبدالمتعال الصعيدي ، بيروت ١٩٨٢ ، ٣٣٦ صفحة •

★ الايضاح في علوم البلاغة
تأليف ، الامام الخطيب القزويني ، بيروت ١٩٨٣ ، ط ج٢×١م ،

★ بحوث ودراسات في اللغة وتحقيق النصوص
تأليف ، الدكتور حاتم صالح الضامن ، بغداد ١٩٩٠ •

★ بقية التنبيهات على اغلاط الرواة
تأليف ، علي بن حمزة البصري ، تحقيق ، الدكتور خليل ابراهيم العطية ، بغداد ١٩٩١ ، ٢٢١ صفحة •

★ تاج العروس من جواهر القاموس
تأليف ، الزبيدي ، تحقيق ، عبدالستار احمد فراج ، الكويت ، ج١ — ١٠×١م •

★ تاج العروس من جواهر القاموس
تأليف ، محمد مرتضى الزبيدي الحسيني ، تحقيق ، عبدالستار احمد فراج وآخرون • الكويت ج١ — ج٢٦×٢٦م (دورة كاملة) •

★ تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد .

تأليف ، ابن هشام الانصاري ، بيروت ١٩٨٦ ، ٦١٨ صفحة .

★ تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام

تأليف ، وليد محمد مراد . بيروت ١٩٨٤ ، ٤٩٤ صفحة .

★ تعليق على مقال الدكتور سعيدان (حول ابجدية عربية صالحة) ،

تأليف ، الدكتور حكمة علي الاوسي . مستل من مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٠ .

★ تقويم اللسان

تألف ، ابن الجوزي ، تحقيق عبدالعزيز مطر القاهرة ، ٢٧١ صفحة .

★ تكملة المعاجم العربية

تأليف ، رينهارت دوزي ، تحقيق الدكتور سليم النعيمي ، بغداد ١٩٩١ ، ج٦ — ج٧ .

★ تكميلات للقواميس العربية ا

تأليف ، أ . فانيان . لبنان بيروت ، ١٩٣ صفحة .

★ تهذيب اصلاح المنطق

تأليف ، ابي زكريا بن علي الخطيب التبريزي ، تحقيق ، فوزي عبدالعزيز مسعود ، بغداد ١٩٩١ .

★ ثنائية الالفاظ في المعاجم العربية وعلاقتها بالاصول الثلاثية

تأليف ، امين فاخر ، مصر ١٩٧٨ ، ٣١١ صفحه .

★ الجمل في النحو

تأليف ، ابي القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي تحقيق ، علي توفيق الحمد ، بيروت ١٩٨٨ ، ٤٦٦ صفحة .

★ الجمل في النحو

تأليف ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق ، فخر الدين قباوة ، بيروت ١٩٨٥ ، ٣٧٦ صفحة .

★ حاشية الشافعي على شرح الفاكهي المسمى بمجيب النداء على شرح قطر الندى

تأليف ، ياسين بن زين الدين الشافعي ، مصر ، ج١ ـ ح٢×م٢ ، ١٨٠ + ١٩٦ صفحة .

★ حاشية الأمير علي على متن مغنى اللبيب لابن هشام الانصاري

تأليف ، محمد الامير علي . مصر ١١٨٨ هـ ، ١٣٦ صفحة .

★ حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث .

تأليف ، الدكتور محمد ضاري حمادي ، دار الرشيد للنشر ١٩٧٩ ، ٣٦٦ صفحة .

★ حركة التعريب في العراق

تأليف ، الدكتور احمد مطلوب ، الكويت ١٩٨٣ ، ٢٥٥ صفحة .

★ حقيقة الإعلال والاعراب

تأليف ، راسم الضمان . المانيا ١٩٩٠ ، ٢٨٨ صفحة .

★ حول صياغة فعول فن الفعل تقل صفة لما يمكن نقله أو انتقاله

تأليف ، احمد شفيق الخطيب ، بيروت ١٩٩٢ .

★ الخصائص

تأليف ، ابن جني ، ابو الفتح عثمان . تحقيق ، محمد علي النجار بغداد ، ١٩٩٠ ، ج١ ث ٣×م٣ .

★ دراسات في المعجم العربي

تأليف ، ابراهيم بن مراد ، بيروت ١٩٨٧ ، ٣٩٨ صفحة .

★ الدروس العربية

تأليف ، الشيخ مصطفى الغلاييني ، بيروت ١٩١٢ ، ٤٣٠ صفحة .

★ ذيل الامالي والنوادر

تأليف ، ابي علي القالي ، اسماعيل بن القاسم . بيروت ٢٤٤ صفحة .

★ الرد على النحاة

تأليف ، ابن مضاء القرطبي ، تحقيق شوقي ضيف ، نسخة مصورة .

★ رسالتان في اللغة (منازل الحروف والحدود)

تأليف ، ابن الحسن عيسى الرماني . تحقيق ، الدكتور ابراهيم السامرائي ، عمان ١٩٨٤ ، ٨٤ صفحة .

★ رسالة في الافصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الايضاح

تأليف ، ابن الطراوة النحوي . تحقيق ، الدكتور حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٩٠ ، ١٣٠ صفحة .

★ الزمن في النحو العربي

تأليف : الدكتور كمال ابراهيم بدوي ، الرياض ١٤٠٤ هـ .

★ سلم الدروس العربية

تأليف ، الشيخ مصطفى الغلاييني ، مصر ١٩٢٥ ، ١٢٠ صفحة .

★ سهم الالحاظ في وهم الالفاظ

تأليف ، ابن الحنبلي . تحقيق ، الدكتور حاتم صالح الضامن . بيروت ١٩٨٨ ، ٩٠ صفحة .

★ سيكولوجية اللغة والمرض العقلي

تأليف ، جمعة سيد يوسف ، الكويت ١٩٩٠ ، ٢٩٨ صفحة .

★ شرح شذور الذهب

تأليف ، عبدالله بن هشام الانصاري . تحقيق ، محمد عبدالحميد ، القاهرة ، ٤٨٠ صفحة .

★ شرح التصريح

تأليف ، ابن هشام اللخمي . تحقيق ، مهدي عبد جاسم بغداد ، ١٩٨٨ ، ٤١٦ صفحة .

★ شرح الفصيح في اللغة

تأليف ، ابي منصور ابن الجبـان ، تحقيق ، عبدالجبار جعفر القـزاز ، بغداد ، ١٩٩١ ، ٤٠٦ صفحة •

★ شرح المراح في التصريف

تأليف ، بدر الدين محمود بن احمد العيني ، تحقيق عبدالستار جـواد ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ٢٧٦ صفحة •

★ شرح اللمع

تأليف ، ابن برهان العكبـري • تحقيق ، فائـز فارس الكويت ١٩٨٤ ، ٣٢٥ صفحة •

★ الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي

تأليف ، محمد بركات حمدي ابو علي ، الكويت ١٩٨٣ •

★ العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف السين)

تأليف ، الصاغاني ، تحقيق ، الشيخ محمد حسن آل ياسين • بغـداد ١٩٨٧ ، ٥٨١ صفحة •

★ العربية والحداثة

تأليف ، محمد رشاد الحمزاوي ، بيروت ١٩٨٦ ، ٢٣١ صفحة •

★ علم اللغـة

تأليف ، الدكتور حاتم صالح الضامن ، الموصل ١٩٨٩ ، ١٦٨ صفحة •

★ علوم البلاغة

تأليف ، احمد مصطفى المراغي ، مصر ١٩٣١ ، ٤٠٧ صفحة •

★ فائت الفصيح

تأليف ، ابي عمر الزاهد (غلام ثعلب) تحقيق ودراسة الدكتور محمـد عبدالقادر احمد ، القاهرة ١٩٨٦ ، ٨٥ صفحة •

★ الفـرق

تأليف ، ابن فارس اللغوي ، تحقيق ، رمضان عبدالتواب ، القاهرة ١٩٨٢

★ الفعل في لغتنا الكريمة

تأليف ، جميل الخالصي ، بغداد ١٩٨١، ١٣٧ صفحة •

★ فقــه اللغــة

تأليف ، الدكتور حاتم صالح الضامن ، الموصل ١٩٩٠ ، ٢٠٥ صفحة

★ فقــه اللغــة العــربية

تأليف ، الدكتور كاصد ياسين الزيدي . الموصل ١٩٨٧ ، ٥١٢ صفحة •

★ فقــه اللغــة العــربية وخصائصها

تأليف ، أميل بديع يعقوب ، بيروت ١٩٨٣ ، ٢٨٧ صفحة •

★ في التعريب والمعرب وهو المعروف بحاشية ابن بري على كتاب المعرب

تأليف ، ابن الجواليقي ، اخراج وتقديم ، الدكتور ابراهيم السامرائي ، بيروت ١٩٨٥ ، ١٨٠ صفحة •

★ في المعجمية العربية المعاصرة ، بحوث ودراسات •

اصدرتها جمعية المعجمية العربية بتونس (وقائع ندوة) تونس ١٩٨٦ ، ٦٦٩ صفحة •

★ في المعجمية العربية

تأليف ، احمد فارس الشدياق ، بيروت ١٩٨٧ ، ٦٦٩ صفحة •

★ في الفقه اللغوي

تأليف ، الدكتور عبدالعزيز مطر ، الدوحة ١٩٨٧ •

★ كتاب ادب المملى

اعداد ، جمعية تأليف الكتب العربية ، القاهرة ١٩١١ •

★ كمال البلاغة

تأليف ، عبدالرحمن بن علي البزدادي • القاهرة ١٣٤١ هـ

★ كلمات عربية انجليزية دخيلة

تأليف ناجية مراتي ، بغداد ١٩٩٠ ، ١٦٥ صفحة •

★ الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية

تأليف ، الكفوي ، ايوب بن موسى ، دمشق ١٩٨١ ، ج١ – ج٥ × م٢ ، ١٩٨٢ .

★ اللغات الاجنبية تعليمها وتعلمها

تأليف ، علي حجاج ، الكويت ١٩٨٨ ، ٢٧١ صفحة .

★ لغة الجرائد

تأليف ، ابراهيم اليازجي ، مصر ، ١٣٦ صفحة .

★ اللغة الاكدية البابلية الاشورية تاريخها وتدوينها وقواعدها

تأليف ، الدكتور عامر سليمان ، بغداد ١٩٩١ ، ٤٠٨ صفحة .

★ اللغة الالمانية لابناء العربية

تأليف ، الدكتور فرتشد شتيان ، القاهرة ١٩٥٨ ، ج٣ ، ١١٢ صفحة .

★ اللغة العربية وتحديا العصر

تأليف ، ريمونه طمانه ، وديز بيطاء طمانه ، بيروت ١٩٨٢ ، ٢٣٠ صفحة.

★ اللغة العربية ومكانها في اقليم خوارزم

تأليف ، الدكتور هند حسين طه ، بغداد ١٩٨٠ .

★ اللسانيات في خدمة اللغة العربية

اعداد ، لجنة في الجامعة التونسية ، تونس ١٩٨٣، ٤٠٦ صفحة +٥٧ صفحة

★ اللهجات العربية الغربية القديمة

تأليف ، شايم رابني . ترجمة عبدالرحمن ايوب ، الكويت ١٩٨٦ ، ٤١٣ صفحة .

★ لهجة قبيلة اسد

تأليف ، علي ناصر غالب ، بيروت ١٩٨٩ ، ٢٨٠ صفحة .

★ المأثور في اللغة ، وما اتفق لفظه واختلف معناه
تأليف ، ابن العميثل الاعرابي ، تحقيق ، محمد عبدالقادر احمد ، القاهرة ١٩٨٨ ، ١٩٢ صفحة .

★ المبدع الملخص من الممتع
تأليف ، ابي حيان الاندلسي ، تحقيق ، مصطفى احمد الخاش ، القاهرة ١٩٨٣ .

★ المبني للمجهول في الدرس النحوي والتطبيق في القرآن الكريم
تأليف ، الدكتور محمود سليمان ياقوت ، القاهرة ١٩٨٩ ، ١٨٨ صفحة .

★ متن الازهرية
تأليف ، خالد عبدالله بن ابي بكر . القاهرة ، ٢٨ صفحة .

★ محاضرات وتأملات في اللغة
تقديم ، جوحسنكي ، ترجمة ، مرتضى جواد باقر وعبدالجبار محمد علي ، بغداد ١٩٩٠ .

★ مدخل في اللسانيات
تأليف ، صالح الكشو . الدار العربية للكتاب ١٩٨٥ .

★ المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي
تأليف ، رمضان عبدالتواب ، مصر ، ١٩٨٥ .

★ مختصر العين
تأليف ، ابي بكر الزبيدي الاشبيلي ، تحقيق صلاح مهدي الفرطوسي ، بغداد ١٩٩١ ، ٣٩٥ صفحة .

★ مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه
عني بنشره ، برجستراسر ، مطبوعات دار الهجرة ، ٢٢٨ صفحة .

★ مسائل لغوية في مذكرات مجمعية
تأليف ، الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد ١٩٩٣ ، ١٥٨ صفحة •

★ المصطلح المشترك
تأليف ، ادريس الناقوري ــ الكويت ١٩٨٥ •

★ معاني النحو
تأليف ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، الموصل ١٩٨١ ، ج١ ــ ج٤×م٢ •

★ مع نهج البلاغة (دراسة ومعجم)
تأليف ، الدكتور ابراهيم السامرائي ، الاردن ١٩٨٧ •

★ المغني في تصريف الافعال
تأليف ، محمد عبدالخالق عظمة • مصر ١٩٥٥ •

★ المقتصد في شرح الايضاح
تأليف ، عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق ، كاظم بحر المرجان ، بغداد ١٩٨٢ •

★ المقصور والممدود
تأليف ، ابن السكيت ، تحقيق ، محمد محمد سعيد ، القاهرة ١٩٨٠ ، ١٥٠ صفحة •

★ مغني اللبيب
تأليف ، ابن هشام الانصاري ، بيروت ، ٧٠٠ صفحة ، ج١ ــ ج٢×م٢ •

★ ملحمة الاعراب
تأليف ، ابي القاسم الحريري ، القاهرة ١٩٧٤ •

★ الممدود والمقصور
تأليف ، ابي الطيب الوشاء ، تحقيق ، رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٧٩

★ من تراثنا اللغوي القديم ، ما يسمى في العربية بالدخيل
تأليف ، طه باقر ، بغداد ١٩٨٠ •

★ مناهج واراء في لغة القرآن

تأليف ، محمد بركات حمدي ابو علي . عمان ١٩٨٤ .

★ منهج ابي سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه

تأليف ، محمد عبدالمطلب البكاء . بغداد ١٩٩٠ .

★ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي

تأليف ، ابن تغري بردي الاتابكي . بيروت ١٩٥٦ ، ٤٣٤ صفحة .

★ النحو الوافي

تأليف ، عباس حسن ، القاهرة : ١٩٨٠، ج١ ــ ج٤×م٢ .



بسم الله الرحمن الرحيم

التقرير الختامي
للسنة المجمعية ١٩٩٣ – ١٩٩٤

قدمه رئيس المجمع
الدكتور صالح أحمد العلي

بحمد الله وشكره نختتم السنة المجمعية وقد كانت من طلائعها بشائر الخير في لقاء أعضاء المجمع السيد الرئيس القائد حفظه الله ورعاه في جلستين متعاقبتين طويلتين تحدث فيهما رئيس المجمع وعدد من اعضائه عن رسالة المجمع ومنجزاته واوضاعه القائمة وطموحاته ، واصغى السيد الرئيس بمظهر تقديره لمكانة المجمع ومنجزاته،وكان من مظاهر هذا التقدير تفضله بالأمر برفع مكافأة رئيس المجمع الى ثلاثة آلاف دينار شهرياً ، ومكافأة الاعضاء الى ألفي دينار شهرياً ، ورصد مبلغ ربع مليون دينار لشراء ورق طباعة ، وتجهيز المجمع بحسابة وطابعة ليزر وطابعتين بالحروف العربية واللاتينية ، وبرصد مبالغ من المال لتشييد عاجل لبناية اضافية ، وترميم الابنية القائمة ، واكمال تأثيثها بالتجهيزات اللازمة. ولا ريب في أن انجاز الأعمال المقتضية لذلك سيزيح كثيراً مما يعانيه المجمع ويعوق عمله في تحقيق اهدافه .

وقد قابل رئيس المجمع واعضاؤه التفاتة السيد الرئيس القائد ببالغ التقدير ، وكانت دافعاً اضافياً لمضاعفة الجهود في متابعة اعمالهم على تحقيق أهداف المجمع ورسالته في الحفاظ على اللغة العربية ، وتوضيح معالم حضارة الأمة ، وتوجيه الفكر والثقافة الى ما يحقق مستقبلا زاهراً للامة .

ولقد لقيت التفاتة الرئيس تقديراً عاماً واسعاً ، أذ أنها عبرت عن اهتمامه بانماء الفكر والثقافة المتوجهة على اسس علمية تعزز مكانة الأمة ومسيرتها ، وتسهم في تقويض الحصار الجائر الذي لم يقتصر على حرمان الأمة من مقومات حياتها المعاشية فحسب ، وانما امتد الى زعزعة المتطلبات الأساسية لانماء الفكر وتعميق الثقافة .

جلسات مجلس المجمع

حدث تطور واسع في أعمال جلسات المجمع بسبب زيادة عدد الجلسات المفتوحة والندوات واعتبارها جزءاً من جلسات المجمع ، ومرجع القرار في ذلك أن هذه الجلسات والندوات تعالج موضوعات مما يعنى به المجمع ويحقق أغراضه في توضيح معالم الفكر وانمائه ، وهي تقوم على أبحاث أعضاء المجمع وعدد من المفكرين خارجه ممن يحضرها ويشاركون في القائها أو مناقشتها ، بالاضافة الى أن أبحاثها تطبع لتوزع على المعنيين من مؤسسات ومفكرين في العراق وأرجاء البلاد الاخرى مما ييسر نشر أفكارها وبقاء أثرها .

وقد أقر مجلس المجمع بعد مناقشة مستفيضة في الجلستين الثانية والثالثة تأليف لجنة من سبعة من الاعضاء عرفوا باهتمامهم الخاص بأمر الابحاث ، لتنظيم الجلسات المفتوحة والندوات ، وخول اللجنة الصلاحيات اللازمة لاداء عملها .

قرر مجلس المجمع في جلسته السابعة اعتبار الجلسات المفتوحة والندوات جلسات مجمعية ينتظم فيها الانعقاد صباح الثلاثاء الا في الأحوال الاستثنائية التي تقتضي بعقدها أيام الاثنين ، اما الجلسات الاعتيادية فقد بلغت عشر جلسات نوقشت في الأولى والثانية منها الخطة المرحلية للسنة المجمعية الحالية ، فبحث في الجلسة الاولى وضع اللجان ومؤهلات خبرائها ، وكفاياتها ، والحاجة الى لجان جديدة ، وتوفير المستلزمات المادية ، والى خطط مفصلة لمشروعات دراسات

فكرية تقدم عما ينجز منها تقارير فصلية أو سنوية، وجرى التأكيد على وجوب اعتماد اللجان على أحدث المعاجم والمراجع وعلى ما تم عمله في جهات اخرى •

وفي الجلسة الثانية بحث المجلس موعد انعقاده ومؤهلات خبراء اللجان واهمية اقرار برنامج عمل واضح ، كما بحث بعض ما يتصل بالجلسات المفتوحة والندوات وموعد انعقادها والمكافآت عليها • واقر المجلس تأليف لجنة لاعداد الجلسات المفتوحة والندوات ، واعتبارها من اللجان المؤقتة من دون ان تتقيد بموعد ثابت للاجتماع أو عدد محدد من الاجتماعات •

واطلع المجلس على مذكرة قدمها الدكتور منذر الشاوي عن تصوره لتنظيم العمل واللجان في المجمع •

وفي الجلسة الثالثة بحث في نطاق أعمال اللجنة الثقافية وقراراتها اقامة حفلة لتكريم الاستاذ محمد بهجة الأثري، وتوضيح نطاق اعمال اللجان واعضائها وأصناف اللجان من حيث كونها دائمية أو مؤقتة واعمالها في إعداد المصطلحات والبحوث العلمية : والحاجة الى زيادة عدد اللجان •

وفي الجلسة الرابعة بحث المجلس العلاقات الثقافية بين العراق والمغرب في ضوء حديث للاستاذ احمد مطلوب عن ندوة الأكاديمية المغربية عن التعريب ، وتمت الاشارة الى الصلات الثقافية مع المغرب في الأزمنة الماضية والحاضرة ، والتوجيهات الفكرية المعاصرة في بلاد المغرب وامتدادها الى العراق ، ومدى انتشار المطبوعات العراقية في المغرب ، والعلاقات مع الاكاديمية في المغرب والمؤسسات العلمية ورجالها ، وتقرر في هذه الجلسة ان تسمى إحدى قاعات المجمع قاعة محمد بهجة الأثري وترفع صورة كبيرة له بها •

وفي الجلسة الخامسة بحث المجلس إعداد المصطلحات العلمية ، وأبديت ملاحظات على المعاجم التراثية وأهميتها وحدود المفردات التراثية في مادتها ، والحاجة الى جرد شامل للمستعمل من اللغة العربية ولاسيما في ميادين العلوم والحياة الحضرية ، وضرورة زيادة العناية بدراسة الفصحى وتعميم استعمالها •

ونوقشت في الجلسة السابعة الجلسات المفتوحة واعمال اللجنة الثقافية

وفي الجلسة الثامنة بحث المجلس الحركة الفكرية في اليمن استكمالا لحديث ألقاه الاستاذ نوري حمودي عرض فيه بعض ملاحظات عما شاهده في زيارته للقطر ، وعرضت في المجلس معلومات عن إسهام أهل اليمن في الحركة الفكرية إبان العهود الاسلامية المزدهرة والعلاقات الحضارية والثقافية بين العراق واليمن واسهام الباحثين العراقيين المحدثين في دراسة تاريخ اليمن وحضارته .

وفي الجلسة الحادية عشرة بحث المجلس إعداد المصطلحات والمعاجم ، وجهود مركز تنسيق التعريب، وعرض الدكتور جميل الملائكة اراءه عن الندوة التي عقدت في السودان لدراسة أربعة معاجم أعدها المركز المذكور .

وفي الجلسة الحادية عشر جرى انتخاب اعضاء ديوان الرئاسة تنفيذا للفقرة الثانية من المادة الحادية عشر من قانون المجمع العلمي العراقي التي تنص على اجرائه كل ثلاث سنوات وجرى الانتخاب بالاقتراع السري، وكانت نتيجته تجديد انتخاب الاستاذ عبد العزيز البسام نائباً أول للرئيس ، والاستاذ جميل الملائكة نائباً ثانياً ، وحصل كل منهما على اجماع اصوات الحاضرين ، وانتخب كل من الاستاذ علي عطية والاستاذ ضياء شيت عضوين في ديوان الرئاسة ، وحصل كل منهما على أصوات الحاضرين ناقصاً صوتاً واحداً .

وجددت الهيئة الكردية انتخاب الدكتور جوامير سليم رئيسا بالاجماع ، وانتخب المطران اندراوس صنا رئيساً للهيئة السريانية بالاجماع .

ديوان الرئاسة في المجمع

عقد ديوان رئاسة المجمع سبع عشرة جلسة بحث فيها اموراً إدارية ومالية وتنظيمية ضمن واجباته التي حددها قانون المجمع وراعى في قراراته تيسير العمل وزيادة الكفاءة لضمان تحقيق متطلباته العلمية وتخطي المعوقات التي فرضتها الأحوال الناجمة عن آثار الحصار الجائر ، وارتفاع الاسعار الاستثنائي

المتابع وآثاره في فقدان بعض المواد الاساسية للعمل ، وندرة بعضها وزيادة كلفتها ، ومنافسة القطاع الخاص .

أقر ديوان الرئاسة اعتبار غياب العضوين العاملين البطريرك زكا عيواص وبشار عواد عن حضور جلسات المجمع بعذر مشروع ، واعتبر مرض الاستاذ محمد تقي الحكيم عذراً مشروعاً لغيابه عن حضور جلسات المجمع ، واطلع على قرار إعفاء الدكتور يوسف عز الدين من عضوية المجمع لانقطاعه عن حضور جلسات المجمع وعدم تقديمه عذراً مشروعاً يبرر انقطاعه ، وقد ابلغه المجمع بهذا القرار ومسوغاته وثمن خدماته للمجمع عندما كان أميناً عاماً في مجالسه السابقة ، ومشاركاته في أعماله العلمية .

وأقر عقد الجلسات المفتوحة والندوات وسبل تعزيز العلاقة بالمؤسسات ذوات الأهداف المتصلة بأهداف المجمع وأعماله ، كما أقر قوائم أسماء خبراء لجان المجمع التي قدمها مقررو اللجان .

وأقر ايفاد الدكتور جميل الملائكة لحضور ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العلمي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد ، وكذلك الندوة المنعقدة في الخرطوم لاقرار مشروع أربعة معاجم أعدها مركز تنسيق التعريب ، كما اقر ترشيح الدكتور احمد مطلوب لعضوية اللجنة المركزية لتعميم طلبات بحوث المتقدمين لشمولهم بقانون رعاية العلماء والمفكرين ، وأقر طبع كتاب « المعجم السرياني » ضمن مطبوعات المجمع .

وأقر ديوان الرئاسة مشروع ميزانية المجمع تمهيداً لتقديمها الى الجهات المختصة واقرارها ، واطلع على الزيادات المتابعة على ميزانية المجمع .

وأقر رفع مكافآت اعضاء اللجان ومقرريها وخبرائها ، ومكافآت المنتسبين الى المجمع والمستخدمين فيه ، وأقر أيضا رفع مكافآت مؤلفي الكتب التي يطبعها المجمع ، وكتاب المقالات المنشورة في مجلته ، كما أعاد النظر في أسعار

مطبوعاته المعروضة للبيع ، وراعى في ذلك ارتفاع تكاليف المـواد والسلـع والخدمـات .

وأقر تعيين عدد من المؤهلين على الملاك الدائم لموظفي المجمع لسد حاجاته ومراعاة للاقلال في استخدام العقود المؤقتة .

وأقر منح اعضاء المجمع الذين تجرى لهم عمليات في المستشفيات مبلغاً قدره ألف وخمسمائة دينار ؛ وتنفذ القرار فمنح الدكتور جوامير سليم والدكتور جميل الملائكة والدكتور يوسف حبي المعاونة المذكورة .

وأقر تكليف الدكتور جوامير مجيد سليم متابعة تطور مشروع تطويـر مبنى اجمع في الخطة الاستشارية والاشراف على الابنية والترميمات والتنسيق بين الشركات ومتابعتها ، وتكليف السيد هادي نجم متابعة اعمال البنـاء والترميمات ومنحهما مكافأة الاشراف على الاعمال المذكورة .

وأقر تنسيب السيد عبدالكريم عبدالمجيد لمتابعة الاعمال الكهربائية التي تقوم بها الشركات المختصة في تطوير بنايات المجمع .

وأقر العقد المبرم مع المكتب الاستشاري القائم بأعمال الصيانة والترميمات واطلع على العطاءات المقدمة لشراء الورق وشراء الأثاث وترميم المطبوب وأقر منحها لمن تقدم بأوطأ الاسعار .

اللجنـة الثقـافية

أقر مجلس المجمع في جلسته الثالثة تأليف لجنة من الأساتذة عبد العزيـز البسام وسعدون حمادي ومنذر ابراهيم الشاوي وجميل الملائكة وجوامير مجيد سليم وعلي المياح ونوري حمودي القيسي ، وان يضم اليها عدنان عبد الرحمن الدوري ، لتقوم بتنظيم شؤون الندوات والجلسات المفتوحة وتقديم المقترحات التي تراها مناسبة لذلك ، وأن تزود بالوسائل المتوفرة المادية والبشرية اللازمـة لتيسير عملها ، وخول المجلس هذه اللجنة جميع الصلاحيات لتمكينها من أداء

المهمات التي تنيطت بها ، وقررت اللجنة اختيار الدكتور نوري حمودي مقرراً لهـا .

عقدت اللجنة الثقافية خمسة وثلاثين اجتماعاً بحثت فيها موضوعات علمية مختلفة للندوات والجلسات المفتوحة ، واقترحت تكريم الاستاذ محمد بهجة الأثري باعداد ندوة يشارك فيها عدد من الباحثين بأبحاث عن سيرته العلمية واسهاماته الفكرية وتقديم هدايا رمزية اليه .

وبحثت اللجنة سبل تنظيم الندوات واعداد مكان انعقادها ، واقتراح من توجه لهم الدعوات لحضورها ، وتنظيم طباعة الدعوات وتوزيعها ، وترتيب عقدها والتحدث فيها ، والمكافآت التي تمنح للمشاركين فيها والمسهمين في اعدادهـا .

الجلسات المفتوحة

عقد المجمع خلال السنة المجمعية الحالية سبع جلسات مفتوحة ألقى في كل منها باحث من أعضاء المجمع العاملين بحثاً في موضوعات تتصل باغراض المجمع، وأعدت لكل جلسة بطاقات دعوة وزعت على المعنيين بالفكر من افراد ومؤسسات ، وحضر كل جلسة اعضاء المجمع وعدد من المعنيين بالفكر والبحث وخاصة في المواضيع التي تبحث في كل من هذه الجلسات ، ويجري حالياً طبع هذه المحاضرات في كتاب يجمعها . والمحاضرات التي القيت من هذه الجلسات السبع هي : ـ

١ ـ دور القاضي في الشريعة الأسلامية : للاستاذ ضياء شيت خطاب (١٩٩٣/١٢/١٤)

٢ ـ التشريعات المدنية في العراق : للدكتور حسن علي الذنون (١٩٩٣/١٢/٢٨)

٣ ـ النحو والتيسير : للدكتور فاضل صالح السامرائي (١٩٩٤/١/١٦)

٤ ـ متطلبات المصطلح العلمي وسبل اشاعته : للدكتور جميل الملائكة (١٩٩٤/٤/٥)

٥ ـ المصطلح الكيميائي العربي واشكالية المنهج : للدكتور عبد المجيد القيسي (١٩٩٤/٤/٢٦)

٦ ـ الطاقة النووية في تنمية المجتمع : للدكتور علي عطية (١٩٩٤/٥/١٠)

٧ ـ الرياضيات تراث ثقافي : للدكتور ريمون شكوري (١٩٩٤/٥/٣١)

الندوات :

عقد المجمع خلال السنة الحالية ثلاث ندوات عامة شارك في كل منها باحثون من أعضاء المجمع العاملين وغيرهم، وألقوا أبحاثاً في جوانب من موضوع الندوة ، وخصص لكل ندوة يومين متعاقبين ، وحضرها جمع من المفكرين والمعنيين ، وشارك عدد منهم في مناقشة الأبحاث والتعليق عليها بما يزيدها توضيحاً واغناءاً .

كرست الندوة الأولى لبحث (قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر) وعقدت يومي الثلاثاء والاربعاء (٢٠ ـ ٢١ شعبان ١٤١٤ الموافق ١ ـ ٢ شباط ١٩٩٤) ورأس جلسة اليوم الأول الاستاذ عبد العزيز البسام ؛ وألقى في الجلسة رئيس المجمع كلمة الافتتاح ثم ألقيت فيها أربعة أبحاث هي : ـ

١ ـ معوقات التفكير : مناقشة لدور التفكير في النهضة العربية للاستاذ سعدون حمادي .

٢ ـ جوانب من إشكالية الفكر العربي : للاستاذ إبراهيم زيد الكيلاني .

٣ ـ التعصب والتمركز الثقافي والعرقي : للاستاذ قيس النوري .

٤ ـ إشكالية العقلانية في الفكر العربي للأستاذ حسام الآلوسي .

ورأس جلسة اليوم الثاني الاستاذ علي محمد المياح والقيت فيها اربعة ابحاث :

١ ــ التربية وسيلة لمعالجة المعوقات : للاستاذ سارع الراوي •

٢ ــ علاقة المثقف بالجماهير : للاستاذ وميض عمر نظمي •

٣ ــ دور المفكر في صنع الاحداث : للاستاذ صالح جواد كاظم •

٤ ــ التعصب بواعثه وآثاره في التاريخ العربي الاسلامي : للاستاذ عماد عبدالسلام رؤوف •

وعقد المجمع ندوة في موضوع « الثقافة العربية والتحدي » يومي الثلاثاء والاربعاء في (٨ــ٩ ذي القعدة ١٤١٤ ، ١٩ــ٢٠ نيسان ١٩٩٤) • ورأس جلسة اليوم الاول الاستاذ جميل الملائكة ، وألقى فيها رئيس المجمع كلمة الافتتاح ، ثم القيت البحوث الاتية :

١ ــ القومية العربية والمثالية : مناقشة لموضوع (أنا ونحن) للاستاذ سعدون حمادي •

٢ ــ مكانة المثل العليا في الثقافة العربية في العصر الجاهلي : للاستاذ نوري حمودي القيسي •

٣ ــ العلاقة بين المثل العليا والواقع في الثقافة العربية خلال القرون العباسية المتأخرة : للدكتور عبدالستار الراوي •

وترأس جلسة اليوم الثاني الدكتور عبد العزيز البسام ، والقيت فيها البحوث التالية :

٤ ــ الفلسفة الذرائعية : عرض ونقد للاستاذ حسام الالوسي

٥ ــ منطق الصراع بين الذرائعية النفعية والعقلانية العربية للاستاذ علي حسين الجابري •

وقد وافق مشكورا مركز دراسات الوحدة العربية على دفع نفقات استضافة باحثين من خارج العراق لكل ندوة ، وعلى طبع محاضرهما وتوزيعها على نفقته .

وعقد يومي الثلاثاء والاربعاء (١٠ــ١١ ذي القعدة ١٤١٢ = ١٢ــ١٣ ايار ١٩٩٤) ندوة اعدتها هيئة اللغة السريانية لابحاث ودراسات بين العربية والسريانية ، القيت في اليوم الاول كلمة الافتتاح لرئيس المجمع ثم القيت الابحاث الاتية :

١ ــ الضمائر واصولها للمطران اندراوس صنا .

٢ ــ الثنائية ونشوء اللغة للاستاذ بنيامين حداد .

٣ ــ الأوزان المزيدة للاستاذ محمد عبداللطيف .

٤ ــ الانتقال الصوتي للاستاذ خالد اسماعيل علي .

والقيت في اليوم الثاني البحثان التاليان :

٥ ــ التواصل الحضاري والفكري للاستاذ يوسف حبي .

٦ ــ الادب السرياني : انماطه وتأثره بالعربية للاستاذ يوسف قوزي .

وجرت في هذه الندوة مناقشات وتعليقات واراء أسهم فيها عدد من الحضور . ويقوم المجمع بطبع هذه الأبحاث في كتاب مستقل يوزع تأمينا لتعميم فائدتها .

حفل تكريم الاستاذ محمد بهجة الاثري

أقام المجمع في مساء اليوم الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني حفلا تكريمياً لعضوه العامل الاستاذ محمد بهجة الأثري تقديراً لاسهاماته الموسوعية المغنية للميادين التي يعنى المجمع بدراستها ، وخدماته للمجمع ، وتعبيراً عن ثمينه مكانته في العراق واقطار الوطن العربي .

وقدمت في هذا الحفل هدايا تكريمية من المجمع ، ومن رئاسة جامعة بغداد ، ووزارة الاوقاف والشؤون الدينية • وأولت وسائل الاعلام اهتماما خاصا فنشرت عنه اخبارها الصحف واذاعته اجهزة الاذاعتين بتفاصيل تناسب مكانة الأستاذ الاثري •

وحضر الحفل جم غفير من زملاء الاستاذ الأثري وطلبته والمقدرين لعلمه وفضله ، والقيت فيه أبحاث توضح جوانب من سيرته العلمية وخدماته الواسعة واسهاماته في الفكر ، وشملت هذه الابحاث ما يأتي :

١ ــ كلمة تقديرية ألقاها رئيس المجمع
٢ ــ كلمة للاستاذ نوري حمودي القيسي •
٣ ــ الأثري : المتربي والمربي : للاستاذ عبدالعزيز البسام
٤ ــ الأثري الشاعر : للاستاذ أحمد مطلوب
٥ ــ الأثري والبحث اللغوي : للاستاذ حسام سعيد النعيمي
٦ ــ الأثري والتاريخ : للاستاذ صالح احمد العلي
٧ ــ الوطن في شعر الأثري : للاستاذ نوري حمودي القيسي
٨ ــ قصيدة للاستاذ مصطفى نعمان البدري
٩ ــ قصيدة للمحتفى به الاستاذ محمد بهجة الأثري

وطبع المجمع ما القي في هذا الحفل وما ضاقت مدة الحفل المحددة عن القائه من الدراسات التي قدمها اساتذة باحثون بكتاب يعمم الافادة منها ويجعلها مرجعاً للباحثين •

اعمال اللجان

لجنة اللغة العربية :

عقدت لجنة اللغة العربية تسعاً وثلاثين جلسة ، وأقرت في جلستها الاولى خطتها للسنة المجمعية الحالية ، وتشمل متابعة دراسة رد الألفاظ العامية الى

اصولها الفصيحة لاباحة استعمالها في الكتابات ، ودراسة الألفاظ الحضارية المستحدثة لمعانٍ وأغراض جديدة في ميادين السياسة والادارة والاجتماع والعلوم والآداب والفنون ، وتعريفها ، وإقرار الصحاح منها ، ومراجعة ما أنجزته اللجنة في الدورات السابقة من مواد ، ورد الألفاظ العامية الى اصولها الفصاح ، وتدقيقها زيادة في التثبت ، تمهيداً لنشرها ، ودراسة ما تحيله رئاسة المجمع على اللجنة من الاستفسارات التي ترد على المجمع من الجهات الرسمية وشبهها ، لاقرار الصحيح منها •

وراجعت اللجنة في رد الالفاظ العامية الى أصولها الفصيحة ما كانت قد درسته من المصطلحات ، وأضافت مائة وثلاثة وعشرين مصطلحاً جديداً • ودققت قوائم مصطلحات وردت من وزارة الصناعة والمعادن ، ووزارة الداخلية والجامعة التكنولوجية ، وكلية الآداب في الجامعة المستنصرية ، وعدلت ما ينبغي تعديله منها ، وبلغ عدد هذه المصطلحات اربعمائة وستون مصطلحاً علمياً ولفظاً حضارياً ونظرت في طلبات مفردة وردت من ديوان رئاسة الجمهورية ، وغرفة تجارة بغداد ، واتحاد الصناعات العراقية بخصوص الفاظ مفردة وعلامات تجارية ، فأقرت بعضها ، ورفضت ما وجدته بعيداً عن الفصيح منها •

لجنة الاصول :

أقرت لجنة الاصول خطة عملها للسنة المجمعية الحالية ، وهي دراسة ما يتعلق بأصول اللغة من نحو وصرف وبلاغة ، وتناول موضوعات دلالات الأسماء والأفعال ، وتدارس الصيغ والأبنية والسماع والقياس والتراكيب اللغوية • ودراسة الأساليب المعاصرة وتقويم ما انحرف منها عن الأسلوب القويم ، ولاسيما لغة الدواوين والصحافة ، وتمييز الدخيل من الأصيل في لغة المعاصرين والتنبه عليه، ودراسة ماشيع من أخطاء في لزوم الأفعال وتعديها،

وتعديتها بحروف الجر ، بالاضافة إلى موضوعات يتدارسها اعضاء اللجنة ويقدمون فيها دراسات لتناقشها اللجنة وتقر ما يتفق عليه منها ؛ وكذلك دراسة ما يحال على اللجنة من موضوعات .

صححت اللجنة مايشيع من أخطاء وأوهام في تعدي الأفعال ، أو لزومها ، أو تعديتها بحروف الجر ، او في دلالاتها ، مما يخص المواد : (أثر) و (أجر) و (أجل) و (أتي) و (أخذ) و (أخر) و (أخي) و (أدب) و (أدم) و (أدي) و (أرب) و (أرخ) و (أسف) و (أرب) و (أرض) و (أزر) و (أرم) و (أزم) و (أزي) و (أسي) و (أسس) و (أشر) و (أطر) و (ألف) و (أمر) .

وناقشت مذكرة قدمها خبير اللجنة محيي هلال السرحان عن استعمال كلمة (أمر) .

لجنة التاريخ والحضارة :

عنيت لجنة التاريخ والحضارة بدراسة المثل الاسلامية في القرآن الكريم، فبحثت المبادىء الأخلاقية الأساسية التي دعا اليها ، ودعوة الانسان الى التمسك بالوفاء والعهد ، والصبر عند الشدائد ، والعفو عند المقدرة ، وما يتصل بآداب التصرف والتعامل مع الاخرين ، وتجنب السلوك المستهجن والفاحشة .

وخصصت عدة جلسات لدراسة دعوة الاسلام وانتشاره بالوسائل السلمية في أقطار الدنيا ، وخاصة في جنوب شرقي اسيا ، وبلاد الصين واليابان ، وفي بلاد البلغار ، والأقطار الافريقية ، وقدمت في هذه الدراسة مواد غزيرة النفع ، ضمنتها محاضرها .

لجنة التراث العلمي العربي :

درست لجنة التراث العلمي العربي مصادر دراسة تاريخ الطب العربي ، ومخطوطاته في العراق وسبل جردها ، وقوانين حيازة المصطلحات ، وفهرستها، والجهات المؤهلة للقيام بذلك .

وبحثت المؤلفات القديمة والحديثة في التاريخ العام للطب عند العرب ، والاتجاهات الحديثة في دراسة تاريخ الطب العربي ، واسهامات الباحثين العراقيين ، وسبل التعريف بمؤلفاتهم •

وبحثت أهمية اللغة في تحديد سمات الحضارات عند الشعوب القديمة ، وقلة الدراسات عنها والاسس السليمة لتوجهها ، وسبل النهوض بها •

وناقشت موضوع (التراث) واهمية دراسته ، وآثاره الايجابية والسلبية من حيث اختياره جوانب محددة من تاريخ الفكر ، واغفاله جوانب قد تكون اهم في توضيح المجرى التاريخي لتطور الفكر،فضلاً على ان الدراسات الحديثة في التراث عنيت بتوضيح آثاره في الغرب واغفلت آثاره في الشرق •

وبحثت ما وراء الاحساس (الباراسايكولوجي) واهتمام العرب فيه ، والتوجهات الحديثة في دراسته • وبحثت التوجهات العامة في دراسات علم النفس واعتمادها المذهب السلوكي • وضعف اهتمامها بالخوارق وخصائص الدراسات عنها ، وميزاتها واخطارها وحدودها ، واراء المتصوفة ودورهم •

وبحثت موضوع السحر والسحرة ، والجن وعالمه في القرآن الكريم وفي الحضارة العربية •

لجان المصطلحات العلمية :

تابعت لجان العلوم الصرفة والتطبيقية ، إعداد المصطلحات العلمية ضمن اختصاصاتها ، وبحثت جوانب تتصل بالعلم الذي تبحثه ، مستفيدة من احدث المعاجم المختصة ، ومما نشرته المؤسسات ، والمختصون الافراد •

أقرت لجنة الرياضيات زهاء ثلاثمائة وثلاثين مصطلحاً • وناقشت موضوع مصطلحات الحاسبات ، واقترحت تشكيل لجنة مؤقتة لبحث مصطلحات البرمجة والاجزاء للحاسبات الالكترونية •

وبحثت اللجنة ما يتعلق بالمحاضرات العلمية ، والقى في اللجنة الخبير الاستاذ رشيد الصالحي بحثاً عن اسلوب ابن الهيثم في البحث العلمي • وقرر نشرها في مجلة المجمع •

وانجزت لجنة الفيزياء اعداد سبعمائة مصطلح علمي ، كما دققت مئة مصطلح في موضوع فيزياء الحاسبات قدمتها الجامعة التكنولوجية •

وناقشت بحثاً أعده الدكتور علي عطية عن الطاقة النووية تمهيدا لالقائه في جلسات المجمع المفتوحة ، وناقشت ايضا بحثاً أعده الخبير الدكتور عبدالمهدي طالب عن فيزياء الزمهرير ، وسينشر في مجلة المجمع •

قامت لجنة الكيمياء بدراسة واقرار زهاء ستمائة مصطلح في الكيمياء الحياتية • وخصصت بعض جلساتها لدراسة مصطلحات في الكيمياء احيلت اليها من عدد من دوائر الدولة •

وانجزت لجنة الهندسة الفاً وتسعمائة مصطلح ، منها حوالي ألف وخمسين مصطلحاً في هندسة المساحة ، وقرابة تسعمائة مصطلح مما ورد من وزارة الاسكان والتعمير ، ووزارة الزراعة والري ، والجامعة التكنولوجية ، وكلية الآداب بالجامعة المستنصرية • والقى الدكتور جميل الملائكة بحثاً عن منهجية الاصطلاح العلمي وسبل توحيده •

واعدت لجنة الزراعة الفاً وخمسمائة مصطلح في علم الوراثة ؛ والقى خبير اللجنة الاستاذ حميد نشأة بحثاً عن المياه ودورها الحيوي في الزراعة والصناعة ومرافق الحياة •

عنيت لجنة التربية بمصطلحات الاحصاء والقياس في ميدان التربية وانجزت خلال هذا العام زهاء تسعمائة مصطلح •

وانجزت لجنة العلوم الادارية زهاء ستمائة مصطلح في الموضوع •

هيئة تدقيق المصطلحات :

دققت هيئة تدقيق المصطلحات ما انجزته اللجان العلمية في علوم الزراعة، والفيزياء ، والهندسة والرياضيات ، وأصلحت منها ما رأت أصلاحه او تعديله او تبديله ، وضبطت كتابتها واعدادها للنشر .

شعبة المصطلحات :

تابعت شعبة المصطلحات اعداد فهرسة مائة وتسعة وثمانين مصطلحاً مما قامت به لجنة اللغة العربية في رد العامي الى الفصيح . ونظمت جمع وفهرسة ستمائة واثنين وعشرين مصطلحاً من الألفاظ الحضارية المستحدثة ، ورتبتها حسب الحروف الالفبائية .

لجنة المجلة :

عقدت لجنة المجلة جلستين فحصت فيهما الابحاث المقدمة للنشر في المجلة، فأقرت نشر بعضها، وأحالت عدداً منها على خبراء لإقرار صلاحيتها للنشر وفق النظم ، وأُعد عدد واحد من المجلة للطبع .

لجنة التاليف والترجمة والنشر :

عقدت لجنة التأليف والنشر ست جلسات أقرت طبع كتاب « المدينة في القرآ » للدكتور احمد مطلوب ، وكتاب فلسفة القانون للدكتور منذر الشاوي . كما اقرت المكافآت لمؤلفي الكتب التي ينشرها المجمع وفق النظم ، واوصت رفع المكافآت على النشر .

هيئات المجمع

هيئة اللغة الكردية وادابها :

تابعت هيئة اللغة الكردية وآدابها أعمالها لتحقيق الأهداف التي رسمها لها القانون ، وعوض خبراؤها بعض الأثر الناجم عن نقص أعضائها ، وأتمت متظم أعمالها عن طريق لجانها الخمسة .

قامت لجنة قواعد اللغة الكردية بانتقاء مجموعة من المصادر البسيطة في اللغة الكردية وتنظيمها حسب الأبجدية ، وانجزت لجنة المصطلحات الانسانية إعداد مجموعة من المصطلحات في عدد من العلوم الانسانية ، وأعدت ما أنجزته للطبع

وتابعت لجنة المصطلحات العلمية وضع مصطلحات خالية من المفردات الأجنبية ، معتمدة على المصطلحات العلمية التي اقرتها اللجان العلمية المختصة في المجمع في مواضيع الرياضيات والكيمياء والفيزياء ، وأعدت عدداً من مصطلحات علم الحيوان •

وقامت لجنة التراث الكردي بدراسة الأمثال الكردية وتحليل مغازيها اكمالا لما أتمته في السنوات الماضية وتمهيداً لنشرها في كتاب شامل •

ودرست لجنة التاريخ الكردي كتاب «خلاصة تاريخ الكرد وكردستان» للمرحوم محمد أمين زكي ، واستدركت بعض ما فيه من نواقص وخاصة في استقصاء المصادر وصححت ما وقع فيه المؤلف من اخطاء •

وواصلت مجموعة السلامة اللغوية النظر في مسودات الكتب الكردية المحالة اليها من الجهات المختصة ، وقامت بدراسة المسودات وتدقيقها وتنقيتها من المفردات الأجنبية وفق الخطة المرسومة وبلغ مجموع الكتب التي دققت مسوداتها •

وتابعت هيئة تحرير المجلة البحوث والمقالات التي وردتها وأقرت مجموعة منها تمهيداً لنشرها •

هيئة اللغة السريانية :

تابعت الهيئة أعمالها في تحقيق الأهداف التي رسمها قانون المجمع ، وأشرفت على إعداد ندوة « بين العربية والسريانية » ، وقدمت للطبع المجلد الثاني من « معجم الأدب السرياني » والمجلد الاول من « معجم الأصول اللغوية » وأعدت مواد عدد من المجلة للنشر •

وتابعت لجان الهيئة أعمالها في ميادينها الخاصة ، فدرست لجنة الأصول اللغوية لثلاث مائة وثمانين من المفردات ، ودرست لجنة المعجم سبع عشرة مادة أقرتها لتكون بعض المجلد الثالث من معجم الادب السرياني .

ناقشت اللجنة عدداً من المواضيع المتصلة بقواعد اللغة السريانية ومنها اتصال ضمير الغائب بالفعل المضارع المتعدي ، وموضوع الترخيم والجزم والفعل الأجوف وتداخله مع المهموز في السريانية ومقارنة ذلك بالعربية والعبرية ، كما بحثت موضوع وزن الفعل من الواو والياء والهمزة في اللغة السريانية وعدد الحركات عند السريان الغربيين .

والقى الدكتور خالد اسماعيل علي بحثاً في تاريخ الاعرابية ومراحلها في اللغات السامية ، كما ألقى الدكتور يوسف قوزي بحثين أولهما عن الحركات والتشديد في اللغة السريانية ، والثاني عن حروف العلة في اللغة الارامية .

الكتب والطباعة

المكتبة :

كان اثر الحصار الجائر واضحاً على نمو المكتبة ، فلم تتيسر متابعة انمائها بسبب انقطاع ما يرد العراق منها ، والقيود المفروضة من دوائر البريد في كثير من البلدان لغربية على تصدير المطبوعات الى العراق ، بالاضافة الى الارتفاع الخارق في اسعارها ، واقتصر انماء المكتبة على شراء عدد محدود من الكتب الضرورية لعمل المجمع ، وعلى ما يصلها على سبيل الاهداء والتبادل من بعض الجامعات والمؤسسات ، وأخصها مركز دراسات الوحدة العربية الذي قرر مشكورا اهداء المجمع مطبوعاته القيمة .

احتفظت الكتب بمخازنها ما عدا مكتبة اللغات الأجنبية حيث نقلت كتبها مؤقتاً الى قاعة بناية هيئة اللغة الكردية . والمؤمل بعد اكمال البناية

الحديدة ان تنقل الى القاعات المخصصة للكتب فيها مجموعات من الكتب التي تضيق بها الابنية المخصصة لها حاليا •

تم اعداد بطاقات كتب المكتبة العربية ، ويجري العمل في اكمال بطاقات كتب مكتبة الهيئة الكردية ومكتبة اللغات الأجنبية ، ويجري أيضا إدخال فهارس الكتب العربية في الحسابة ، ويؤمل اكمال العمل قريبا ، ليجري بعدها ادخال فهارس مكتبات المجمع الاخرى في الحسابة •

تضم المكتبة حاليا زهاء ثمانين ألف كتاب ، منها ستة عشر ألف كتاب في بناية الهيئة الكردية ، اربعة الاف واربعمائة وثلاثين كتاب في بناية الهيئة السريانية ، وثمانية آلاف وخمسمائة وستون كتابا في المكتبة الاجنبية •

شعبة المخطوطات :

تضم شعبة المخطوطات ألفا وثمانمائة وتسع مخطوطات معظمها مصورات لكتب غير مطبوعة ، وفيها ايضا سبعمائة وسبع وثمانون رقيقة ، معظمها نسخ وضم الى المخطوطات • وقد طبع منذ عدة سنوات فهرست اولي لمخطوطات المجمع ، وطبع جزء واحد من فهرس تفصيلي اعده الاستاذ ميخائيل عواد •

وتم اعداد ستمائة وسبعون بطاقة للمخطوطات ، ويجري العمل لاكمال بطاقات بقية المخطوطات • ويعمل في شعبة المخطوطات موظفتان •

وفي مكتبة هيئة اللغة الكردية ستمائة وثلاث وثمانون مخطوطة ، معظمها باللغة الكردية •

الشعبة الفنية :

تشمل الشعبة الفنية وحدة الاستنساخ والتصوير ، ووحدة الحسابة ، ووحدة الطابعة •

وتضم وحدة الاستنساخ خمسة اجهزة للاستنساخ وجهازاً واحداً لطباعة الرقيقات واستنساخها ، وتعمل في هذه الوحدة موظفتان •

قامت اجهزة الاستنساخ هذه السنة بأعمال واسعة ، فاستنسخت قرابة اثنين وعشرين ألف ورقة من محضر جلسات مجلس المجمع ، وديوان الرئاسة ، واعمال اللجان ، ومحاضر الندوات ، والجلسات المفتوحة ومتطلبات شعب الحسابات والادارة والاعمال الهندسية ، بالاضافة الى استنساخ بعض الوثائق والمخطوطات لمكتبة المجمع ولاعمال الباحثين من أعضاء المجمع خاصة •

وتضم وحدة الحسابة جهازين أحدهما نوع IBM مع طابعة ليزر حديثة زود بها المجمع بأمر من السيد الرئيس حفظه الله •

وتم في هذه الاجهزة انجاز نظام تشغيل الحسابة Dos ونظام تشغيل Norton ونظام اظهار الملفات Edlin وادخلت في هذه الانظمة •

١ ــ فهرست ثلاثة الاف وسبعمائة وثلاثين كتاباً من الكتب العربية في المجمع •

٢ ــ المصطلحات الحضارية ومصطلحات رد العامي الى الفصيح ، من اعمال لجنة اللغة العربية •

واتبع في ادخال فهارس الكتب ، والمصطلحات نظام Aksam

٣ ــ ادخل برنامج لرواتب الموظفين حسب نظام Fox •

٤ ــ ادخلت برامج معلومات عن دول العالم ، وفهرست الجامع الصغير للسيوطي ، والقرآن الكريم وتفسيره •

٥ ــ ادخل عدد من البرامج لكشف زهاء مائة فيروس ، وعدد من المنظومات

٦ ــ تم ربط الحسابتين لغرض تيسير تبادل المعلومات بينهما عن طريق برنامج الربط •

٧ ــ ادخل في الحسابة عمل لجنة المعجم الاشوري ونظائره العربية •

٨ ــ وتعمل في وحدة الحسابة ثلاث موظفات •

وتحتوي وحدة الطابعة على خمس عشرة طابعة منها ثمانية بالعربية وست بالانكليزية ، وواحد ةتطبع باللغتين ، ومن هذه الطابعات ثلاثة أضيفت خلال هذه السنة .

قامت وحدة الطابعة بطباعة المكاتبات ، والحسابات ، ومحاضر الجلسات وبعض أعمال المجمع بما في ذلك اعمال ومحاضر الجلسات . وقد بذلت جهود فائقة لضمان ادامة عمل الاجهزة الفنية واصلاح مايطرأ عليها من خلل .

المطبعة وانجازاتها :

تضم المطبعة حالياً آلتين للطباعة وآلتين لسبك الحروف ، واجهزة متعددة ملحقة بالاجهزة الرئيسة ، وقد واجهت خلال السنة معطلات بسبب ارتفاع أسعار الورق ومستلزمات الطباعة والادوات الاحتياطية لملافاة العطل المتكرر الناجم عن قدم الالات ، بالاضافة الى صعوبة الحصول على الملاك الفني الكفوء بسبب ارتفاع تكاليف الحياة ، ومنافسة القطاع الخاص .

وبذلت جهود كبير لملافات الآثار المعرقلة وضمان قيام المطبعة بأعمالها ، واولى تدريب المستخدمين في المطبعة اهتماماً خاصاً لتأمين الملاك الذي يقوم بالعمل .

وكان لتفضل السيد الرئيس القائد بمنح المجمع مائتين وخمسين الف دينار أثر مفيد في تيسير الطباعة ، كما أن تخفيض عدد النسخ من المطبوعات يسر طبع عدد غير قليل .

ويعمل في المطبعة حالياً ثمانية موظفين وسبعة مستخدمين بعقود .

انجزت المطبعة خلال السنة المجمعية الحالية طبع المطبوعات التالية :

١ ـ المدينة في التراث : للدكتور أحمد مطلوب (١١) ملزمة .

٢ ـ بحوث ندوة تكريم الاستاذ محمد بهجة الاثري (٣٥) ملزمة .

٣ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي (٣٤) ملزمة .

٤ ـ تسع ملازم من الجزء الثاني من ديوان الأثري •

واتمت طبع المصطلحات التي اعدتها اللجان العلمية :

١ ـ مصطلحات الهندسة الكهربائية •

٢ ـ مصطلحات المعادن والمواد •

٣ ـ مصطلحات الفيزياء في الفراغ والتعدين والتآكل •

٤ ـ مصطلحات المساحة •

٥ ـ مصطلحات علم النفس والطب النفسي •

وطبعت المطبعة بطاقات الدعوة للندوات والجلسات المفتوحة واشرفت على تجليد عدد مما كمل من المصطلحات •

مخزن الكتب والقرطاسية :

يتسلم مخزن الكتب والقرطاسية مطبوعات المجمع من المطبعة ويحفظ سجلاتها ، ويشرف على بيع المطبوعات ، وتوزيع الهدايا منها على الأعضاء والخبراء والجهات المعنية في داخل العراق وخارجه وفق النظم ، وقد بلغ عدد الكتب العربية المهداة اربعمائة وسبعون كتاباً ، وعدد الكتب الكردية مائتا كتاب وست وسبعون كتاباً ، ومن كتب مطبوعات الهيئة السريانية مائة وسبعة واربعون كتاباً ، ويشرف المسؤولون عن المخزن على عرض كتب المجمع في المعارض الوقتية العامة التي تقام في جامعات بغداد والمؤسسات العلمية فيها •

بيع هذه السنة ٢٠٫٣٣٩ كتاباً موزعة كما يلي :

١ ـ الكتب العربية ١٨٫٣٩٩ كتاباً مجموع ثمنها ١١٧٩٠١ ديناراً •

٢ ـ الكتب الكردية ٢٧٦ كتاباً مجموع ثمنها ٧٢٩١١ ديناراً •

٣ ـ كتب الهيأة السريانية ٨١٩٥ كتاباً مجموع ثمنها ٤٩٩٩ ديناراً •

والمبلغ الاجمالي لهذه المبيعة من الكتب ٢١٥٨١١ ديناراً •

ويتسلم المخزن القرطاسية والورق والحبر والاقلام ، ويوزعها على الشعب المختصة ، ويحفظ لذلك سجلا •

يتم الحصول على القرطاسية شراءاً من الشركة العامة للاسواق المركزية أو من الاسواق التجارية •

الادارة والذاتية :

تابع قسم الادارة والذاتية اعماله الموكلة اليه بموجب القوانين والنظم وهي تشمل تنظيم علاوات الموظفين وترفيعاتهم واجازاتهم الاعتيادية والمرضية ، ومتابعة تنظيم الدوام ، وحفظ السجلات ، وتنظيم الهويات ، ومتابعة عمل مصرفة المعلومات الوظيفية ، وحصص اعضاء ومنتسبي المجمع من الاسواق المركزية •

وتقوم الشعبة بتنظيم المراسلات الداخلية والخارجية ، واعداد الاجابات عن المعلومات الاحصائية ذات الطبيعة الادارية ، ومتابعة اشراك الموظفين في الدورات التدريبية ، كل ضمن اختصاصه •

يضم المجمع حالياً ثماني وخمسين موظفاً ، وثمانية عشر مستخدما بعقود وتمتع موظفتان باجازة أمومة ، وموظفة باجازة دراسية •

وبلغ عدد الكتب الصادرة من المجمع الفاً وخمسمائة ، والكتب الواردة الفاً ومائة وثمانون •

شعبة شؤون الاعضاء

تابعت شعبة شؤون الأعضاء عملها في ما يتصل بالمخابرات والاتصالات المتعلقة بأعضاء المجمع وخبراء اللجان العلمية وتوزيع الدعوات لاجتماعات مجلس المجمع والجلسات المفتوحة والندوات ، وكذلك متابعة قوائم حضور أعضاء اللجان وتسليمها الى الحسابات ، وطبع واستنساخ محاضر جلسات

المجمع الاعتيادية والمفتوحة واستنساخها ، وديوان الرئاسة ، وحفظ نسخ منها في الملفات الخاصة ، وتوزيع ما يقتضي توزيعه .

تتسلم الشعبة مسودات الكتب والبحوث والمقاولات لحفظها وتقديمها الى اللجان المختصة بالتأليف والترجمة والنشر ، وبالمجلة ؛ وتحفظ محاضر هذه اللجان ، وتتابع تنفيذها .

ويتولى العمل في هذه الشعبة ثلاثة موظفين .

شعبة الحسابات :

تقوم شعبة الحساباب بتنظيم المعاملات الحسابية اليومية من قيود وسندات صرف ووصولات قبضها ؛ وتسجيلها في السجلات الخاصة وكذلك بالمعاملات الخاصة بتسلم المبالغ وايداعها في المصرف ، والمعاملات الحسابية الشهرية في تنظيم قوائم مكافآت الاعضاء واللجان العلمية ؛ وقوائم الرواتب والموظفين وأجور المستخدمين ، وتسجيلها في سجلاتها الخاصة بها وتوزيعها على المستحقين ، وتنظيم الجداول الخاصة التي ترسل شهرياً الى دائرة المحاسبة ؛ وتتعاون مع الادارة في اعداد الميزانية التخمينية السنوية تمهيداً لاقرارها من قبل ديوان رئاسة المجمع قبل ارسالها الى الجهات المختصة لاقرارها النهائي .

أرصد للمجمع في الميزانية لسنة ١٩٩٤ مبلغ ٠٠٠ر٦٣ر٣ دينارا ، ثم اضيف اليه ٠٠٠ر١٥٠ر١ دينار منحة من ديوان رئاسة الجمهورية ، لصيانة الاجهزة والالات ، فاصبح المجموع الكلي للمبلغ المرصد للميزانية ٠٠٠ر٧٨٠ر٥ ديناراً موزعة على الابواب الآتية :

	المصروف ١٩٩٣	المصروف لغاية ١٩٩٤/٥/٣١
الرواتب	٣١١ر٤٣٦	٢١٤ر٦٧٣
مكافآت الاعضاء	٣٤٣ر٤٤٩	٣٥٨ر٧٠٠
اجور اللجان العلمية	٣٢٣ر٨٦٥	٢٥١ر٦٠٠
نفقات الطبع	٢٨١ر٢٣١	٢١٢ر٨٢٥
الندوات	٤٨ر٠٣٢	٣٦ر٠٨٢
تعضيد البحوث العلمية	٢٨ر٣٣٦	٣٧ر٤٠٠
القرطاسية	٦ر٩٨٣	٤ر١٣٧
الماء والكهرباء	٢ر٤٨٠	١ر٣٤٨
نفقات الوقود	٢٩٣١	١ر٨٨٠
صيانة الاثاث	٤ر٩٧٣	٧٥٠
صيانة المباني	٣٢ر٤٤٣	٨ر٢٩٥
صيانة التأسيسات المائية والكهربائية	٣٢ر٢١١	٣ر٢٠٠
صيانة الاجهزة والادوات	٩١ر٩٧٢	٣٩٨ر٥٤٠
صيانة وسائط النقل	١٨٤ر٩٢٠	٣١ر٢٧٠

لا يدخل في ذلك المنحة الاضافية وتخصيصات البناية الجديدة والترميمات العامة .

شعبة الخدمات وصيانة الأبنية :

قامت شعبة الخدمات خلال السنة بالاعمال التكميلية التالية :ـ

١ ـ تصليح خمس مضخات الماء وتوزيعها على بناية المجمع وابنية المطبعة .

٢ ـ تصليح شبكة الماء في بنايتي الهيئة الكردية والمطبعة .

٣ ــ ترميم وصيانة مخزن الكتب في بناية الهيئة السريانية وصيانتها وابدال الباب والشبابيك فيها .

٤ ــ مكافحة الأرضة في بنايتي الهيئة السريانية والمطبعة .

٥ ــ متابعة اصلاح الكراسي والاثاث المعطوبة والمتضررة .

٦ ــ الاشراف على الاصلاح المتكرر للسيارة المخصصة للمجمع .

وتقوم الشعبة بمتابعة عمل مولدة الكهرباء والمصعد ، الانارة الخارجية ، ومتابعة تنظيم الغرف وما تتطلبه من نقل الاثاث .

لاقت شعبة الخدمات خلال السنة بعض المعوقات الناجمة من كثرة العمال والعاملين في تشييد الابنية الجديدة ، وترميم الابنية القديمة وما يؤدي اليه ذلك من تعطل بعض الاجهزة ، وتعرض البعض للفقدان .

تطوير بنايات المجمع وتوسيعها

من ابرز ثمار لقاء السيد الرئيس صدام حسين (حفظه الله ورعاه) بأ ! مع ، إصداره التوجيهات لتوفير المستلزمات المادية لتشييد بناية اضافية ، واصلاح ما تتطلبه بنايتا المجمع من ترميمات ، ومستلزمات .

البناية الاضافية :

بناء على توجيهات السيد الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله) ورعاه أرصد مبلغ ١١٫٥٤٠٫٦٧٩ دينار لتشييد بناية جديدة اضافية في الأرض التي تقع بين البنايتين القائمتين حالياً . وكلف المركز القومي للاستشارات الهندسية باعداد الخرائط اللازمة التي عرضت على مجموعة من اعضاء المجمع ، واخذ بنظر الاعتبار اراءهم في تصميم البناية وفق حاجات المجمع وبما ييسر عمله على وجه أمثل .

واسند القيام بالبناية الى شركة اليوم العظيم ـ وزارة الاسكان والتعمير، والمؤمل أن تكمل عملها في النصف الاول من شهر تموز •

وتتكون البناية الجديدة في تصميمها من طابقين يحتويان على أربعة وعشرين غرفة للاعضاء بمساحة ١٦م٢ للغرفة الواحدة ،وغرفتين للمخازن مساحة كل منها ٦٩٠م٢ ، ومكتبة مساحتها ٢٤٠م٢ ، بالاضافة الى الابنية الخاصة بالمرافق الصحية والخدمات •

وارصد مبلغ ٤٨٠ر٤٠٠٠ دينارا اضيف الى ميزانية المجمع ليصرف على شراء الاثاث اللازم للبناية الجديدة ولاكمال النقائص في البنايتين الاصليتين، وارسيت مناقصة الاثاث على متعهد وفق النظم ، واوكل الدكتور جوامير مجيد سليم بالاشراف على عمل المتعهد ، والسيد هادي نجم بمتابعة العمل •

البدالــة :

اضيف مبلغ تسعمائة الف دينار الى ميزانية المجمع لتنفق على اصلاح وتحديث البدالة لتكون بسعة ١٠٠ خط ، تمتد هواتفها الى البنايتين الاصليتين والبناية الجديدة مع ما يتطابه عمل ذلك من مد الاسلاك وتنظيم الخطوط الداخلية ، واسند القيام بالعمل الى منشأة صلاح الدين ـ هيئة التصنيع العسكري • والمؤمل أن تنجز العمل وتسلمه كاملا في شهر تموز •

جهاز التكييف :

أرصد مبلغ تسعمائة الف دينار الى ميزانية المجمع لتصليح مكيفات بناية هيئة اللغة الكردية ، والقيام بما يتطلبه في البناية الجديدة جهاز التكييف المطلوب ، واسند القيام بالعمل لمركز الخدمات الهندسية المتخصصة التابعة الى هيئة التصنيع العسكري • وقد اتمت الشركة المذكورة اصلاح مكيفات بناية الهيئة الكردية ، ويجري العمل لاكمال جهاز التكييف في البناية الرئيسة •

وتقرر أن يسند الاشراف على عمل جهاز التكييف الى مهندس مختص

ارصد مبلغ ٦٨٥ر٦٨٦٠ر٦ دينارا لاعمال الصيانة والترميمات في بنايتي المجمع ، وكلفت شركة اليوم العظيم بالقيام بذلك • وتشمل اعمال الصيانة والترميمات في بنايتي المجمع :

١ ـ اصلاح وصيانة المرافق الصحية وصياتها •

٢ ـ صبغ الجدران والابواب والقواطع الخشبية •

٣ ـ صبغ المحجرات الخشبية في البناية الرئيسة •

٤ ـ اصلاح الكهربائيات •

٥ ـ ترميم البياض واللبخ •

٦ ـ اعادة رصف السطح •

وسيجري ترميم ابنية المطبعة والبناية التي تشغلها هيئة اللغة السريانية والغرف المتصلة بها •

* * *

المجمع العلمي العراقي

اسماء اساتذة اعضاء المجمع

١ ـ الدكتور صالح احمد العلي ـ رئيس المجمع
٢ ـ الدكتور احمد مطلوب
٣ ـ المطران اندراوس صنا
٤ ـ الدكتور بشار عواد معروف
٥ ـ الدكتور جلال محمد صالح
٦ ـ الدكتور جميل الملائكة
٧ ـ الدكتور جوامير مجيد سليم
٨ ـ الدكتور حسن طه كتاني
٩ ـ الدكتور سعدون حمادي
١٠ ـ الاستاذ سنحاريب (زكا) عيواص
١١ ـ الاستاذ ضياء شيت خطاب
١٢ ـ الدكتور عبدالعزيز البسام
١٣ ـ الشيخ عبدالكريم المدرس
١٤ ـ الدكتور علي عطية عبدالله
١٥ ـ الدكتور علي محمد المياح
١٦ ـ الاستاذ محمد بهجة الاثري
٧١ ـ الاستاذ محمد تقي الحكيم
١٨ ـ الاستاذ محمد حسن آل ياسين
١٩ ـ الدكتور محمود امين الجليلي
٢٠ ـ اللواء الركن محمود شيت خطاب

٢١ ـ الدكتور مارع حسن الساوي
٢٢ ـ الدكتور منذر ابراهيم الشاوي
٢٣ ـ الاستاذ ميخائل عواد
٢٤ ـ الدكتور نجيب سليمان خروفة
٢٥ ـ الدكتور نوري حمودي القيسي
٢٦ ـ الدكتور يوسف حبي

الاعضاء المتوفون

١ ـ الدكتور احمد سوسه	١٩٨٢
٢ ـ الاستاذ طه باقر	١٩٨٤
٣ ـ الدكتور فخري محمد صالح	١٩٨٤
٤ ـ الدكتور ناجي عباس	١٩٨٥
٥ ـ الاستاذ موسى عبدالصمد	١٩٨٦
٦ ـ الدكتور جواد علي	١٩٨٧
٧ ـ الدكتور كامل حسن البصير	١٩٨٧
٨ ـ الدكتور احمد ناجي القيسي	١٩٨٧
٩ ـ الدكتور جابر عزيز الشكرجي	١٩٨٧
١٠ ـ الدكتور احمد عبدالستار الجواري	١٩٨٨
١١ ـ الدكتور عبدالعال الصكبان	١٩٨٨
١٢ ـ الدكتور زكي صالح	١٩٨٨
١٣ ـ الاستاذ محمد الخال	١٩٨٩
١٤ ـ الاستاذ يوسف خيدو	١٩٨٩
١٥ ـ الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠
١٦ ـ الاستاذ كوركيس عواد	١٩٩٢

خبراء لجان المجمع العلمي العراقي

لجنة اللغة العربية

١ ـ الدكتور حكمت علي الأوسي
٢ ـ الدكتور عبدالهادي محبوبة
٣ ـ الدكتور محمد ضاري حمادي

لجنة الاصول

١ ـ الدكتور حسام سعيد النعيمي
٢ ـ الدكتور عدنان عبدالرحمن الدوري
٣ ـ الدكتور فاضل صالح السامرائي
٤ ـ الدكتور محي هلال السرحان

لجنة التاريخ والحضارة العربية

الدكتور خالد صالح طه
الدكتور حسام الدين الآلوسي

لجنة التراث العلمي العربي

الدكتور عبداللطيف البدري
الدكتور عماد عبدالسلام
الدكتور كمال توفيق

لجنـة الرياضيـات

الدكتور باسل عطا الهاشمي
الاستاذ رشيد عبدالرزاق الصالحي
الدكتور صبري رديف العاني
الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي

لجنـة الهندسـة

الاستاذ علي الكاظمي
الدكتور قاسم جبار سلمان
الاستاذ فوزي الخاصـي -

لجنـة الفيزيـاء

الدكتور سعيد محسن الخزاعي
الدكتور شاكر محمد مصطفى
الدكتور عبدالمهدي طالب رحمة الله
الدكتور حاتـم الضـامن

لجنـة الكيميـاء

الدكتور زهير عبدالرزاق محيي الدين
الدكتور عبدالرسول كمال الدين
الدكتور عبد المجيد القيسي
الدكتور مهند علي حسين -
الدكتور هاشم طـه شلاش

لجنـــة الزراعـــة

السيد حميـد نشـأة
السيد عبدالهادي اسماعيل
الدكتور عبدالحميد احمد يونس
الدكتور بدري عويد العاني
الدكتور سامي مكي العاني

لجنـة التربيـــة

الدكتور احمد حقي الحلي
الدكتور عبدالرحمن القيسي
الاستاذ عايف حبيب
الدكتور عبدالحميد الصفار

لجنة العلوم الادارية

الدكتور عامر الكبيسي
الدكتور عبدالرحمن الحبيب

اسماء خبراء الهيئة الكردية

١ ــ ابراهيم امين بالدار ــ لجنة المصطلحات الانسانية •

٢ ــ ابراهيم محمد امين ميراني ــ لجنة قواعد اللغة الكردية ، لجنة التاريخ والتراث الكردي •

٣ ــ الدكتور احسان عبد الكريم فؤاد ــ لجنة المصطلحات الانسانية •

٤ ــ الدكتور أمين علي سعيد ــ لجنة قواعد اللغة الكردية ، لجنة المجلة والنشر الكردي •

٥ ــ الدكتور بدرخان عبدالله السندي ــ لجنة قواعد اللغة الكردية ، لجنة المصطلحات الانسانية •

٦ ــ جمال عبدالقادر بابان ــ لجنة التأريخ والتراث الكردي ، لجنة المجلة والنشر الكردية •

٧ ــ الدكتور وريا عمر امين ــ لجنة قواعد اللغة الكردية •

٨ ــ الدكتور ذنون محمد بريادي ــ لجنة المصطلحات العلمية •

٩ ــ شكور مصطفى عبدالله ــ لجنة قواعد اللغة الكردية ، لجنة المصطلحات الانسانية ، لجنة المصطلحات العلمية •

١٠ ــ صلاح سعدالله ــ لجنة المصطلحات العلمية •

١١ ــ الدكتور علي عبدالرحمن العسكري ــ لجنة المصطلحات العلمية •

١٢ ــ الدكتور عبدالستار طاهر شريف ــ لجنة المصطلحات الانسانية •

١٣ ــ عبداللطيف عبد المجيد محمد ــ لجنة التأريخ والتراث الكردي ، لجنة المصطلحات العلمية ، لجنة المجلة والنشر الكردي •

١٤ ــ عبدالرحمن معروف عبدالله ــ لجنة قواعد اللغة الكردية لجنة التاريخ والتراث الكردي

١٥ ــ الدكتور عبدالرحمن عبدالله ــ لجنة المصطلحات العلمية •

١٦ ــ الدكتور كيكاوس قمطان ــ لجنة التاريخ والتراث ، لجنة المصطلحات العلميــــة .

١٧ ــ محمد الملا عبدالكريم المدرس ــ لجنة المصطلحات الانسانية ، لجنــة التاريخ والتراث الكردي .

١٨ ــ محمد جميل احمد الروزبياني ــ لجنة قواعــد اللغة الكردية ، لجنــة المصطلحات الانسانية .

١٩ ــ مصطفى سيد احمد (نەريمان) ــ لجنة التاريخ والتراث الكردي .

٢٠ ــ الدكتورة نسرين فخري ــ لجنة قواعد اللغة الكردية .

٢١ ــ نوري علي أمين ــ لجنة قواعد اللغة الكردية ، لجنة المصطلحات الانســانية .

خبراء لجان هيئة اللغة السريانية

الدكتور خالد اسماعيل علي ــ لجنة اللغة والتراث ، لجنة المعجم

الدكتور محمد عبداللطيف ــ لجنة اللغة والتراث ، لجنة المعجم

الاســتاذ بنيامــين حــداد ــ لجنة اللغة والتراث ، لجنة المعجم

بشـــير متــي تومــــا ــ لجنة اللغة والتراث ، لجنة المعجم

الاستاذ شليمون زولو ايشو ــ لجنة اللغة والتراث ، لجنــة المعجــم

الاســتاذ يوسف قـــوزي ــ لجنة اللغة والتراث ، لجنة المعجم

الفهرس

الصفحة

منهج دوزي في المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب.................. ٥
الدكتور احمد مطلوب

تراثنا الشعري (آدب الحرب ٢٨
الدكتور نوري حمودي القيسي

انهيار دولة قرطبة : مجمل اسبابه ٥٥
اللواء الركن محمود شيت خطاب

اصالة الفكر الجغرافي العربي ومنهجيته ٩٥
الدكتور علي محمد المياح

القانون الدولي وطبيعته ١٢٣
الدكتور منذر الشاوي

ديوان ابي طالب بن عبدالمطلب في صنعتين ١٦٣
الشيخ محمد حسن آل ياسين

العلم والثقافة (التكنولوجيا) وقضية الامن القومي ١٩٢
الاستاذ الدكتور علي عطية عبدالله

علم الدرجات الحرارية الواطئة جداً (الزمهرير) ٢٣٨
الاستاذ الدكتور عبدالهدي طالب رحمة الله

الكتب الواردة والمهداة الى مكتبة المجمع العلمي العراقي
١٩٩٠ — ١٩٩٣ .... ٢٤٧
السيد صباح ياسين الاعظمي

JOURNAL
of the
IRAQI ACADEMY



Volume 42
Part (1)

PUBLISHED BY

THE IRAQ ACADEMY

-BAGHDAD-

1414/1994